۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا
لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ
إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾
وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ
وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ
إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾
وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ
كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ
وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ
وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ
وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ
كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾

۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا
لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾

(وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ)

أي: تطيع

(لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا)

قليلا أو كثيرًا،

(نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ)

أي: مثل ما نعطي غيرها مرتين،

(وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا)

و هي الجنة، فقنتن للّه و رسوله و عملن صالحًا، فعلم بذلك أجرهن.

***فَإِنَّهُنَّ فِي مَنَازِلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي أَعْلَى عِلِّيِّينَ، فَوْقَ مَنَازِلِ جَمِيعِ الْخَلَائِقِ، فِي الْوَسِيلَةِ الَّتِي هي أقرب منازل الجنة إلى العرش.

يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ
ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ
تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ
وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ
تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ
وَٱلْحِكْمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾

يقول تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ﴾

خطاب لهن كلهن

﴿لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ ﴾

اللّه،

فإنكن بذلك، تفقن النساء،

و لا يلحقكن أحد من النساء،

فكملن التقوى بجميع وسائلها و مقاصدها.

فلهذا أرشدهن إلى قطع وسائل المحرم، فقال: ﴿فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ﴾

أي: في مخاطبة الرجال، أو بحيث يسمعون فَتَلِنَّ في ذلك،

و تتكلمن بكلام رقيق يدعو و يطمع من في قلبه مرض

﴿ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ﴾

***دغل

أي: مرض شهوة الزنا، فإنه مستعد، ينظر أدنى محرك يحركه،

لأن قلبه غير صحيح فإن القلب الصحيح ليس فيه شهوة لما حرم اللّه،

فإن ذلك لا تكاد تُمِيلُه و لا تحركه الأسباب، لـــــه:-

1-صحــــــة قلبه،

2-و ســـــلامته من المرض.

بخــــــلاف مريـــــض القلب، الذي :-

1-لا يتحمل ما يتحمل الصحيح،

2-و لا يصبر على ما يصبر عليه،

فأدنى سبـــــب يوجــــــد يدعوه إلى الحرام:-

1-يجيــــــب دعوته،

2-و لا يتعـــــاصى عليه،

فهذا دليل على أن الوسائل، لها أحكام المقاصد.

فإن الخضوعِ بالقول، و اللين فيه، في الأصل مباح،

و لكن لما كان وسيلة إلى المحرم، منع منه،

و لهذا ينبغي للمرأة في مخاطبة الرجال، أن لا تلِينَ لهم القول.

و دل قوله: (فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ)

مع أمره بحفظ الفرج و ثنائه على الحافظين لفروجهم، و الحافظات،

و نهيه عن قربان الزنا

أنه ينبغي للعبد، إذا رأى من نفسه هذه الحالة،

الاعراض الخاصة بالقلب المريض:-

1-و أنه يهش لفعل المحرم عندما يرى أو يسمع كلام من يهواه،

2-و يجد دواعي طمعه قد انصرفت إلى الحرام،

[فَلْيَعْرِفْ أن ذلك مرض] فَلْيَجْتَهِـــــــدْ:-

1- في إضعاف هذا المرض

2-و حسم الخواطر الردية،

3-و مجاهدة نفسه على سلامتها من هذا المرض الخطر،

4-و سؤال اللّه العصمة و التوفيق،

((((و أن ذلك من حفظ الفرج المأمور به)))).

❍و لما نهاهن عن الخضوع في القول، فربما توهم أنهن مأمورات بإغلاظ القول، دفع هذا بقوله:

﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾

أي: غير غليظ، و لا جاف كما أنه ليس بلَيِّنٍ خاضع.

***وَ مَعْنَى هَذَا: أَنَّهَا تُخَاطِبُ الْأَجَانِبَ بِكَلَامٍ لَيْسَ فِيهِ تَرْخِيمٌ،

أَيْ: لَا تُخَاطِبِ الْمَرْأَةُ الْأَجَانِبَ كَمَا تُخَاطِبُ زَوْجَهَا.

و تأمل كيف قال: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ﴾

و لم يقل: (فلا تَلِنَّ بالقول)

و ذلك لأن المنهي عنه، القول اللين، الذي فيه خضوع المرأة للرجل،

و انكسارها عنده،

و الخـــــــاضع:-

هو الذي يطمع فيه، بخلاف من تكلم كلامًا لينًا، ليس فيه خضوع،

بل ربما صار فيه ترفع و قهر للخصم، فإن هذا، لا يطمع فيه خصمه،
و لهذا مدح اللّه رسوله باللين، فقال:

(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ)

و قال لموسى و هارون:–

(اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى* فَقُولا لَهُ قَوْلا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى)

(وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ)

أي: اقررن فيها، لأنه أسلم و أحفظ لكُنَّ،

***الْزَمْنَ بُيُوتَكُنَّ فَلَا تَخْرُجْنَ لِغَيْرِ حَاجَةٍ.

وَ مِنَ الْحَوَائِجِ الشَّرْعِيَّةِ الصَّلَاةُ فِي الْمَسْجِدِ بِشَرْطِهِ،
كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

***سنن أبي داود

565 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺقَالَ:
«لَا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ مَسَاجِدَ اللَّهِ، وَ لَكِنْ لِيَخْرُجْنَ وَهُنَّ تَفِلَاتٌ( )»

*** سنن أبي داود

567 - عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«لَا تَمْنَعُوا نِسَاءَكُمُ الْمَسَاجِدَ، وَ بُيُوتُهُنَّ خَيْرٌ لَهُنَّ»

*** سنن الترمذي ت شاكر

1173 - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ:
«المَرْأَةُ عَوْرَةٌ، فَإِذَا خَرَجَتْ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ»

غير متطيبات

***سنن أبي داود :-
570 - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:
«صَلَاةُ الْمَرْأَةِ فِي بَيْتِهَا أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِهَا فِي حُجْرَتِهَا،
وَ صَلَاتُهَا فِي مَخْدَعِهَا أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِهَا فِي بَيْتِهَا»
(وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ)
أي: لا تكثرن الخروج متجملات أو متطيبات، كعادة أهل الجاهلية الأولى،
الذين لا علم عندهم و لا دين، فكل هذا دفع للشر و أسبابه.
***إِذَا خَرَجْتُنَّ مِنْ بُيُوتِكُنَّ –
وَ كَانَتْ لَهُنَّ مِشْيَةٌ وَ تَكَسُّرٌ و تغنُّج -فَنَهَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ.
***وَ قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ:عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ:
{وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأولَى} .
قَالَ: كَانَتْ فِيمَا بَيْنَ نُوحٍ وَ إِدْرِيسَ، وَ كَانَتْ أَلْفَ سَنَةٍ،
وَ إِنَّ بَطْنَيْنِ مِنْ وَلَدِ آدَمَ كَانَ أَحَدُهُمَا يَسْكُنُ السَّهْلَ، وَ الْآخِرُ يَسْكُنُ الْجَبَلَ.
وَكَانَ رِجَالُ الْجَبَلِ صِبَاحًا وَ فِي النِّسَاءِ دَمَامة.
وَ كَانَ نِسَاءُ السَّهْلِ صِبَاحًا وَ فِي الرِّجَالِ دَمَامَةٌ،
وَ إِنَّ إِبْلِيسَ أَتَى رَجُلًا مِنْ أَهْلِ السَّهْلِ فِي صُورَةِ غُلَامٍ،
فَآجَرَ نَفْسَهُ مِنْهُ، فَكَانَ يَخْدِمُهُ وَ اتَّخَذَ إِبْلِيسُ شَيْئًا مِثْلَ الَّذِي يُزَمّر فِيهِ الرِّعاء،
فَجَاءَ فِيهِ بِصَوْتٍ لَمْ يسمَع النَّاسُ مِثْلَهُ، فَبَلَغَ ذَلِكَ مَنْ حَوْلَهُ،
فَانْتَابُوهُمْ يَسْمَعُونَ إِلَيْهِ،
وَ اتَّخذُوا عِيدًا يَجْتَمِعُونَ إِلَيْهِ فِي السَّنَةِ، فيتبرَّجُ النِّسَاءُ لِلرِّجَالِ.
قَالَ: و يتزيَّن الرِّجَالُ لَهُنَّ،

وَ إِنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْجَبَلِ هَجَم عَلَيْهِمْ فِي عِيدِهِمْ ذَلِكَ،
فَرَأَى النِّسَاءَ و صَبَاحتهن، فَأَتَى أَصْحَابَهُ فَأَخْبَرَهُمْ بِذَلِكَ، فَتَحَوَّلُوا إِلَيْهِنَّ،
فَنَزَلُوا مَعَهُنَّ وَ ظَهَرَتِ الْفَاحِشَةُ فِيهِنَّ،
فَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأولَى} ( )

(وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ)

و لما أمرهن بالتقوى عمومًا، و بجزئيات من التقوى، نص عليها لحاجة النساء

إليها، كذلك أمرهن بالطاعـــــــة،

خصوصًا الصلاة و الزكاة، اللتان يحتاجهما،

و يضطر إليهما كل أحد، و هما أكبر العبادات، و أجل الطاعات،

و في الصـــــــلاة:-

الإخــــــلاص للمعبود،

و في الزكـــــاة:-

الإحســــــان إلى العبيد.

ثم أمرهن بالطاعة عمومًا، فقال:-(وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ)

يدخل في طاعة اللّه و رسوله، كل أمر، أمرَا به أمر إيجاب أو استحباب.

(إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ)

بأمركن بما أَمَرَكُنَّ به، و نهيكن بما نهاكُنَّ عنه،

تفسير الطبري (4/22)

﴿لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ﴾

أي: الأذى، و الشر، و الخبث،

يا ﴿أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴾

***الميسر: نفوسكم**

○حتى تكونوا طاهرين مطهرين.

أي: فاحمدوا ربكم، و اشكروه على هذه الأوامر و النواهي، التي أخبركم بمصلحتها،

و أنها محض مصلحتكم،لم يرد اللّه أن يجعل عليكم بذلك حرجًا و لا مشقة،

بل لتتزكى نفوسكم،

و لتتطهر أخلاقكم،

و تحسن أعمالكم،

و يعظم بذلك أجركم.

***وَ هَذَا نَصٌّ فِي دُخُولِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ فِي أَهْلِ الْبَيْتِ هَاهُنَا؛
لِأَنَّهُنَّ سَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ،
وَ سَبَبُ النُّزُولِ دَاخِلٌ فِيهِ قَوْلًا وَاحِدًا،
إِمَّا وَحْدَهُ عَلَى قَوْلٍ أَوْ مَعَ غَيْرِهِ عَلَى الصَّحِيحِ.

***صحيح مسلم

(2424)عَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ شَيْبَةَ، قَالَتْ: قَالَتْ عَائِشَةُ:-
خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ غَدَاةً وَ عَلَيْهِ مِرْطٌ مُرَحَّلٌ، مِنْ شَعْرٍ أَسْوَدَ،
فَجَاءَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ جَاءَ الْحُسَيْنُ فَدَخَلَ مَعَهُ،

ثُمَّ جاءَتْ فاطِمَةُ فَأَدْخلَهَا، ثُمَّ جاءَ عَلِيٌّ فَأَدْخلَهُ، ثُمَّ قالَ:

{إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا}

[الأحزاب: 33] ( )

***صحيح مسلم

(2408) عن يَزِيد بْن حَيَّانَ، قَالَ:

انْطَلَقْتُ أَنَا وَ حُصَيْنُ بْنُ سَبْرَةَ، وَ عُمَرُ بْنُ مُسْلِمٍ، إِلَى زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ،

فَلَمَّا جلَسْنَا إِلَيْهِ قَالَ لَهُ حُصَيْنٌ:

لَقَدْ لَقِيتَ يَا زَيْدُ خَيْرًا كَثِيرًا، رَأَيْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَ سَمِعْتَ حَدِيثَهُ،

وَ غَزَوْتَ مَعَهُ، وَ صَلَّيْتَ خَلْفَهُ لَقَدْ لَقِيتَ، يَا زَيْدُ خَيْرًا كَثِيرًا،

حَدِّثْنَا يَا زَيْدُ مَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ

قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي وَ اللهِ لَقَدْ كَبِرَتْ سِنِّي، وَ قَدُمَ عَهْدِي،

وَ نَسِيتُ بَعْضَ الَّذِي كُنْتُ أَعِي مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ

فَمَا حَدَّثْتُكُمْ فَاقْبَلُوا، وَمَا لَا، فَلَا تُكَلِّفُونِيهِ،

ثُمَّ قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺيَوْمًا فِينَا خَطِيبًا، بِمَاءٍ

يُدْعَى خُمًّا بَيْنَ مَكَّةَ وَ الْمَدِينَةِ فَحَمِدَ اللهَ وَ أَثْنَى عَلَيْهِ، وَ وَعَظَ وَ ذَكَّرَ،

ثُمَّ قَالَ: " أَمَّا بَعْدُ، أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ

فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ

وَ أَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ:-

أَوَّلُهُمَـــــــــا:-

(مرط مرحل) المرط كساء جمعه مروط المرحل هو الموشى المنقوش عليه صور رحال الإبل

(الرجس) قيل هو الشك وقيل العذاب وقيل الإثم قال الأزهري الرجس اسم لكل مستقذر من عمل]

كِتَابُ اللهِ فِيهِ الْهُدَى وَ النُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ، وَ اسْتَمْسِكُوا بِهِ " فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللهِ وَ رَغَّبَ فِيهِ،

ثُمَّ قَالَ: «وَ أَهْلُ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي»

فَقَالَ لَهُ حُصَيْنٌ: وَمَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ؟

يَا زَيْدُ أَلَيسَ نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ؟

قَالَ: نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ،

وَ لَكِنْ أَهْلُ بَيْتِهِ مَنْ حُرِمَ الصَّدَقَةَ بَعْدَهُ، قَالَ: وَ مَنْ هُمْ؟

قَالَ: هُمْ آلُ عَلِيٍّ وَآلُ عَقِيلٍ، وَآلُ جَعْفَرٍ، وَآلُ عَبَّاسٍ

قَالَ: كُلُّ هَؤُلَاءِ حُرِمَ الصَّدَقَةَ؟ قَالَ: نَعَمْ( )

و لما أمرهن بالعمل، الذي هو فعل و ترك:-

أمـــــرهن بالعلم، و بيــــــن لهن طريقه،

فقال:(وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ)

*** يمتنُّ عَلَيْهِنَّ بِذَلِكَ

و المراد بآيات اللّه، القرآن.

(وَٱلْحِكْمَةِ)

أسراره. و سنة رسوله.

و أمرهن بذكره، يشمل ذكر لفظه، بتلاوته،

(خما) اسم لغيضة على ثلاثة أميال من الجحفة غدير مشهور يضاف إلى الغيضة فيقال غدير خم (ثقلين) قال العلماء سميا ثقلين لعظمهما وكبير شأنهما وقيل لثقل العمل بها]

و ذكر معناه، بتدبره و التفكر فيه،

و استخراج أحكامه و حكمه،

و ذكر العمل به و تأويله.

***اعْمَلْنَ بِمَا يُنْزِلُ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنَ الْكِتَابِ وَ السُّنَّةِ
***وَ اذْكُرْنَ هَذِهِ النِّعْمَةَ الَّتِي خُصِصْتُنَّ بِهَا مِنْ بَيْنِ النَّاسِ،
***وَ لَكِنْ إِذَا كَانَ أَزْوَاجُهُ من أهل بَيْتِهِ، فَقَرَابَتُهُ أَحَقُّ بِهَذِهِ التَّسْمِيَةِ،
***وَ هَذَا يُشْبِهُ مَا ثَبَتَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ:-
أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺلَمَّا سُئِلَ عَنْ الْمَسْجِدِ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ،
فَقَالَ: "هُوَ مَسْجِدِي هَذَا".
فَهَذَا مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ؛ فَإِنَّ الْآيَةَ إِنَّمَا نَزَلَتْ فِي مَسْجِدِ قُباء،
كَمَا وَرَدَ فِي الْأَحَادِيثِ الْأُخَرِ.
و لَكِنْ إِذَا كَانَ ذَاكَ أسّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْم،
فَمَسْجِدُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺأَوْلَى بِتَسمِيَته بِذَلِكَ، وَ اللَّهُ أَعْلَمُ.

(إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا)

يدرك أسرار الأمور، و خفايا الصدور، و خبايا السماوات و الأرض،

و الأعمال التي تبين و تسر.

فلطفه و خبرته، يقتضي حثهن على الإخلاص و إسرار الأعمال،

و مجازاة اللّه على تلك الأعمال.

(لَطِيفًا)

***ذَا لُطْفٍ بِكُنَّ، إِذْ جَعَلَكُنَّ فِي الْبُيُوتِ الَّتِي تُتْلَى فِيهَا آيَاتُهُ وَ الْحِكْمَةُ.

وَ هِيَ السُّنَّــةُ،

***لَطِيفٌ بِاسْتِخْرَاجِهَا،

(خَبِيرًا)

***بكنَّ إِذِ اخْتَارَكُنَّ لِرَسُولِهِ أَزْوَاجًا.

*** خَبِيرٌ بِمَوْضِعِهَا.

و من معاني (اللطيف) :-

1-الذي يسوق عبده إلى الخير،

2-و يعصمه من الشر، بطرق خفية لا يشعر بها،

3-و يسوق إليه من الرزق، ما لا يدريه،

4-و يريه من الأسباب، التي تكرهها النفوس ما يكون ذلك طريقا له إلى أعلى الدرجات، و أرفع المنازل.

إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾

*جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:

سنن الترمذي ت شاكر

3211 - عَنْ أُمّ عُمَارَةَ الأَنْصارِيّة، أَنّهَا أَتَتِ النّبِيّ ﷺ فقَالَتْ:
مَا أَرَى كُلّ شَيْءٍ إلّا للرّجَال
وَ مَا أَرَى النّسَاءَ يُذْكَرْنَ بِشَيْءٍ؟ فَنَزَلَتْ هَذِه الآيَةَ
{إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ}[الأحزاب:35]الآيَةَ

***السنن الكبرى للنسائي

مقومات الشخصية الاسلامية

11341عن عَبْد الرَّحْمَنِ بْنُ شَيْبَةَ،
قَالَ: سَمِعْتُ أُمَّ سَلَمَةَ، زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ تَقُولُ:
قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: «مَا لَنَا لَا نُذْكَرُ فِي الْقُرْآنِ كَمَا يُذْكَرُ الرِّجَالُ؟»
قَالَتْ:فَلَمْ يَرُعْنِي ذَاتَ يَوْمٍ ظُهْرًا إِلَّا نِدَاؤُهُ عَلَى الْمِنْبَرِ،
قَالَتْ: وَ أَنَا أُسَرِّحُ رَأْسِي، فَلَفَفْتُ شَعْرِي
ثُمَّ خَرَجْتُ إِلَى حُجْرَةِ بَيْتِي، فَجَعَلْتُ سَمْعِي عِنْدَ الْجَرِيدِ ،
فَإِذَا هُوَ يَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ:
{إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ} [الأحزاب: 35] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ
{أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا} [الأحزاب: 35]

❍لما ذكر تعالى ثواب زوجات الرسول ﷺ، ورعقابهن لو قدر عدم الامتثال
و أنه ليس مثلهن أحد من النساء، ذكر بقية النساء غيرهن.
و لما كان حكمهن و الرجال واحدًا، جعل الحكم مشتركًا،

فقال:-(إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ)

و هذا في الشرائع الظاهرة، إذا كانوا قائمين بها.

(وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ)

و هذا في الأمور الباطنة، من عقائد القلب و أعماله.

***دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْإِيمَانَ غَيْرُ الْإِسْلَامِ،
وَ هُوَ أَخَصُّ مِنْهُ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى:
{قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ} [الْحُجُرَاتِ:14] .

وَ فِي الصَّحِيحَيْنِ:"لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَ هُوَ مُؤْمِنٌ".
فَيَسْلُبُهُ الْإِيمَانَ، وَ لَا يَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ كُفْرُهُ بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ،
فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ أَخَصُّ مِنْهُ كَمَا قَرَّرْنَاهُ فِي أَوَّلِ شَرْحِ الْبُخَارِيِّ.

(وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ)

أي: المطيعين للّه و لرسوله

***الْقُنُوتُ: هُوَ الطَّاعَةُ فِي سُكُونٍ،
{أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ}
[الزُّمَرِ:9]

وَ قَالَ تعالى: {وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ} [الرُّومِ:26]

{يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ} [آلِ عِمْرَانَ:43]

{وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ} [الْبَقَرَةِ:238] .

فَالْإِسْلَامُ بَعْدَهُ مَرْتَبَةٌ يَرْتَقِي إِلَيْهَا، ثُمَّ الْقُنُوتُ نَاشِئٌ عَنْهُمَا.

(وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ)

في مقالهم و فعالهم

***هَذَا فِي الْأَقْوَالِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ خَصْلَةٌ مَحْمُودَةٌ؛

وَ لِهَذَا كَانَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ لَمْ تُجرّب عَلَيْهِ كِذْبة لَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ
وَ لَا فِي الْإِسْلَام
وَ هُوَ عَلَامَةٌ عَلَى الْإِيمَانِ، كَمَا أَنَّ الْكَذِبَ أَمَارَةٌ عَلَى النِّفَاقِ، و مَنْ صَدَقَ نَجا،
*** صحيح البخاري
6094 - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﵁عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:
«إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى البِرِّ، وَ إِنَّ البِرَّ يَهْدِي إِلَى الجَنَّةِ،
وَ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا.
وَ إِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ،
وَ إِنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ،
وَ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا»( )

(وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ)

على الشدائد و المصائب
***هَذِهِ سَجِيّة الْأَثْبَات، وَ هِيَ الصَّبْرُ عَلَى الْمَصَائِبِ،
وَ الْعِلْمُ بِأَنَّ الْمَقْدُورَ كَائِنٌ لَا مَحَالَةَ،
وَ تَلَقّي ذَلِكَ بِالصَّبْرِ وَ الثَّبَات،
وَ إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى،
أَيْ: أَصْعَبُهُ فِي أَوَّلِ وَهْلَة، ثُمَّ مَا بَعْدَهُ أَسْهَلُ مِنْهُ،
وَ هُوَ صِدْقُ السَّجِيَّةِ وَ ثَبَاتُهَا.

(يهدي) يوصل. (البر) اسم جامع لكل خير أي العمل الصالح الخالص من كل ذم. (ليصدق) يعتاد الصدق في كل أمر. (صديقا) يصبح الصدق صفة ذاتية له فيدخل في زمرة الصديقين ويستحق ثوابهم. (الفجور) اسم جامع لكل شر أي الميل إلى الفساد والانطلاق إلى المعاصي. (يكتب) يحكم له(كذابا) صيغة مبالغة من الكذب وهو من يصبح الكذب صفة ملازمة له]

(وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ)

في جميع أحوالهم،خصوصًا في عباداتهم، خصوصًا في صلواتهم

***الْخُشُـــوعُ:-

السُّكُونُ وَ الطُّمَأْنِينَةُ، وَ التُّؤَدَةُ وَ الْوَقَارُ وَ التَّوَاضُعُ.

وَ الْحَامِلُ عَلَيْهِ الْخَوْفُ مِنَ اللَّهِ وَ مُرَاقَبَتُهُ،

كَمَا فِي الْحَدِيثِ:اعْبُدِ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ".

(وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ)

فرضًا و نفلا

***الصَّدَقَةُ:

هِيَ الْإِحْسَانُ إِلَى النَّاسِ الْمَحَاوِيجِ الضُّعَفَاءِ،

الَّذِينَ لَا كَسْبَ لَهُمْ وَ لَا كَاسِبَ،

يُعْطَوْنَ مِنْ فُضُولِ الْأَمْوَالِ طَاعَةً لِلَّهِ، وَ إِحْسَانًا إِلَى خَلْقِهِ،

وَ قَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ:

"سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ"

فَذَكَرَ مِنْهُمْ: "و رجل تصدق بصدقة

فَأَخْفَاهَا، حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ"

وَ فِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ:

***سنن الترمذي ت شاكر :-

614 عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«وَ الصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ

(وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ)

شمل ذلك، الفرض و النفل

***وَ لَمَّا كَانَ الصَّوْمُ مِنْ أَكْبَرِ الْعَوْنِ عَلَى كَسْرِ الشَّهْوَةِ - كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

*** صحيح البخاري

1905 - عَنْ عَلْقَمَةَ، قَالَ: بَيْنَا أَنَا أَمْشِي، مَعَ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه

فَقَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ:

«مَنِ اسْتَطَاعَ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَ مَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ»( )

-نَاسَبَ أَنْ يَذْكُرَ بَعْدَهُ:-

(وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ)

○عن الزنا و مقدماته،

***أَيْ: عَنِ الْمَحَارِمِ وَ الْمَآثِمِ إِلَّا عَنِ الْمُبَاحِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:

{وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ} [الْمُؤْمِنُونَ: 5-7] .

العزوبة) العزب من لا زوج له والعزبة من لا زوج لها أي خاف أن يقع في الزنا لعدم الزواج وبعده عنه. (الباءة) هي في اللغة الجماع والتقدير من استطاع منكم الجماع لقدرته على مؤن النكاح وقيل المراد بالباءة هنا مؤن الزواج. (أغض للبصر) أدعى إلى غض البصر.

(أحصن للفرج) أدعى إلى إحصان الفرج أي حفظه من الزنا. (وجاء) قاطع للشهوة]

﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾

أي: في أكثر الأوقات، خصوصًا:-

أوقات الأوراد المقيدة، كالصباح و المساء، و أدبار الصلوات المكتوبات

***صحيح مسلم:-

(2676) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ:

كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، يَسِيرُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ فَمَرَّ عَلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ جُمْدَانُ، فَقَالَ: «سِيرُوا هَذَا جُمْدَانُ سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ»

قَالُوا: وَ مَا الْمُفَرِّدُونَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ

قَالَ: «الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيراً، وَ الذَّاكِرَاتُ»(Ô)

(المفردون) هكذا في الرواية فيه المفردون وهكذا نقله القاضي عن متقني شيوخهم وذكر غيره أنه روي بتخفيفها وإسكان الفاء يقال فرد الرجل وفرد بالتشديد والتخفيف وأفرد (والذاكرات) التقدير والذاكراته فحذفت الهاء هنا كما حذفت في القرآن لمناسبة رؤوس الآي ولأنه مفعول يجوز حذفه]

﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةً﴾

أي: لهؤلاء الموصوفين بتلك الصفات الجميلة، و المناقب الجليلة،

التي هي، ما بيــــــــن:-

1-اعتقادات،

2-و أعمال قلوب،

3-و أعمال جوارح،

4-و أقوال لسان،

5-و نفع متعد و قاصر،

6-و ما بين أفعال الخير، و ترك الشر

الذي من قام بهن،فقد قام بالدين كله، ظاهره و باطنه، بالإسلام و الإيمان و الإحسان.

فجازاهم على عملهم « بِالْمَغْفِرَةِ » لذنوبهم،

لأن الحسنات يذهبن السيئات

﴿وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾

لا يقدر قدره، إلا الذي أعطاه، مما لا عين رأت،

و لا أذن سمعت،

و لا خطر على قلب بشر، نسأل اللّه أن يجعلنا منهم.

وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ
أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ﴿٣٦﴾ وَإِذۡ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنۡعَمَ
ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَأَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِ أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ
مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا
زَوَّجۡنَٰكَهَا لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ إِذَا قَضَوۡاْ
مِنۡهُنَّ وَطَرٗاۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولٗا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنۡ حَرَجٖ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ
لَهُۥۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا مَّقۡدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ
يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ﴿٣٩﴾
مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ
وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ﴿٤٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾
وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ
لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ﴿٤٣﴾

وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ
مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ﴿٣٦﴾

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ﴾

أي: لا ينبغي و لا يليق، ممن اتصف بالإيمان، إلا:-

1-الإســـــــراع في مرضاة اللّه و رسوله،

2-و الهـــــــرب من سخط اللّه و رسوله،

3-و امتثـــــــال أمرهما،

4-و اجتنـــــاب نهيهما،

فلا يليق بمؤمن و لا مؤمنة

﴿إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا﴾

من الأمور، و حتَّما به و ألزما به

﴿أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ﴾

أي: الخيـــــــار، هل يفعلونه أم لا؟

بل يعلم المؤمن و المؤمنة، أن الرسول أولى به من نفسه،

فلا يجعل بعض أهواء نفسه حجابًا بينه و بين أمر اللّه ورسوله.

﴿أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ﴾

***فَهَذِهِ الْآيَةُ عَامَّةٌ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ،

وَ ذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا حَكَمَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ بِشَيْءٍ،

فَلَيْسَ لِأَحَدٍ مُخَالَفَتُهُ وَ لَا اخْتِيَارَ لِأَحَدٍ هَاهُنَا، وَ لَا رَأْيَ وَ لَا قَوْلَ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى:{فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [النِّسَاءِ:65]

***وَ لِهَذَا شَدَّدَ فِي خِلَافِ ذَلِكَ، فَقَالَ:

(وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا)

أي: بَيِّنًا، لأنه ترك الصراط المستقيم الموصلة إلى كرامة اللّه، إلى غيرها، من الطرق الموصلة للعذاب الأليم،

فذكر أولا السبب الموجب لعدم معارضته أمر اللّه و رسوله، و هـــــو:-

الإيمــــــان

ثم ذكر المــــانع مـــــن ذلك:-

و هو التخويـــــــف بالضلال، الدال على العقوبة و النكال.

كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [النور:63] .

وَإِذۡ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَأَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِ أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا زَوَّجۡنَٰكَهَا لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ إِذَا قَضَوۡاْ مِنۡهُنَّ وَطَرٗاۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولٗا ٣٧

و كان سبب نزول هذه الآيات:-

أن اللّه تعالى أراد أن يشرع شرعًا عامًا للمؤمنين،

أن الأدعياء ليسوا في حكم الأبناء حقيقة، من جميع الوجوه

و أن أزواجهم، لا جناح على من تبناهم، في نكاحهن.

❍و كان هذا من الأمور المعتادة، التي لا تكاد تزول إلا بحادث كبير،

فأراد أن يكون هذا الشرع قولا من رسوله و فعلا ،

و إذا أراد اللّه أمرًا، جعل له سببًا،

و كان زيد بن حارثة يدعى « زيد بن محمد » قد تبناه النبي ﷺ

فصار يدعى إليه حتى نزل(ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ) فقيل له: « زيد بن حارثة » .

❍و كانت تحته، زينب بنت جحش، ابنة عمة رسول اللّه ﷺ

و كان قد وقع في قلب الرسول، لو طلقها زيد، لتزوَّجها،

فقدر اللّه أن يكون بينها و بين زيد، ما اقتضى أن جاء زيد بن حارثة يستأذن النبي ﷺفي فراقها

قال اللّه: (وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ)

أي: بالإسلام [و متابعة الرسول]

(وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ)

بالعتق حين جاءك مشاورًا في فراقها:-

***وَ كَانَ سَيِّدًا كَبِيرَ الشَّأْنِ جَلِيلَ الْقَدْرِ، حَبِيبًا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يُقَالُ لَهُ:- الحِبّ، وَ يُقَالُ لِابْنِهِ أُسَامَةَ: الحِبّ ابْنُ الحِبّ.

***وَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺقَدْ زَوّجه بِابْنَةِ عَمَّتِهِ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ الْأَسَدِيَّةِ - فَمَكَثَتْ عِنْدَهُ قَرِيبًا مِنْ سَنَةٍ أَوْ فَوْقَهَا، ثُمَّ وَقَعَ بَيْنَهُمَا،
فَجَاءَ زَيْدٌ يَشْكُوهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

فقلت له ناصحًا له و مخبرًا بمصلحته مع وقوعها في قلبك:–

(أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ)

أي: لا تفارقها، و اصبر على ما جاءك منها

(وَاتَّقِ اللَّهَ)

تعالى في أمورك عامة،

و في أمر زوجك خاصة،

فإن التقوى، تحث على الصبر، و تأمر به.

(وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ)

و الذي أخفاه، أنه لو طلقها زيد، لتزوجها ﷺ

***جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:**

صحيح البخاري

4787 - عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه:

أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ: {وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ} [الأحزاب:37]
نَزَلَتْ فِي شَأْنِ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ و زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ

***مسند أحمد ط الرسالة

26041 - عَنْ عَامِرٍ، قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ
لَوْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺكَاتِمًا شَيْئًا مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ،

لَكَتَمَ هَذِهِ الْآَيَةَ عَلَى نَفْسِهِ {وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِى أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ} [الأحزاب: 37]

إِلَى قَوْلِهِ {وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولًا} [النساء: 47]

(وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ)

في عدم إبداء ما في نفسك

(وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ)

و أن لا تباليهم شيئًا،

(فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا)

أي: طابت نفسه، و رغب عنها، و فارقها.

(زَوَّجۡنَٰكَهَا)

***صحيح مسلم

(1428) عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: لَمَّا انْقَضَتْ عِدَّةُ زَيْنَبَ،

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺلِزَيْدٍ: «فَاذْكُرْهَا عَلَيَّ»

قَالَ: فَانْطَلَقَ زَيْدٌ حَتَّى أَتَاهَا وَ هِيَ تُخَمِّرُ عَجِينَهَا

قَالَ: فَلَمَّا رَأَيْتُهَا عَظُمَتْ فِي صَدْرِي،

حَتَّى مَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَنْظُرَ إِلَيْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺذَكَرَهَا،

فَوَلَّيْتُهَا ظَهْرِي، وَ نَكَصْتُ عَلَى عَقِبِي،

فَقُلْتُ: يَا زَيْنَبُ: أَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺيَذْكُرُكِ،

قَالَتْ: مَا أَنَا بِصَانِعَةٍ شَيْئًا حَتَّى أُوَامِرَ رَبِّي،
فَقَامَتْ إِلَى مَسْجِدِهَا، وَ نَزَلَ الْقُرْآنُ،
وَ جَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا بِغَيْرِ إِذْنٍ قَالَ، فَقَالَ:
وَ لَقَدْ رَأَيْتُنَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺأَطْعَمَنَا الْخُبْزَ وَ اللَّحْمَ حِينَ امْتَدَّ النَّهَارُ،
فَخَرَجَ النَّاسُ وَ بَقِيَ رِجَالٌ يَتَحَدَّثُونَ فِي الْبَيْتِ بَعْدَ الطَّعَامِ،
فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺوَ اتَّبَعْتُهُ،
فَجَعَلَ يَتَتَبَّعُ حُجَرَ نِسَائِهِ يُسَلِّمُ عَلَيْهِنَّ،
وَ يَقُلْنَ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ وَجَدْتَ أَهْلَكَ؟
قَالَ: فَمَا أَدْرِي أَنَا أَخْبَرْتُهُ أَنَّ الْقَوْمَ قَدْ خَرَجُوا أَوْ أَخْبَرَنِي،
قَالَ: فَانْطَلَقَ حَتَّى دَخَلَ الْبَيْتَ، فَذَهَبْتُ أَدْخُلُ مَعَهُ،
فَأَلْقَى السِّتْرَ بَيْنِي وَ بَيْنَهُ، وَ نَزَلَ الْحِجَابُ،
قَالَ: وَوُعِظَ الْقَوْمُ بِمَا وُعِظُوا بِهِ زَادَ ابْنُ رَافِعٍ فِي حَدِيثِهِ:
{لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ}
[الأحزاب: 53] إِلَى قَوْلِهِ
{وَاللهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ} [الأحزاب: 53](Î)

(لزيد) هو زيد بن حارثة الذي سماه الله سبحانه في تلك السورة من كتابه (فاذكرها علي) أي فاخطبها لي من نفسها (تخمر عجينها) أي تجعل في عجينها الخمير قال المجد وتخمير العجين تركه ليجود (فلما رأيتها عظمت في صدري) معناه أنه هابها واستجلها من أجل إرادة النبي ﷺتزوجها فعاملها معاملة من تزوجها ﷺفي الإعظام والإجلال والمهابة وقوله أن رسول الله هو بفتح الهمزة من أن أي من أجل ذلك وقوله نكصت أي رجعت وكان جاء إليها ليخطبها وهو ينظر إليها على ما كان من عادتهم وهذا قبل نزول الحجاب فلما غلب عليه الإجلال تأخر وخطبها وظهره إليها لئلا يسبقه النظر إليها (إلى مسجدها) أي موضع صلاتها من بيتها (ونزل القرآن) يعني نزل قوله تعالى فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها فدخل عليها بغير إذن (ولقد رأيتنا) أي رأيت أنفسنا (حين امتد النهار) أي ارتفع هكذا هو في النسخ حين بالنون (غير ناظرين إناه) أي غير منتظرين لإدراكه والإنى كإلى مصدر أنى يأنى إذا أدرك ونضج ويقال بلغ هذا إناء أي غايته ومنه حميم

و إنما فعلنا ذلك، لفائدة عظيمة،

و هي: ﴿لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ﴾

حيث رأوك تزوجت، زوج زيد بن حارثة، الذي كان من قبل، ينتسب إليك.

***جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:**

ابن سعد ج8 ق1 ص73 -عن ثابت عن أنس

قال نزلت في زينب بنت جحش {فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا}

قال فكانت تفخر على نساء النبيﷺتقول:

زوجكن أهلكن وزوجني الله من فوق سبع سموات

*** عن أنس بن مالكﷺ قال:-**

لما انقضت عدة زينت بنت جحش

قال رسول اللهﷺلزيد بن حارثة ما أجد أحدا آمن عندي

و أوثق في نفسي منك ائت إلى زينب

فاخطبها علي قال فانطلق زيد

فأتاها وهي تخمر عجينها

فلما رأيتها عظمت في صدري

فلم أستطع أن أنظر إليها حين عرفت أن رسول اللهﷺ قد ذكرها

فوليتها ظهري و نكصت على عقبي

و قلت يا زينب أبشري إن رسول اللهﷺيذكرك

آن وعين آنية وبابه رمى ويقال أنى يأنى أيضا إذا دنا وقرب ومنه ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وقد يستعمل على القلب فيقال آن يئين آينا فهو آين جمعهما الشاعر في قوله

ألما يئن لي أن تجلى عمايتي ... وأقصر عن ليلى بلى قد أنى ليا

قالت: ما أنا بصانعة شيئا حتى أؤامر ربي فقامت إلى مسجدها ونزل القرآن {فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا} ()

❍و لما كان قوله: (لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٌ)

***الميسر:اثم و ذنب**

(فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ)

***الميسر:في أن يتزوجوا من زوجات من كانوا يتبنّوْنهم بعد طلاقهن**

❍عامًا في جميع الأحوال، و كان من الأحوال، ما لا يجوز ذلك، و هي قبل انقضاء وطره منها،

قيد ذلك بقوله:(إِذَا قَضَوۡاْ مِنۡهُنَّ وَطَرٗاۚ)

***الميسر:-إذا قضوا منهن حاجتهم.**

***الجزائري:و لم يبق له رغبة فيها لتعاليها عليه بشرف نسبها و محتد آبائها.**

***أَيْ:إِنَّمَا أَبَحْنَا لَكَ تَزْوِيجَهَا وَ فَعَلْنَا ذَلِكَ؛
لِئَلَّا يَبْقَى حَرَجٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَزْوِيجِ مُطَلَّقَاتِ الْأَدْعِيَاءِ،
وَ ذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺكَانَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ قَدْ تَبَنَّى زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ،
فَكَانَ يُقَالُ لَهُ: "زَيْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ"،
فَلَمَّا قَطَعَ اللَّهُ هَذِهِ النِّسْبَةَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى:

الحديث رجاله رجال الصحيح و أخرجه أحمد ج3 ص195 و أخرجه مسلم ج9 ص228.

{وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ}

ثُمَّ زَادَ ذَلِكَ بَيَانًا وَ تَأْكِيدًا بِوُقُوعِ تَزْوِيجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺبِزَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ لَمَّا طَلَّقَهَا زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ؛

وَ لِهَذَا قَالَ فِي آية التحريم:{وَحَلائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلابِكُمْ} [النِّسَاءِ:23] لِيَحْتَرِزَ مِنَ الِابْنِ الدَّعِي؛ فَإِنَّ ذَلِكَ كَانَ كَثِيرًا فِيهِمْ.

(وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا)

أي: لا بد من فعله، و لا عائق له و لا مانع.

***وَ كَانَ هَذَا الْأَمْرُ الَّذِي وَقَعَ قَدْ قَدَّرَهُ اللَّهُ تَعَالَى و حَتَّمه،

وَ هُوَ كَائِنٌ لَا مَحَالَةَ، كَانَتْ زَيْنَبُ فِي عِلْمِ اللَّهِ سَتَصِيرُ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ.

و في هذه الآيات المشتملات على هذه القصة، فــــــوائد:-

1-الثناء على زيد بن حارثة، و ذلك من وجهيــــــــن: -

1-1 :-أن اللّه سماه في القرآن، و لم يسم من الصحابة باسمه غيره.

1-2 :-أن اللّه أخبر أنه أنعم عليه،

أي: بنعمـــــــة الإسلام و الإيمان.

و هذه شهادة من اللّه له أنه مسلم مؤمن، ظاهرًا و باطنًا،

و إلا فلا وجه لتخصيصه بالنعمة، لولا أن المراد بها، النعمة الخاصة.

2-أن المُعْتَق في نعمة الْمُعْتِق.

3–جواز تزوج زوجة الدَّعِيّ، كما صرح به.

4–أن التعليم الفعلي، أبلغ من القولي،

خصوصا، إذا اقترن بالقول، فإن ذلك، نور على نور.

5–أن المحبة التي في قلب العبد، لغير زوجته و مملوكته، و محارمه،

إذا لم يقترن بها محذور، لا يأثم عليها العبد،

و لو اقترن بذلك أمنيته، أن لو طلقها زوجها،

لتزوجها من غير أن يسعى في فرقة بينهما

أو يتسبب بأي سبب كان،

لأن اللّه أخبر أن الرسولﷺ أخفى ذلك في نفسه.

6–أن الرسول ﷺ، قد بلغ البلاغ المبين،

فلم يدع شيئًا مما أوحي إليه، إلا و بلغه،

حتى هذا الأمر، الذي فيه عتابه.

و هذا يدل، على أنه رسول اللّهﷺ و لا يقول إلا ما أوحي إليه،

و لا يريد تعظيم نفسه.

7–أن المستشار مؤتمن، يجب عليه – إذا استشير في أمر من الأمور–

أن يشير بما يعلمه أصلح للمستشير

و لو كان له حظ نفس، فتقدم مصلحة المستشير على هوى نفسه و غرضه.

8–أن من الرأي الحسن لمن استشار في فراق زوجته أن يؤمر بإمساكها

مهما أمكن صلاح الحال، فهو أحسن من الفرقة.

9- أنه يتعين أن يقدم العبد خشية اللّه، على خشية الناس،

و أنها أحق منها و أولى.

10-فضيلة زينب رضي اللّه عنها أم المؤمنين، حيث تولى اللّه تزويجها،

من رسوله ﷺ، من دون خطبة و لا شهود،

و لهذا كانت تفتخر بذلك على أزواج رسول اللّه ﷺ

و تقول زوجكن أهاليكن، و زوجني اللّه من فوق سبع سماوات.

11-أن المرأة، إذا كانت ذات زوج، لا يجوز نكاحها،

و لا السعي فيه و في أسبابه، حتى يقضي زوجها وطره منها،

و لا يقضي وطره، حتى تنقضي عدتها،

لأنها قبل انقضاء عدتها، هي في عصمته،

أو في حقه الذي له وطر إليها، و لو من بعض الوجوه.

مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُۚ

وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ

وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾

هذا دفع لطعن من طعن في الرسول ﷺ في كثرة أزواجه،

و أنه طعن، بما لا مطعن فيه،

فقال: (مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ)

أي: إثم و ذنب.

(فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ)

***فِيمَا أَحَلَّ لَهُ وَأَمَرَهُ بِهِ مِنْ تَزْوِيجِ زَيْنَبَ الَّتِي طَلَّقَهَا دَعِيُّه زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ.

أي: قدر له من الزوجات،

فإن هذا، قد أباحه اللّه للأنبياء قبله

و لهذا قال: (سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۚ)

***هَذَا حُكْمُ اللَّهِ فِي الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَهُ، لَمْ يَكُنْ لِيَأْمُرَهُمْ بِشَيْءٍ

وَ عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ حَرج

(وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا مَّقۡدُورًا)

أي: لا بد من وقوعه.

ثم ذكر من هم الذين من قبل قد خلوا،

و هذه سنتهم و عادتهم

و أنهم (ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ)

فيتلون على العباد آيات اللّه، و حججه و براهينه، و يدعونهم إلى اللّه

(وَيَخۡشَوۡنَهُۥ)

وحده لا شريك له

(وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ)

فإذا كان هذا، سنة في الأنبياء المعصومين،

الذين وظيفتهم قد أدوها و قاموا بها، أتم القيام،

و هو: دعـــــــوة الخلق إلى اللّه،

و الخشية منه وحده التي تقتضي فعل كل مأمور،

و ترك كل محظور، دل ذلك على أنه لا نقص فيه بوجه.

(وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا)

محاسبًا عباده، مراقبًا أعمالهم.

و علم من هذا، أن النكاح، من سنن المرسلين.

مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ

وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾

(مَّا كَانَ)

أي: لم يكن الرسول

(مُحَمَّدٌ)

ﷺ

(أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ)

أيها الأمة فقطع انتساب زيد بن حارثة منه، من هذا الباب.

❍و لما كان هذا النفي عامًّا في جميع الأحوال،

إن حمل ظاهر اللفظ على ظاهره،

أي: لا أبوة نسب، و لا أبوة ادعاء،

***نَهَى تَعَالَى أَنَّ يُقَالَ بَعْدَ هَذَا: "زَيْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ"

أَيْ: لَمْ يَكُنْ أَبَاهُ وَإِنْ كَانَ قَدْ تَبَنَّاهُ

فَإِنَّهُ، ﷺلَمْ يَعِشْ لَهُ وَلَدٌ ذَكَرٌ حَتَّى بَلَغَ الْحُلُمَ؛

فَإِنَّهُ وُلِدَ لَهُ:-

الْقَاسِمُ، وَ الطَّيِّبُ، وَ الطَّاهِرُ، مِنْ خَدِيجَةَ فَمَاتُوا صِغَارًا،

وَ وُلِدَ لَهُ :-

إِبْرَاهِيمُ مِنْ مَارِيَةَ الْقِبْطِيَّةِ، فَمَاتَ أَيْضًا رَضِيعًا

وَ كَانَ لَهُ مِنْ خَدِيجَةَ أَرْبَعُ بَنَاتٍ:-

زَيْنَبُ، وَ رُقَيَّةُ، وَ أُمُّ كُلْثُوم، وَ فَاطِمَةُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ،

فَمَاتَ فِي حَيَاتِهِ ثَلَاثٌ وَ تَأَخَّرَتْ فَاطِمَةُ حَتَّى أُصِيبَتْ بِهِ،

صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ مَاتَتْ بَعْدَهُ لِسِتَّةِ أَشْهُرٍ.

○و قد كان تقرر فيما تقدم أن الرسول ﷺ، أب للمؤمنين كلهم،

و أزواجه أمهاتهم،

فاحترز أن يدخل في هذا النوع، بعموم النهي المذكور

فقال: (وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ)

أي: هذه مرتبته مرتبة المطاع المتبوع،

المُهْتَـــــــــدى به،

المؤمن له الذي يجب تقديم محبته، على محبة كل أحد،

الناصح الذي لهم، أي: للمؤمنين، من بره و نصحه كأنه أب لهم.

*** كَقَوْلِهِ: {اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ} [الْأَنْعَامِ:124]

فَهَذِهِ الْآيَةُ نَصٌّ فِي أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ،
وَ إِذَا كَانَ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ فَلَا رَسُولَ بَعْدَهُ بِطَرِيقِ الْأَوْلَى وَ الْأَحْرَى؛
لِأَنَّ مَقَامَ الرِّسَالَةِ أَخَصُّ مِنْ مَقَامِ النُّبُوَّةِ،
فَإِنَّ كُلَّ رَسُولٍ نَبِيٌّ، وَ لَا يَنْعَكِسُ.
وَ بِذَلِكَ وَرَدَتِ الْأَحَادِيثُ الْمُتَوَاتِرَةُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ من حَدِيثِ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ.

***صحيح البخاري

3535 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ:
إِنَّ مَثَلِي وَ مَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَ أَجْمَلَهُ،
إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ،
فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ، وَ يَعْجَبُونَ لَهُ،
وَ يَقُولُونَ هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ؟
قَالَ: فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَ أَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ "

***صحيح مسلم

(523) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:
<u>فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ:-</u>
1-أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ،
2-وَ نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ،
3-وَ أُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ،
4-وَ جُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَهُورًا وَ مَسْجِدًا،
5-وَ أُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً،

6-وَ خُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ "( )

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا﴾

أي: قد أحاط علمه بجميع الأشياء

و يعلم حيث يجعل رسالاته،

و من يصلح لفضله، و من لا يصلح.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾

هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ

وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ﴿٤٣﴾

الامر بكثرة تسبيح الله و ذكره 41-44

(أعطيت جوامع الكلم) وفي رواية الأخرى بعثت بجوامع الكلم قال الهروي يعني به القرآن جمع الله تعالى في الألفاظ اليسيرة منه المعاني الكثيرة و كلامه ﷺ كان بالجوامع قليل اللفظ كثير المعاني]

22-م02-ص423

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾

يأمر تعالى المؤمنين، بذكره ذكرا كثيرًا، مــــــــن:–

تهليل، و تحميد، و تسبيح، و تكبير و غير ذلك، مــــــــن:–

كـــــــل قول فيه قــــــــربة إلى اللّه،

و أقل ذلك، أن يلازم الإنسان:–

أوراد الصباح، و المساء، و أدبار الصلوات الخمس،

و عند العوارض و الأسباب.

❍و ينبغي مداومة ذلك، في جميع الأوقات، على جميع الأحوال

فإن ذلك عبادة يسبق بها العامل،

و هو مستريح، و داع إلى محبة اللّه و معرفته،

و عون على الخير، و كف اللسان عن الكلام القبيح.

***سنن الترمذي ت شاكر

3377 - عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ﷛ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ،

وَ أَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ،

وَ أَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ

وَ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَ الوَرِقِ،

وَ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَ يَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ»؟

قَالُوا: بَلَى. قَالَ: «ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى»

قَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: «مَا شَيْءٌ أَنْجَى مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ»

***مسند أحمد ط الرسالة

17680 - عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُسْرٍ﷛ قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺأَعْرَابِيَّانِ

فَقَالَ أَحَدُهُمَا: مَنْ خَيْرُ الرِّجَالِ يَا مُحَمَّدُ؟

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:مَنْ طَالَ عُمْرُهُ، وَ حَسُنَ عَمَلُهُ

وَ قَالَ الْآخَرُ: إِنَّ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيْنَا، فَبَابٌ نَتَمَسَّكُ بِهِ جَامِعٌ؟

قَالَ:لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللهِ

***إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَفْرِضْ عَلَى عِبَادِهِ فَرِيضَةً إِلَّا جَعَلَ لَهَا حَدًّا مَعْلُومًا،
ثُمَّ عَذَرَ أَهْلَهَا فِي حَالِ عُذْرٍ، غَيْرَ الذِّكْرِ،
فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ حَدًّا يَنْتَهِي إِلَيْهِ،
وَ لَمْ يَعْذُرْ أَحَدًا فِي تَرْكِهِ، إِلَّا مَغْلُوبًا عَلَى تَرْكِهِ،

فَقَالَ: {فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ} [النِّسَاءِ:103]

بِاللَّيْلِ وَ النَّهَارِ، فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ ، وَ فِي السَّفَرِ وَ الْحَضَرِ، وَ الْغِنَى وَ الْفَقْرِ،
وَ الصِّحَّةِ وَ السَّقَمِ، وَ السِّرِّ وَ الْعَلَانِيَةِ، وَ عَلَى كُلِّ حَالٍ،

(وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا)

أي: أول النهار وآخره، لفضلها، و شرفها، و سهولة العمل فيها.

***عِنْدَ الصَّباحِ وَ الْمَسَاءِ، كَقَوْلِهِ:

{فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ}[الرُّومِ:17، 18]

***فَإِذَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ صَلَّى عَلَيْكُمْ هُوَ وَمَلَائِكَتُهُ.
وَ الْأَحَادِيثُ وَ الْآيَاتُ وَ الْآثَارُ فِي الْحَثِّ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ كَثِيرَةٌ جِدًّا،
وَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ الْحَثُّ عَلَى الْإِكْثَارِ مِنْ ذَلِكَ.

(هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيۡكُمۡ)

***هَذَا تَهْيِيجٌ إِلَى الذِّكْرِ،

أَيْ: إِنَّهُ سُبْحَانَهُ يَذْكُرُكُمْ فَاذْكُرُوهُ أَنْتُمْ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى:

{كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولا مِنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ} [الْبَقَرَةِ: 151، 152]

*** صحيح البخاري

7405 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺقَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَ أَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي،

فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي،

وَ إِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ،

وَ إِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا،

وَ إِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا،

وَ إِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً "

***وَ الصَّلَاةُ مِنَ اللَّهِ :-

ثَنَاؤُهُ عَلَى الْعَبْدِ عِنْدَ الْمَلَائِكَةِ

***وَ قَالَ غَيْرُهُ:- الصَّلَاةُ مِنَ اللَّهِ: الرَّحْمَةُ

وَرَدَّ بِقَوْلِهِ: {أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ}

وَ قَدْ يُقَالُ: لَا مُنَافَاةَ بَيْنَ الْقَوْلَيْنِ وَ اللَّهُ أَعْلَمُ.

(وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ)

***وَ أَمَّا الصَّلَاةُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ:-

فَبِمَعْنَى الدُّعَاءِ لِلنَّاسِ وَ الِاسْتِغْفَارِ

كَقَوْلِهِ: {الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ} الْآيَةَ. [غَافِرٍ: 7-9] .

(لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ)

***بِسَبَبِ رَحْمَتِهِ بِكُمْ وَ ثَنَائِهِ عَلَيْكُمْ، وَ دُعَاءِ مَلَائِكَتِهِ لَكُمْ، يُخْرِجُكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْجَهْلِ وَ الضَّلَالِ إِلَى نُورِ الْهُدَى وَ الْيَقِينِ.

(وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا)

***فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ،

أَمَّا فِي الدُّنْيَا:-

1-فَإِنَّهُ هَدَاهُمْ إِلَى الْحَقِّ الَّذِي جَهِلَهُ غَيْرُهُمْ،

2-و بَصّرهم الطَّرِيقَ الَّذِي ضَلَّ عَنْهُ وَ حَادَ عَنْهُ مِنْ سِوَاهُمْ مِنَ الدُّعَاةِ إِلَى الْكُفْرِ أَوِ الْبِدْعَةِ وَ أَشْيَاعِهِمْ مِنَ الطَّغَامِ .

3–و من رحمته بالمؤمنين و لطفه بهم:–

أن جعل من صلاته عليهم، و ثنائه، و صلاة ملائكته و دعائهم،

ما يخرجهم من ظلمات الذنوب و الجهل، إلـــــــى:–

نور الإيمـــــــان، و التــــــوفيق، و الـــــعلم، و العمـــــــل،

○فهذه أعظم نعمة، أنعم بها على العباد الطائعين،تستدعـــــــــي منهم :–

1–شكرهـــــا،

2–و الإكثـــــــار من ذكر اللّه، الذي لطف بهم و رحمهم،

و جعل حملة عرشه، أفضل الملائكة،

و من حوله، يسبحون بحمد ربهم و يستغفرون للذين آمنوا فيقولون:

(رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ* وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)

فهذه رحمته و نعمته عليهم في الدنيا.

وَ أَمَّا رَحْمَتُهُ بِهِمْ فِي الْآخِرَة:-

1-فَآمَنَهُمْ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ،

2-وَ أَمَرَ مَلَائِكَتَهُ يَتَلَقَّوْنَهُمْ بِالْبِشَارَةِ بِالْفَوْزِ بِالْجَنَّةِ وَ النَّجَاةِ مِنَ النَّارِ،

وَ مَا ذَاكَ إِلَّا لِمَحَبَّتِهِ لَهُمْ وَ رَأْفَتِهِ بِهِمْ.

﴿وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾

آية في كتاب الله تُبكيني، فعندما أرى منكرًا أضعف عن إنكاره أو أسكتُ؛
أتذكر قول الله عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾[1]، تأمَّلتُها أوَّلَ مرةٍ وأنا أبكي: كيف لا أخشى الله وحده وهو مراقب لي، وحاولت فعلا تربية نفسي عند رؤية المنكر أن لا أخشى ولا أخاف إلا الله، فأصبحتُ عندما أنصح من حولي إذا انتابني شعور بالخوف أتذكر تلك الآية: ﴿وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾.

الأحزاب: ٣٩

تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ
شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾
وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾
وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ
وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ
أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا
جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا
مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ
وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ
أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا
عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ
وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾

تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾

(تَحِيَّتُهُمْ)

***من الله تعالى

(يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞۚ)

***يَوْمَ يُسَلِّمُ عَلَيْهِمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى:-{سَلامٌ قَوْلا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ} [يس:58]

(وَأَعَدَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَرِيمٗا)

***الْجَنَّةَ وَ مَا فِيهَا مِنَ الْمَآكِلِ وَ الْمُشَارِبِ،وَ الْمَلَابِسِ وَ الْمَسَاكِنِ،وَ الْمَنَاكِحِ وَ الْمَلَاذِّ وَ الْمَنَاظِرِ وَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ،
وَ لَا أُذُنٌ سَمِعَتْ،
وَ لَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ.

و أما رحمته بهم في الآخرة، فأجل رحمة، و أفضل ثواب،و هو:-

1-الفوز برضا ربهم،

2-و تحيتـــــــه،

3-و استماع كلامه الجليل،

4-و رؤية وجهه الجميل،

5-و حصول الأجر الكبير،

الذي لا يدري و لا يعرف كنهه، إلا من أعطاهم إياه،

و لهذا قال: (تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞۚ وَأَعَدَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَرِيمٗا)

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ
وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ

ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ)

*** صحيح البخاري

4838 - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ الَّتِي فِي القُرْآنِ:{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا}

[الأحزاب: 45]

قَالَ فِي التَّوْرَاةِ: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَ مُبَشِّرًا وَ حِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ،

أَنْتَ عَبْدِي وَ رَسُولِي، سَمَّيْتُكَ المُتَوَكِّلَ،

لَيْسَ بِفَظٍّ وَ لاَ غَلِيظٍ،

مهمة النبى ﷺ و بعض صفاته45-48

وَ لاَ سَخَّابٍ بِالأَسْوَاقِ

وَ لاَ يَدْفَعُ السَّيِّئَةَ بِالسَّيِّئَةِ،

وَ لَكِنْ يَعْفُو وَ يَصْفَحُ،

وَ لَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ المِلَّةَ العَوْجَاءَ،

بِأَنْ يَقُولُوا:لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَيَفْتَحَ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا، وَ آذَانًا صُمًّا، وَ قُلُوبًا غُلْفًا "

○هذه الأشياء، التي وصف الله بها رسوله محمدًا ﷺ هي المقصود من

رسالته،

و زبدتها و أصولها، التي اختص بها

و هي خمسة أشياء:

1–كونه (شَٰهِدًا) أي: شاهدًا على أمته بما عملوه، من خير و شر،

***لِلَّهِ بِالْوَحْدَانِيَّةِ، وَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَ عَلَى النَّاسِ بِأَعْمَالِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،

{وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيدًا}

كما قال تعالى:(لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا)

[الْبَقَرَةِ: 143]

{فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا}

[النساء: 41]

فهو ﷺشاهد عدل مقبول.

2+3- كونه (وَمُبَشِّرًا وَنَـذِيرًا)

و هذا يستلزم ذكر المبشر و المنذر،

و ما يبشر به و ينذر، و الأعمال الموجبة لذلك.

فالمبشَّـــــــــــر هم:-

المؤمنون المتقون، الذين جمعوا بين الإيمان و العمل الصالح،و ترك المعاصي،

لهم البشرى في الحياة الدنيا، بكل ثواب دنيوي و ديني،

رتب على الإيمان و التقوى، و في الأخرى بالنعيم المقيم.

و ذلك كله يستلزم، ذكر تفصيل المذكور، من تفاصيل الأعمال،

و خصال التقوى، و أنواع الثواب.

و الْمنـــــــذَر هم:-

المجرمون الظالمون، أهل الظلم و الجهل، لهم النذارة في الدنيا،

من العقوبات الدنيوية و الدينية:

المترتبة على الجهل و الظلم،

و في الأخـــــــرى:-

بالعقاب الوبيل، والعذاب الطويل.

و هذه الجملة تفصيلها، ما جاء به ﷺ، من الكتاب والسنة،

المشتمل على ذلك.

4-كونه (وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ)

أي: أرسله اللّه، يدعو الخلق إلى ربهم، و يسوقهم لكرامته، و يأمرهم بعبادته، التي خلقوا لها،

و ذلك يستلزم استقامته، على ما يدعو إليه،

و ذكر تفاصيل ما يدعو إليه، بتعريفهم لربهم بصفاته المقدسة،

و تنزيهه عما لا يليق بجلاله،

و ذكر أنواع العبودية، و الدعوة إلى اللّه بأقرب طريق موصل إليه،

و إعطاء كل ذي حق حقه،

و إخلاص الدعوة إلى اللّه، لا إلى نفسه و تعظيمها،

كما قد يعرض ذلك لكثير من النفوس في هذا المقام،

و ذلك كله (بِإِذۡنِهِۦ)

الله تعالى له في الدعوة و أمره و إرادته و قدره.

5-كونه (وَسِرَاجًا مُّنِيرًا)

***و أمرُك ظَاهِرٌ فِيمَا جِئْتَ بِهِ مِنَ الْحَقِّ، كَالشَّمْسِ فِي إِشْرَاقِهَا وَ إِضَاءَتِهَا، لَا يَجْحَدُهَا إِلَّا مُعَانِدٌ.

❍و ذلك يقتضي أن الخلق في ظلمة عظيمة، لا نور، يهتدى به في ظلماتها،

و لا علم، يستدل به في جهالاتها حتى جاء اللّه بهذا النبي الكريم،

فأضاء اللّه به تلك الظلمات، و علم به من الجهالات،

و هدى به ضُلالا إلى الصراط المستقيم.

فأصبح أهل الاستقامة، قد وضح لهم الطريق،

فمشوا خلف هذا الإمام و عرفوا به الخير و الشر،

و أهل السعادة من أهل الشقاوة، و استناروا به،

لمعرفة معبودهم، و عرفوه بأوصافه الحميدة، و أفعاله السديدة، و أحكامه الرشيدة.

و قوله: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴾

ذكر في هذه الجملة، المبشَّر، و هم المؤمنون،

و عند ذكر الإيمان بمفرده، تدخل فيه الأعمال الصالحة.

و ذكر المبشَّـــــــــر به:-

و هو الفضل الكبير، أي: العظيم الجليل،

الذي لا يقادر قدره، من النصر في الدنيا، و هداية القلوب، و غفران الذنوب،

و كشف الكروب، و كثرة الأرزاق الدَّارَّة،

و حصول النعم السارة، و الفوز برضا ربهم و ثوابه،

و النجاة من سخطه و عقابه.

و هذا مما ينشط العاملين، أن يذكر لهم، من ثواب اللّه على أعمالهم،

ما به يستعينون على سلوك الصراط المستقيم،

و هذا من جملة حكم الشرع، كما أن من حكمه، أن يذكر في مقام الترهيب،

العقوبات المترتبة على ما يرهب منه،

ليكون عونًا على الكف عما حرم اللّه.

و لما كان ثَمَّ طائفة من الناس، مستعدة للقيام بصد الداعين إلى اللّه،

من الرسل و أتباعهم، و هم المنافقون،

الذين أظهروا الموافقة في الإيمان،

و هم كفرة فجرة في الباطن، و الكفار ظاهرًا و باطنًا،

نهى اللّه رسوله عن طاعتهم،

و حذره ذلك فقال: ﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾

أي: في كل أمر يصد عن سبيل اللّه،

و لكن لا يقتضي هذا أذاهم، بل لا تطعهم

﴿وَدَعْ أَذَىٰهُمْ ﴾

فإن ذلك، جالب لهم، و داع إلى قبول الإسلام،

و إلى كف كثير من أذيتهم له، و لأهله.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ ﴾

في إتمام أمرك، و خذلان عدوك،

(وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا)

تُوكَلُ إليه الأمور المهمة، فيقوم بها، و يسهلها على عبده.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ
فَمَا لَكُمۡ عَلَيۡهِنَّ مِنۡ عِدَّةٖ تَعۡتَدُّونَهَاۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴿٤٩﴾

حكم الطلاق قبل المساس

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ)

يخبر تعالى المؤمنين، أنهم إذا نكحوا المؤمنات،

ثم طلقوهن من قبل أن يمسوهن،

فليس عليهن في ذلك، عدة يعتدها أزواجهن عليهن،

و أمرهم بتمتيعهن بهذه الحالة، بشيء من متاع الدنيا،

الذي يكون فيه جبر لخواطرهن، لأجل فراقهن،

و أن يفارقوهن فراقًا جميلا من غير مخاصمة،

و لا مشاتمة، و لا مطالبة، و لا غير ذلك.

○و يستدل بهذه الآية، على أن الطلاق، لا يكون إلا بعد النكاح.

فلو طلقها قبل أن ينكحها، أو علق طلاقها على نكاحها، لم يقع، لقوله:

(إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ)

فجعل الطلاق بعد النكاح، فدل على أنه قبل ذلك، لا محل له.

و إذا كان الطلاق الذي هو فرقة تامة، و تحريم تام، لا يقع قبل النكاح، فالتحريم الناقص، لظهار، أو إيلاء و نحوه، من باب أولى و أحرى، أن لا يقع قبل النكاح، كما هو أصح قَوْلي العلماء.

(مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ)

❍و يدل على جواز الطلاق، لأن اللّه أخبر به عن المؤمنين، على وجه لم يلمهم عليه، و لم يؤنبهم، مع تصدير الآية بخطاب المؤمنين.

و على جوازه قبل المسيس، كما قال في الآية الأخرى

(لا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ)

و على أن المطلقة قبل الدخول، لا عدة عليها، بل بمجرد طلاقها، يجوز لها التزوج، حيث لا مانع، و على أن عليها العدة، بعد الدخول.

❍و هل المراد بالدخول و المسيس، الوطء كما هو مجمع عليه؟ أو و كذلك الخلوة، و لو لم يحصل معها وطء، كما أفتى بذلك الخلفاء الراشدون،

و هو الصحيح. فمن دخل عليها، وطئها، أم لا إذا خلا بها، وجب عليها العدة.

و على أن المطلقة قبل المسيس، تمتع على الموسع قدره، و على المقتر قدره،

و لكن هذا، إذا لم يفرض لها مهر، فإن كان لها مهر مفروض،

فإنه إذا طلق قبل الدخول، تَنَصَّف المهر، و كفى عن المتعة،

و على أنه ينبغي لمن فارق زوجته قبل الدخول أو بعده، أن يكون الفراق

جميلا يحمد فيه كل منهما الآخر.

و لا يكون غير جميل، فإن في ذلك، من الشر المرتب عليه،

من قدح كل منهما بالآخر، شيء كثير.

و على أن العدة حق للزوج، لقوله: (فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا)

دل مفهومه، أنه لو طلقها بعد المسيس

كان له عليها عدة و على أن المفارقة بالوفاة، تعتد مطلقًا، لقوله:

(ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ) الآية.

و على أن من عدا غير المدخول بها، من المفارقات من الزوجات،

بموت أو حياة، عليهن العدة.

*** هَذَا أَمْرٌ مُجْمَعٌ عَلَيْهِ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ:-

أَنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا طُلِّقَتْ قَبْلَ الدُّخُولِ بِهَا لَا عِدَّةَ عَلَيْهَا

فَتَذْهَبُ فَتَتَزَوَّجُ فِي فَوْرِهَا مَنْ شَاءَتْ،

وَ لَا يُسْتَثْنَى مِنْ هَذَا إِلَّا الْمُتَوَفَّى عَنْهَا زَوْجُهَا،

فَإِنَّهَا تَعْتَدُّ مِنْهُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَ عَشْرًا، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ دَخَلَ بِهَا بِالْإِجْمَاعِ أَيْضًا.

(فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا)

***الْمُتْعَةُ هَاهُنَا أَعَمُّ مِنْ أَنْ تَكُونَ نِصْفَ الصَّدَاقِ الْمُسَمَّى، أَوِ الْمُتْعَةُ

الْخَاصَّةُ إِنْ لَمْ يَكُنْ قَدْ سَمَّى لَهَا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

{وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ} [الْبَقَرَةِ: 237]

وَ قَالَ {لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ} [الْبَقَرَةِ: 236]

*** صحيح البخاري

5256 - عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ عَبَّاسِ بْنِ سَهْلٍ، عَنْ أَبِيهِ، وَ أَبِي أُسَيْدٍ، قَالاَ: «تَزَوَّجَ النَّبِيُّ ﷺ أُمَيْمَةَ بِنْتَ شَرَاحِيلَ،

فَلَمَّا أُدْخِلَتْ عَلَيْهِ بَسَطَ يَدَهُ إِلَيْهَا،

فَكَأَنَّهَا كَرِهَتْ ذَلِكَ فَأَمَرَ أَبَا أُسَيْدٍ أَنْ يُجَهِّزَهَا وَ يَكْسُوَهَا ثَوْبَيْنِ رَازِقِيَّيْنِ»

***قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:-

إِنْ كَانَ سَمَّى لَهَا صَدَاقًا، فَلَيْسَ لَهَا إِلَّا النِّصْفُ،

وَ إِنْ لَمْ يَكُنْ سَمَّى لَهَا صَدَاقًا فَأَمْتِعَهَا عَلَى قَدْرِ عُسْرِهِ وَ يُسْرِهِ،

وَ هُوَ السَّرَاحُ الْجَمِيلُ.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٌۗ

وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا ٥٠

يقول تعالى، ممتنًا على رسوله بإحلاله له ما أحل مما يشترك فيه،

هو و المؤمنون، و ما ينفرد به، و يختص:

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ)

جانب من خصوصيات النبى ﷺ 50-52

أي: أعطيتهن مهورهن، من الزوجات،

و هذا من الأمور المشتركة بينه و بين المؤمنين،

فإن المؤمنين كذلك يباح لهم ما آتوهن أجورهن، من الأزواج.

(و) كذلك أحللنا لك

(وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ)

أي: الإماء التي ملكت

(مِمَّآ أَفَآءَ)

***الميسر:أنعم**

(ٱللَّهُ عَلَيۡكَ)

***وَ أَبَاحَ لَكَ التَّسَرِّي مِمَّا أَخَذْتَ مِنَ الْمَغَانِمِ

وَ قَدْ مَلَكَ:-

1-صَفِيَّةَ

2-وَ جُوَيْرِيَةَ فَأَعْتَقَهُمَا وَ تَزَوَّجَهُمَا.

3-وَ مَلَكَ رَيْحَانَةَ بِنْتَ شَمْعُونٍ النَّضْرِيَّةَ،

4-وَ مَارِيَةَ الْقِبْطِيَّةَ أُمَّ ابْنِهِ إِبْرَاهِيمَ، عليه السلام

وَ كَانَتَا مِنَ السَّرَارِي، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

○من غنيمة الكفار من عبيدهم، و الأحرار من لهن زوج منهم،

و من لا زوج لهن،و هذا أيضا مشترك.

و كذلك من المشترك، قوله

(وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّـٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَـٰلَـٰتِكَ)

***هَذَا عَدْلٌ وَسط بَيْنِ الْإِفْرَاطِ وَ التَّفْرِيطِ؛

فَإِنَّ النَّصَارَى:-

لَا يَتَزَوَّجُونَ الْمَرْأَةَ إِلَّا إِذَا كَانَ الرَّجُلُ بَيْنَهُ وَ بَيْنَهَا سَبْعَةُ أَجْدَادٍ فَصَاعِدًا،

وَ الْيَهُودُ:-

يَتَزَوَّجُ أَحَدُهُمْ بِنْتَ أَخِيهِ وَ بِنْتَ أُخْتِه،

فَجَاءَتْ هَذِهِ الشَّرِيعَةُ الْكَامِلَةُ الطَّاهِرَةُ بِهَدْمِ إِفْرَاطِ النَّصَارَى،

فَأَبَـــــاحَ :-

بِنْتَ الْعَمِّ وَ الْعَمَّةِ، وَ بِنْتَ الْخَالِ وَ الْخَالَةِ،

وَ تَحْرِيــــمِ:-

مَا فَرّطت فِيهِ الْيَهُودُ مِنْ إِبَاحَةِ بِنْتِ الْأَخِ وَ الْأُخْتِ،

وَ هَذَا بَشِعٌ فَظِيعٌ.

***وَ إِنَّمَا قَالَ:{وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالاتِكَ}

فَوَحَّدَ لَفْظَ الذَّكَرِ لِشَرَفِهِ، وَ جَمَعَ الْإِنَاثَ لِنَقْصِهِنَّ كَقَوْلِهِ:

{عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ} [النَّحْلِ:48]

{يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ} [الْبَقَرَةِ: 257]

{وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ} [الْأَنْعَامِ: 1]

وَ لَهُ نَظَائِرُ كَثِيرَةٌ.

○شمل العم و العمة، و الخال و الخالة، القريبين و البعيدين،

و هذا حصر المحللات.

يؤخذ من مفهومه، أن ما عداهن من الأقارب، غير محلل

كما تقدم في سورة النساء، فإنه لا يباح من الأقارب من النساء،

غير هؤلاء الأربع، و ما عداهن من الفروع مطلقًا، و الأصول مطلقًا،

و فروع الأب و الأم، و إن نزلوا، و فروع من فوقهم لصلبه، فإنه لا يباح.

و قوله (ٱلَّـٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ)

قيد لحل هؤلاء للرسول، كما هو الصواب من القولين، في تفسير هذه الآية،

و أما غيره عليه الصلاة و السلام، فقد علم أن هذا قيد لغير الصحة.

(و) أحللنا لك

(وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ)

بمجرد هبتها نفسها.

(إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا)

أي: هذا تحت الإرادة و الرغبة،

(خَالِصَةٗ لَّكَ)

*** وَ يَحِلُّ لَكَ -يَأَيُّهَا النَّبِيُّ -الْمَرْأَةُ الْمُؤْمِنَةُ إِذَا وَهَبَتْ نَفْسَهَا لَكَ أَنْ تَتَزَوَّجَهَا بِغَيْرِ مَهْرٍ إِنْ شِئْتَ ذَلِكَ.

وَ هَذِهِ الْآيَةُ تَوَالَى فِيهَا شَرْطَانِ،
كَقَوْلِهِ تَعَالَى إِخْبَارًا عَنْ نُوحٍﷺأَنَّهُ قَالَ لِقَوْمِهِ:{وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ} [هُودٍ: 34]
وَ كَقَوْلِ مُوسَى:{يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ} [يُونُسَ: 84] .

***صحيح البخاري

2310 - عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي قَدْ وَهَبْتُ لَكَ مِنْ نَفْسِي،
فَقَالَ رَجُلٌ: زَوِّجْنِيهَا، قَالَ: «قَدْ زَوَّجْنَاكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ القُرْآنِ»( )

***صحيح البخاري

5087 - عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ، قَالَ:
جَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺفَقَالَتْ:
يَا رَسُولَ اللَّهِ، جِئْتُ أَهَبُ لَكَ نَفْسِي،
قَالَ: فَنَظَرَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺفَصَعَّدَ النَّظَرَ فِيهَا وَ صَوَّبَهُ،
ثُمَّ طَأْطَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَأْسَهُ،
فَلَمَّا رَأَتِ المَرْأَةُ أَنَّهُ لَمْ يَقْضِ فِيهَا شَيْئًا جَلَسَتْ،
فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ،
فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ بِهَا حَاجَةٌ فَزَوِّجْنِيهَا،

(امرأة) هي خولة بنت حكيم وقيل أم شريك الأزدية رضي الله عنهما.
(وهبت لك من نفسي) جعلت أمري إليك إن شئت تزوجتني وإن شئت زوجتني لمن رأيت
(بما معك من القرآن) على أن تعلمها ما تحفظ من القرآن]

فَقَالَ: «وَ هَلْ عِنْدَكَ مِنْ شَيْءٍ؟»
قَالَ: لاَ وَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ،
فَقَالَ: «اذْهَبْ إِلَى أَهْلِكَ فَانْظُرْ هَلْ تَجِدُ شَيْئًا»،
فَذَهَبَ ثُمَّ رَجَعَ،
فَقَالَ: لاَ وَاللَّهِ مَا وَجَدْتُ شَيْئًا
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «انْظُرْ وَلَوْ خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ»،
فَذَهَبَ ثُمَّ رَجَعَ،
فَقَالَ: لاَ وَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَ لاَ خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ، وَ لَكِنْ هَذَا إِزَارِي -
قَالَ سَهْلٌ: مَا لَهُ رِدَاءٌ - فَلَهَا نِصْفُهُ،
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«مَا تَصْنَعُ بِإِزَارِكَ إِنْ لَبِسْتَهُ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهَا مِنْهُ شَيْءٌ،
وَ إِنْ لَبِسَتْهُ لَمْ يَكُنْ عَلَيْكَ مِنْهُ شَيْءٌ»
فَجَلَسَ الرَّجُلُ حَتَّى إِذَا طَالَ مَجْلِسُهُ قَامَ،
فَرَآهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُوَلِّيًا، فَأَمَرَ بِهِ فَدُعِيَ،
فَلَمَّا جَاءَ قَالَ: «مَاذَا مَعَكَ مِنَ القُرْآنِ».
قَالَ: مَعِي سُورَةُ كَذَا وَ سُورَةُ كَذَا، عَدَّدَهَا،
فَقَالَ: «تَقْرَؤُهُنَّ عَنْ ظَهْرِ قَلْبِكَ»
قَالَ: نَعَمْ
قَالَ: «اذْهَبْ فَقَدْ مَلَّكْتُكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ القُرْآنِ»
***صحيح البخاري
4788 - عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا،
قَالَتْ: «كُنْتُ أَغَارُ عَلَى اللَّاتِي وَهَبْنَ أَنْفُسَهُنَّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ
وَ أَقُولُ أَتَهَبُ المَرْأَةُ نَفْسَهَا؟»

فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى:

(تُرْجِئُ مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكَ)

قُلْتُ: مَا أُرَى رَبَّكَ إِلَّا يُسَارِعُ فِي هَوَاكَ( )

(مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ)

❍يعني: إباحة الموهبة و أما المؤمنون،

فلا يحل لهم أن يتزوجوا امرأة، بمجرد هبتها نفسها لهم.

***لَا تَحِلُّ الْمَوْهُوبَةُ لِغَيْرِك،

وَ لَوْ أَنَّ امْرَأَةً وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِرَجُلٍ لَمْ تَحِلَّ لَهُ حَتَّى يُعْطِيَهَا شَيْئًا.

***أَيْ: إِنَّهَا إِذَا فَوَّضَتِ الْمَرْأَةُ نَفْسَهَا إِلَى رَجُلٍ،

فَإِنَّهُ مَتَى دَخَلَ بِهَا وَجَبَ لَهَا عَلَيْهِ بِهَا مَهْرُ مِثْلِهَا

كَمَا حَكَمَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺفِي تزويج بِنْتِ وَاشَقٍ لَمَّا فَوَّضَتْ

فَحَكَمَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺبِصَدَاقِ مِثْلِهَا لَمَّا تُوُفِّيَ عَنْهَا زَوْجُهَا،

وَ الْمَوْتُ وَ الدُّخُولُ سَوَاءٌ فِي تَقْرِيرِ الْمَهْرِ

(أغار) المراد هنا أعيب وقد ورد بلفظ (كانت تعير). (وهبن أنفسهن) عرضن أنفسهن على النبي ﷺأن يتزوجهن إذا رغب بدون مهر يطلبنه. وقيل من هؤلاء الواهبات خولة بنت حكيم وأم شريك وفاطمة بنت شريح وزينب بنت خزيمة وميمونة بنت الحارث وليلى بنت الحطيم رضي الله عنهن. (ترجئ) قرأ مدني وحمزة وعلي وخلف وحفص {ترجي} بلا همز وقرأ غيرهم بالهمز والمعنى واحد. (تؤوي) تضم. (ابتغيت) طلبت وأردت إصابتها فجامعتها. (ممن عزلت) أي ممن لم تقسم لهن. (فلا جناح عليك) فلا إثم عليك في إصابتها وقد أباح الله تعالى لك ترك القسم لهن. (يسارع في هواك) يحقق لك مرادك بلا تأخير]

وَ ثُبُوتِ مَهْرِ الْمِثْلِ فِي الْمُفَوَّضَةِ لِغَيْرِ النَّبِيِّ ﷺ

(قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ)

أي: قد علمنا ما على المؤمنين، و ما يحل لهم، و ما لا يحل،

من الزوجات و ملك اليمين.

و قد علمناهم بذلك، و بينا فرائضه.

فما في هذه الآية، مما يخالف ذلك، فإنه خاص لك، لكون اللّه جعله خطابًا

للرسول وحده بقوله:

(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ) إلى آخر الآية.

و قوله: (خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ)

و أبحنا لك يا أيها النبي ما لم نبح لهم، و وسعنا لك ما لم نوسع على غيرك،

***مِنْ حَصْرِهم فِي أَرْبَعِ نِسْوَةٍ حَرَائِرَ وَ مَا شَاءُوا مِنَ الْإِمَاءِ

وَ اشْتِرَاطِ الْوَلِيِّ وَ الْمَهْرِ وَ الشُّهُودِ عَلَيْهِمْ، وَ هُمُ الْأَمَّةُ،

وَ قَدْ رَخَّصْنَا لَكَ فِي ذَلِكَ، فَلَمْ نُوجِبْ عَلَيْكَ شَيْئًا مِنْهُ؛

(لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ)

*** لئلا يضيق صدرك في نكاح مَن نكحت مِن هؤلاء الأصناف.

و هذا من زيادة اعتناء اللّه تعالى برسوله ﷺ[وتكريمه له.]

(وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا)

*الميسر: و كان الله غفورًا لذنوب عباده المؤمنين،

(رَحِيمًا)

بالتوسعة عليهم.

أي: لم يزل متصفًا بالمغفرة و الرحمة،

و ينزل على عباده من مغفرته و رحمته، و جوده و إحسانه، ما اقتضته حكمته، و وجدت منهم أسبابه.

۞ تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ

عَلَيْكَۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ

كُلُّهُنَّۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾

لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ

إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ

وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ

إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِۦ مِنكُمْۖ

وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ

ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ

وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾

إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾

۞ تُرۡجِي مَن تَشَآءُ مِنۡهُنَّ وَتُـٔۡوِيٓ إِلَيۡكَ مَن تَشَآءُۖ وَمَنِ ٱبۡتَغَيۡتَ مِمَّنۡ عَزَلۡتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكَۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعۡيُنُهُنَّ وَلَا يَحۡزَنَّ وَيَرۡضَيۡنَ بِمَآ ءَاتَيۡتَهُنَّ كُلُّهُنَّۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمٗا ﴿٥١﴾

*جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:

صحيح البخاري

4788 -عَنْ عَائشَةَ رَضيَ اللّهُ عَنْهَا،

قَالَتْ: «كُنْتُ أَغَارُ عَلَى اللّاتِي وَهَبْنَ أَنْفُسَهُنّ لِرَسُولِ اللّهِﷺ

وَ أَقُولُ أَتَهَبُ المَرْأَةُ نَفْسَهَا؟»

فَلَمّا أنْزَلَ اللّهُ تَعَالَى:

(تُرْجِئُ مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِى إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكَ)

قُلْتُ: مَا أُرَى رَبّكَ إِلّا يُسَارِعُ فِي هَوَاكَ(Î)

❍و هذا أيضًا من توسعة اللّه على رسوله و رحمته به:–

(أغار) المراد هنا أعيب وقد ورد بلفظ (كانت تعير). (وهبن أنفسهن) عرضن أنفسهن على النبي صلى الله عليه وسلم أن يتزوجهن إذا رغب بدون مهر يطلبنه. وقيل من هؤلاء الواهبات خولة بنت حكيم وأم شريك وفاطمة بنت شريح وزينب بنت خزيمة وميمونة بنت الحارث وليلى بنت الحطيم رضي الله عنهن. (ترجئ) قرأ مدني وحمزة وعلي وخلف وحفص {ترجي} بلا همز وقرأ غيرهم بالهمز والمعنى واحد. (تؤوي) تضم. (ابتغيت) طلبت وأردت إصابتها فجامعتها. (ممن عزلت) أي ممن لم تقسم لهن. (فلا جناح عليك) فلا إثم عليك في إصابتها وقد أباح الله تعالى لك ترك القسم لهن. (يسارع في هواك) يحقق لك مرادك بلا تأخير]

أن أباح له ترك القسم بين زوجاته، على وجه الوجوب،
و أنه إن فعل ذلك، فهو تبرع منه، و مع ذلك،
فقد كان ﷺيجتهد في القسم بينهن في كل شيء،
و يقول « اللهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تلمني فيما لا أملك »

فقال هنا: (تُرۡجِي مَن تَشَآءُ مِنۡهُنَّ)

أي: تؤخر من أردت من زوجاتك فلا تؤويها إليك، و لا تبيت عندها
***مِنَ الْوَاهِبَاتِ أَنْفُسِهِنَّ
***مِنْ أَزْوَاجِكَ، لَا حَرَجَ عَلَيْكَ أَنْ تَتْرُكَ الْقَسْمَ لَهُنَّ، فَتُقَدِّمْ مَنْ شِئْتَ،
وَ تُؤَخِّرْ مَنْ شِئْتَ، وَ تُجَامِعْ مَنْ شِئْتَ، وَ تَتْرُكْ مَنْ شِئْتَ.
***اخْتَارَ ابْنُ جَرِيرٍ أَنَّ الْآيَةَ عَامَّةٌ فِي الْوَاهِبَاتِ
وَ فِي النِّسَاءِ اللَّاتِي عِنْدَهُ، أَنَّهُ مُخَيَّرٌ فِيهِنَّ إِنْ شَاءَ قَسَمَ وَ إِنْ شَاءَ لَمْ يَقْسِمْ.
وَ هَذَا الَّذِي اخْتَارَهُ حَسَنٌ جَيِّدٌ قَوِيٌّ، وَ فِيهِ جَمْعٌ بَيْنَ الْأَحَادِيثِ؛
وَ لِهَذَا قَالَ تَعَالَى:

{ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ}
أَيْ: إِذَا عَلِمْنَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ وَضَعَ عَنْكَ الْحَرَجَ فِي الْقَسْمِ،
فَإِنْ شِئْتَ قَسَمْتَ، وَ إِنْ شِئْتَ لَمْ تَقْسِمْ،
لَا جُنَاحَ عَلَيْكَ فِي أَيِّ ذَلِكَ فَعَلْتَ،
ثُمَّ مَعَ هَذَا أَنْتَ تَقْسِمُ لَهُنَّ اخْتِيَارًا مِنْكَ لَا أَنَّهُ عَلَى سَبِيلِ الْوُجُوبِ،
فَرِحْنَ بِذَلِكَ وَ اسْتَبْشَرْنَ بِهِ وَ حَمَلْنَ جَمِيلَكَ فِي ذَلِكَ،
وَ اعْتَرَفْنَ بِمِنَّتِكَ عَلَيْهِنَّ فِي قَسْمِكَ لَهُنَّ وَ تَسْوِيَتِكَ بَيْنَهُنَّ وَ إِنْصَافِكَ لَهُنَّ
وَ عَدْلِكَ فِيهِنَّ.

***عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: لَمْ يَمُتْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أحلَّ اللَّهُ لَهُ أَنْ يَتَزَوَّجَ مِنَ النِّسَاءِ مَا شَاءَ، إِلَّا ذَاتَ مَحْرَمٍ،

وَ ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ: {تُرْجِى مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِى إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ} .

***فَجُعِلَتْ هَذِهِ نَاسِخَةً لِلَّتِي بَعْدَهَا فِي التِّلَاوَةِ،
كَآيَتِي عِدَّةِ الْوَفَاةِ فِي الْبَقَرَةِ، الْأُولَى نَاسِخَةٌ لِلَّتِي بَعْدَهَا،

(وَتُـْٔوِيٓ إِلَيۡكَ مَن تَشَآءُۖ)

أي: تضمها و تبيت عندها.

(و) مع ذلك لا يتعين هذا الأمر

***مَنْ شِئْتَ قَبِلْتَهَا، و مَنْ شِئْتَ رَدَدْتَهَا،
و مَنْ رَدَدْتَهَا فَأَنْتَ فِيهَا أَيْضًا بِالْخِيَارِ بعد ذلك،
إن شِئْتَ عُدْتَ فِيهَا فَآوَيْتَهَا؛
وَ لِهَذَا قَالَ:-

(وَمَنِ ٱبۡتَغَيۡتَ)

أي: أن تؤويها

(مِمَّنۡ عَزَلۡتَ)

***الميسر:و مَن طَلَبْتَ ممن أخّرت قَسْمها**

(فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكَۚ)

***الميسر:فلا إثم عليك في هذا**

○و المعنى أن الخيرة بيدك في ذلك كله

و قال كثير من المفسرين:-

إن هذا خاص بالواهبات، له أن يرجي من يشاء،

و يؤوي من يشاء، أي: إن شاء قبل من وهبت نفسها له،

و إن شاء لم يقبلها، و اللّه أعلم .

ثم بين الحكمة في ذلك فقال: (ذَٰلِكَ)

***الميسر: التخيير**

○أي: التوسعة عليك، و كون الأمر راجعًا إليك و بيدك،

و كون ما جاء منك إليهن تبرعًا منك

(أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ)

***الميسر:أقرب إلى أن يفرحن ولا يحزنّ،**

(وَيَرْضَيْنَ)

كلهن

(بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ)

قسمت لهنّ،

○لعلمهن أنك لم تترك واجبًا، و لم تفرط في حق لازم.

(وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ)

***مِنَ الْمَيْلِ إِلَى بَعْضِهِنَّ دُونَ بَعْضٍ، مِمَّا لَا يُمْكِنُ دَفْعُهُ

○أي: ما يعرض لها عند أداء الحقوق الواجبة و المستحبة،

و عند المزاحمة في الحقوق،

فلذلك شرع لك التوسعة يا رسول اللّه، لتطمئن قلوب زوجاتك.

(وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا)

***بِضَمَائِرِ السَّرَائِرِ

***الميسر: بما في القلوب**

(حَلِيمًا)

***يَحْلُمُ وَ يَغْفِرُ.

الميسر: لا يعجل بالعقوبة على من عصاه.

أي: واسع العلم، كثير الحلم.

و من علمه:-

أن شرع لكم ما هو أصلح لأموركم، و أكثر لأجوركم.

و من حلمه:-

أن لم يعاقبكم بما صدر منكم، و ما أصرت عليه قلوبكم من الشر.

لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ

وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا ﴿٥٢﴾

و هذا شكر من اللّه، الذي لم يزل شكورًا، لزوجات رسوله، رضي اللّه عنهن، حيث اخترن اللّه و رسوله، و الدار الآخرة، أن رحمهن، و قصر رسوله عليهن

فقال: (لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ)

زوجاتك الموجودات

***ذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ:-
أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ مُجَازَاةً لِأَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ وَ رِضًا عَنْهُنَّ، عَلَى حُسْنِ صَنِيعِهِنَّ فِي اخْتِيَارِهِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ،
لَمَّا خَيَّرَهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَمَا تَقَدَّمَ فِي الْآيَةِ.
فَلَمَّا اخْتَرْنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ جَزَاؤُهُنَّ أَنَّ اللَّهَ قَصَره عَلَيْهِنَّ،
وَ حَرَّمَ عَلَيْهِ أَنْ يَتَزَوَّجَ بِغَيْرِهِنَّ، أَوْ يَسْتَبْدِلَ بِهِنَّ أَزْوَاجًا غَيْرَهُنَّ،
وَ لَوْ أَعْجَبَهُ حُسْنُهُنَّ إِلَّا الْإِمَاءَ وَ السَّرَارِيَ فَلَا حَجْرَ عَلَيْهِ فِيهِنَّ.
ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى رَفَعَ عَنْهُ الْحَجْرَ فِي ذَلِكَ وَ نَسَخَ حُكْمَ هَذِهِ الْآيَةَ،
وَ أَبَاحَ لَهُ التَّزَوُّجَ
وَ لَكِنْ لَمْ يَقَعْ مِنْهُ بَعْدَ ذَلِكَ تَزَوّج لِتَكُونَ الْمِنَّةُ لِلرَّسُولِ ﷺ عَلَيْهِنَّ.
***وَ قَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَى الْآيَةِ:-
مِنْ بَعْدِ مَا ذَكَرْنَا لَكَ مِنْ صِفَةِ النِّسَاءِ اللَّاتِي أَحْلَلْنَا لَكَ مِنْ:-
نِسَائِكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ، وَ بَنَاتِ الْعَمِّ وَالْعَمَّاتِ وَ الْخَالِ وَ الْخَالَاتِ وَ الْوَاهِبَةِ
وَ مَا سِوَى ذَلِكَ مِنْ أَصْنَافِ النِّسَاءِ فَلَا يَحِلُّ لَكَ.

(وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٍ)

أي:و لا تطلق بعضهن، فتأخذ بدلها.

فحصل بهذا، أمنهن مــــــــن:–

1–الضـــــــــرائر،

2–و من الطـلاق،

لأن اللّه قضى أنهن زوجاته في الدنيا و الآخرة،

لا يكون بينه و بينهن فرقة.

(وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ)

أي: حسن غيرهن، فلا يحللن لك

(إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ)

أي: السراري، فذلك جائز لك، لأن المملوكات، في كراهة الزوجات،

لسن بمنزلة الزوجات، في الإضرار للزوجات

(وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا)

أي: مراقبًا للأمور، و عالمًا بما إليه تؤول،

و قائمًا بتدبيرها على أكمل نظام، و أحسن إحكام.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ
إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ
وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ
وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ
ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ
وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ٥٣
إِن تُبۡدُواْ شَيۡـًٔا أَوۡ تُخۡفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ٥٤

*** صحيح البخاري

402 - عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ:

قَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ ﷺ وَافَقْتُ رَبِّي فِي ثَلَاثٍ:

فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوِ اتَّخَذْنَا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى، فَنَزَلَتْ:

{وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى}[البقرة: 125]

وَ آيَةُ الحِجَابِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ أَمَرتَ نِسَاءَكَ أَنْ يَحْتَجِبْنَ،

فَإِنَّهُ يُكَلِّمُهُنَّ البَرُّ وَ الفَاجِرُ، فَنَزَلَتْ آيَةُ الحِجَابِ،

وَ اجْتَمَعَ نِسَاءُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الغَيْرَةِ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ لَهُنَّ:

(عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ)

فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ "

***وَ كَانَ وَقْتُ نُزُولِهَا فِي صَبِيحَةِ عُرْسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِزَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ،

الَّتِي تَوَلَّى اللَّهُ تَعَالَى تَزْوِيجَهَا بِنَفْسِهِ،

وَ كَانَ ذَلِكَ فِي ذِي الْقِعْدَةِ مِنَ السَّنَةِ الْخَامِسَةِ

***صحيح البخاري

4791 - عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ:

لَمَّا تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ،

دَعَا القَوْمَ فَطَعِمُوا ثُمَّ جَلَسُوا يَتَحَدَّثُونَ،

وَ إِذَا هُوَ كَأَنَّهُ يَتَهَيَّأُ لِلْقِيَامِ، فَلَمْ يَقُومُوا فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَامَ،

فَلَمَّا قَامَ قَامَ مَنْ قَامَ، وَقَعَدَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ،

فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ لِيَدْخُلَ فَإِذَا القَوْمُ جُلُوسٌ، ثُمَّ إِنَّهُمْ قَامُوا،

فَانْطَلَقْتُ فَجِئْتُ فَأَخْبَرْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَنَّهُمْ قَدِ انْطَلَقُوا،

فَجَاءَ حَتَّى دَخَلَ فَذَهَبْتُ أَدْخُلُ،

فَأَلْقَى الحِجَابَ بَيْنِي وَ بَيْنَهُ

فَأَنْزَلَ اللَّهُ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ}
[الأحزاب: 53] الآيَةَ "( )

❍يأمر تعالى عباده المؤمنين، بالتأدب مع رسول اللّه ﷺ، في دخول بيوته فقال:

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ)

*** حَظَرَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَدْخُلُوا مَنَازِلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺبِغَيْرِ إِذْنٍ،
كَمَا كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ يَصْنَعُونَ فِي بُيُوتِهِمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَ ابْتِدَاءِ الْإِسْلَامِ،
حَتَّى غَارَ اللَّهُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ، فَأَمَرَهُمْ بِذَلِكَ،
وَ ذَلِكَ مِنْ إِكْرَامِهِ تَعَالَى هَذِهِ الْأُمَّةَ؛
وَ لِهَذَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

***صحيح البخاري
5232 عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺقَالَ:
«إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ»
فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَرَأَيْتَ الحَمْوَ؟
قَالَ: «الحَمْوُ المَوْتُ»( )

(فطعموا) أكلوا. (نفر) هو هنا الفرد من الرجال ويقال لجماعة الرجال من ثلاثة إلى عشرة.
(فألقى الحجاب) حجبني عن زوجاته ومنعني من الدخول عليهن

(إياكم والدخول على النساء) احذروا من الدخول على النساء غير المحارم ومنع الدخول يستلزم منع الخلوة من باب أولى. (أفرأيت الحمو) أخبرني عن دخول الحمو على المرأة والمراد بالحمو أقارب الزوج من غير المحارم كالأخ والعم والخال وأبنائهم. (الحمو الموت) لقاؤه الهلاك لأن دخوله أخطر من دخول الأجنبي وأقرب إلى وقوع الجريمة لأن الناس يتساهلون

***ثُمَّ اسْتَثْنَى مِنْ ذَلِكَ فَقَالَ:-

(إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ)

أي: لا تدخلوها بغير إذن للدخول فيها، لأجل الطعام.

***جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:**

صحيح البخاري

4794 - عَنْ أَنَسٍ ﷺقَالَ:

«أَوْلَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺحِينَ بَنَى بِزَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ،

فَأَشْبَعَ النَّاسَ خُبْزًا وَ لَحْمًا،

ثُمَّ خَرَجَ إِلَى حُجَرِ أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِينَ

كَمَا كَانَ يَصْنَعُ صَبِيحَةَ بِنَائِهِ، فَيُسَلِّمُ عَلَيْهِنَّ وَيُسَلِّمْنَ عَلَيْهِ،

وَ يَدْعُو لَهُنَّ وَ يَدْعُونَ لَهُ،

فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى بَيْتِهِ رَأَى رَجُلَيْنِ جَرَى بِهِمَا الحَدِيثُ،

فَلَمَّا رَآهُمَا رَجَعَ عَنْ بَيْتِهِ،

فَلَمَّا رَأَى الرَّجُلاَنِ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺرَجَعَ عَنْ بَيْتِهِ وَثَبَا مُسْرِعَيْنِ،

فَمَا أَدْرِي أَنَا أَخْبَرْتُهُ بِخُرُوجِهِمَا أَمْ أُخْبِرَ،

فَرَجَعَ حَتَّى دَخَلَ البَيْتَ وَأَرْخَى السِّتْرَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ،

وَ أُنْزِلَتْ آيَةُ الحِجَابِ»

***صحيح البخاري :-**

6240 - عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ

بخلطة الرجل بزوجة أخيه والخلوة بها فيدخل بدون نكير فيكون الشر منه أكثر والفتنة به أمكن]

قَالَتْ: كَانَ عُمَرُ بْنُ الخَطّاب يَقُولُ لِرَسُولِ اللّهِﷺ:
احْجُبْ نساءَك، قَالَت: فَلَمْ يَفْعَلْ،
وَ كَانَ أَزْوَاجُ النّبِيِّ ﷺيَخْرُجْنَ لَيْلًا إِلَى لَيْلٍ قِبَلَ المَنَاصِعِ،
فَخَرَجَتْ سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ، وَكَانَت امْرَأَةً طَوِيلَةً،
فَرَآهَا عُمَرُ بْنُ الخَطّاب وَ هُوَ فِي المَجْلِس،
فَقَالَ: عَرَفْتُكِ يَا سَوْدَةُ، حِرصًا عَلَى أَنْ يُنْزَلَ الحِجَابُ
قَالَتْ: «فَأَنْزَلَ اللّهُ عَزّ وَجَلّ آيَةَ الحِجَابِ»

* المعجم الصغير للطبراني

227 - عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهَا قَالَتْ:
كُنْتُ آكُلُ مَعَ النّبِيِّ ﷺحَيْسًا فِي قَعْبٍ ،
فَمَرّ عُمَرُ ﷺ، فَدَعَاهُ ، فَأَكَلَ ، فَأَصَابَتْ أُصْبُعُهُ أُصْبَعِي
فَقَالَ: «حَسِّ أَوْه أَوْه ، لَوْ أُطَاعُ فِيكُنّ مَا رَأَتْكُنّ عَيْنٌ»
فَنَزَلَتْ آيَةُ الْحِجَابِ لَمْ يَرْوِهِ عَنْ مِسْعَرٍ إِلّا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَة

طريق الجمع بين هذه الروايات:-

قال الحافظ في الفتح ج1 ص260:-

و طريق الجمع بينهما أن أسباب نزول الحجاب تعددت،

و كانت قصة زينب آخرها أخرجها للنص على قصتها في الآية

أو المراد بآية الحجاب في بعضها قوله تعالى

{يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ} الآية. ا. هـ.

وأقول في كون المراد بآية الحجاب قوله

{يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ} نظر.

إذ قد صرحت الروايات في شأن قصة زينب بنزول قوله

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ}

الآية وفي شأن قول عمر1 عند الطبري ج12.ص40

فأنزل الله آية الحجاب قال الله

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا} الآية

فالقول بتعدد الأسباب أولى.

تنبيه مهم:

يفهم من هذا الحديث أن قول عمر:

قد عرفناك يا سودة. قبل الحجاب وفي بعضها أنه بعد الحجاب،

فما الجمع قال الحافظ في الفتح ج10 ط150 قال الكرماني:-

فإن قلت وقع هنا أنه كان بعد ما ضرب الحجاب وتقدم في

الوضوء أنه كان قبل الحجاب فالجواب لعله وقع مرتين،

قال الحافظ قلت: بل المراد بالحجاب الأول غير الحجاب الثاني،

والحاصل أن عمر ﷺوقع في قلبه نقرة من اطلاع الأجانب على

الحريم النبوي حتى صرح بقوله لهﷺ:-

احجب نساءك.

وأكد ذلك إلى أن نزلت آية الحجاب،

ثم قصد ذلك أن لا يبدين أشخاصهن أصلا ولو كن مستترات،

فبالغ في ذلك فمنع منه وأذن لهن في الخروج لحاجتهن دفعا

للمشقة ورفعا للحرج.

○و أيضًا (غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ)

أي: منتظرين و متأنين لانتظار نضجه، أو سعة صدر بعد الفراغ منه.

***أَيْ: لَا تَرْقُبُوا الطَّعَامَ حَتَّى إِذَا قَارَبَ الِاسْتِوَاءَ تَعَرَّضْتُمْ لِلدُّخُولِ،

فَإِنَّ هَذَا يَكْرَهُهُ اللَّهُ وَ يَذُمُّهُ. وَ هَذَا دَلِيلٌ عَلَى تَحْرِيمِ التَّطْفِيلِ،

و المعنى: أنكم لا تدخلوا بيوت النبي إلا بشرطيـــــــــن:–

1–الإذن لكم بالدخول

2–و أن يكون جلوسكم بمقدار الحاجة،

و لهذا قال:–

(وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ)

*** صحيح مسلم

(1429) عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:-«إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ إِلَى الْوَلِيمَةِ فَلْيَأْتِهَا»( )

*** صحيح البخاري:-

2568 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

«لَوْ دُعِيتُ إِلَى ذِرَاعٍ أَوْ كُرَاعٍ لَأَجَبْتُ،

وَ لَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ ذِرَاعٌ أَوْ كُرَاعٌ لَقَبِلْتُ»( )

(فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ)

*الميسر:أكلتم فانصرفوا

(وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ)

أي: قبل الطعام و بعده.

(الوليمة) الوليمة اسم لكل طعام يتخذ لجمع وقال ابن فارس هي طعام العرس وزاد الجوهري شاهدا أولم ولو بشاة]

(ذراع) اليد من الحيوان. (كراع) ما استدق من ساق الحيوان

***كَمَا وَقَعَ لِأُولَئِكَ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ اسْتَرْسَلَ بِهِمُ الْحَدِيثُ، و نسُوا أَنْفُسَهُمْ، حَتَّى شَقّ ذَلِكَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ}

ثم بين حكمة النهي و فائدته

فقال: (إِنَّ ذَٰلِكُمْ)

أي: انتظاركم الزائد على الحاجة،

(كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ)

أي: يتكلف منه و يشق عليه حبسكم إياه عن شئون بيته، و اشتغاله فيه

(فَيَسْتَحْيِۦ مِنكُمْ)

أن يقول لكم: « اخرجوا » كما هو جاري العادة، أن الناس

–و خصوصًا أهل الكرم منهم– يستحيون أن يخرجوا الناس من مساكنهم،

(و)

لكن

(وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ)

فالأمر الشرعي،

و لو كان يتوهم أن في تركه أدبا و حياء،

فإن الحزم كل الحزم، اتباع الأمر الشرعي،

و أن يجزم أن ما خالفه، ليس من الأدب في شيء.

و اللّه تعالى لا يستحي أن يأمركم، بما فيه الخير لكم،

و الرفق لرسوله كائنًا ما كان.

فهذا أدبهم في الدخول في بيوته،

و أما أدبهم معه في خطاب زوجاته، فإنــــــــه:–

إما أن يحتاج إلى ذلك، أو لا يحتاج إليه،

فإن لم يحتج إليه، فلا حاجة إليه، و الأدب تركه

(وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا)

و إن احتيج إليه، كأن يسألن متاعًا، أو غيره من أواني البيت أو نحوها،

(فَسْـَٔلُوهُنَّ)

فإنهن يُسْأَلْنَ

(مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ)

أي: يكون بينكم و بينهن ستر، يستر عن النظر، لعدم الحاجة إليه.

فصار النظر إليهن ممنوعًا بكل حال، و كلامهن فيه التفصيل، الذي ذكره اللّه،

***وَ كَمَا نَهَيْتُكُمْ عَنِ الدُّخُولِ عَلَيْهِنَّ، كَذَلِكَ لَا تَنْظُرُوا إِلَيْهِنَّ بِالْكُلِّيَّةِ،
وَ لَوْ كَانَ لِأَحَدِكُمْ حَاجَةٌ يُرِيدُ تَنَاوُلَهَا مِنْهُنَّ فَلَا يَنْظُرْ إِلَيْهِنَّ،
وَ لَا يَسْأَلْهُنَّ حَاجَةً إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ.

○ثم ذكر حكمة ذلك بقوله: ﴿ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ﴾

***الميسر:من الخواطر التي تعرض**

للرجال في أمر النساء،

و للنساء في أمر الرجال؛

[[[فالرؤية سبب الفتنة]]]

○لأنه أبعد عن الريبة،

و كلما بعد الإنسان عن الأسباب الداعية إلى الشر،

[[[فإنه أسلم له، و أطهر لقلبه]]].

فلهذا، من الأمور الشرعية التي بين اللّه كثيرًا من تفاصيلها،

أن جميع وسائل الشر و أسبابه و مقدماته، ممنوعة،

و أنه مشروع، البعد عنها، بكل طريق.

ثم قال كلمة جامعة و قاعدة عامة: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ﴾

يا معشر المؤمنين، أي: غير لائق و لا مستحسن منكم، بل هو أقبح شيء

﴿أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾

أي: أذية قولية أو فعلية، بجميع ما يتعلق به،

﴿وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا ۚ﴾

هذا من جملة ما يؤذيه:-

1–فإنه ﷺ، له مقام التعظيم، و الرفعة و الإكرام، و تزوج زوجاته بعده مخل بهذا المقام.

2–و أيضا، فإنهن زوجاته في الدنيا و الآخرة، و الزوجية باقية بعد موته، فلذلك لا يحل نكاح زوجاته بعده، لأحد من أمته.

(إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا)

و قد امتثلت هذه الأمة، هذا الأمر،

و اجتنبت ما نهى اللّه عنه منه، و للّه الحمد و الشكر.

***وَ لِهَذَا أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ قَاطِبَةً عَلَى أَنَّ مَنْ تُوُفِّيَ عَنْهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
مِنْ أَزْوَاجِهِ أَنَّهُ يَحْرُمُ عَلَى غَيْرِهِ تَزْوِيجُهَا مِنْ بَعْدِهِ؛
لِأَنَّهُنَّ أَزْوَاجُهُ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ أُمَّهَاتُ الْمُؤْمِنِينَ، كَمَا تَقَدَّمَ.

ثم قال تعالى: (إِن تُبْدُواْ شَيْـًٔا)

أي تظهروه

(أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا)

يعلم ما في قلوبكم، و ما أظهرتموه، فيجازيكم عليه.

***أَيْ: مَهْمَا تُكِنُّهُ ضَمَائِرُكُمْ وَ تَنْطَوِي عَلَيْهِ سَرَائِرُكُمْ،
فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ؛
فَإِنَّهُ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ،

{يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ} [غَافِرٍ: 19] .

لَّا جُنَاحَ عَلَيۡهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبۡنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخۡوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبۡنَآءِ إِخۡوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبۡنَآءِ
أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ
عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ
لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ
ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا
﴿٥٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن
جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٥٩﴾
۞ لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡمُرۡجِفُونَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ
لَنُغۡرِيَنَّكَ بِهِمۡ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٦٠﴾
مَّلۡعُونِينَۖ أَيۡنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقۡتِيلٗا ﴿٦١﴾
سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ﴿٦٢﴾

لَّا جُنَاحَ عَلَيۡهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبۡنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخۡوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبۡنَآءِ إِخۡوَٰنِهِنَّ
وَلَآ أَبۡنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّۗ

﴿وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا ٥٥﴾

لما ذكر أنهن لا يسألن متاعًا إلا من وراء حجاب،

و كان اللفظ عامًا لكل أحد احتيج أن يستثنى منه هؤلاء المذكورون،

من المحارم،

و أنه ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيۡهِنَّ﴾

في عدم الاحتجاب عنهم.

﴿فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبۡنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخۡوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبۡنَآءِ إِخۡوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبۡنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ﴾

و لم يذكر فيها الأعمام، و الأخوال،

لأنهن إذا لم يحتجبن عمن هن عماته و لا خالاته،من أبناء الإخوة و الأخوات

مع رفعتهن عليهم،

فعدم احتجابهن عن عمهن و خالهن، من باب أولى،

و لأن منطوق الآية الأخرى، المصرحة بذكر العم و الخال،

مقدمة، على ما يفهم من هذه الآية.

*** قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ:عَنِ الشَّعْبِيِّ وَ عِكْرِمَةَ فِي قَوْلِهِ:

{لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلا أَبْنَائِهِنَّ وَلا إِخْوَانِهِنَّ وَلا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلا نِسَائِهِنَّ وَلا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ}

قُلْتُ: مَا شَأْنُ الْعَمِّ وَ الْخَالِ لَمْ يُذْكَرَا؟

قَالَا هُمَا يَنْعَتَانِهَا لِأَبْنَائِهِمَا.

وَ كَرِهَا أَنْ تَضَعَ خِمَارَهَا عِنْدَ خَالِهَا وَ عَمِّهَا.

وقوله ﴿وَلَا نِسَآئِهِنَّ ﴾

أي: لا جناح عليهن ألا يحتجبن عن نسائهن،

أي: اللاتي من جنسهن في الدين،

فيكون ذلك مخرجًا لنساء الكفار،

و يحتمل أن المراد جنس النساء، فإن المرأة لا تحتجب عن المرأة.

﴿وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّۗ﴾

ما دام العبد في ملكها جميعه.

***أرقاءهن مِنَ الذُّكُورِ وَ الْإِنَاثِ، كَمَا تَقَدَّمَ التَّنْبِيهُ عَلَيْهِ،
وَ إِيرَادُ الْحَدِيثِ فِيهِ
***سنن أبي داود
4106 -عَنْ أَنَسٍ ﷺأَنَّ النَّبِيَّ ﷺأَتَى فَاطِمَةَ بِعَبْدٍ كَانَ قَدْ وَهَبَهُ لَهَا،
قَالَ:وَ عَلَى فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ثَوْبٌ،
إِذَا قَنَّعَتْ بِهِ رَأْسَهَا لَمْ يَبْلُغْ رِجْلَيْهَا،
وَإِذَا غَطَّتْ بِهِ رِجْلَيْهَا لَمْ يَبْلُغْ رَأْسَهَا، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيُّ ﷺمَا تَلْقَى قَالَ:-
«إِنَّهُ لَيْسَ عَلَيْكِ بَأْسٌ، إِنَّمَا هُوَ أَبُوكِ وَ غُلَامُكِ»

○و لما رفع الجناح عن هؤلاء، شرط فيه و في غيره، لزوم تقوى اللّه،

و أن لا يكون في محذور شرعي

فقال: ﴿وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَۚ﴾

أي: استعملن تقواه في جميع الأحوال

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا﴾

يشهد أعمال العباد، ظاهرها و باطنها، و يسمع أقوالهم، و يرى حركاتهم، ثم يجازيهم على ذلك، أتم الجزاء و أوفاه.

إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾

و هذا فيه تنبيه على كمال رسول اللّه ﷺ، و رفعة درجته،و علو منزلته عند اللّه و عند خلقه، و رفع ذكره.

حرمة ايذاء الرسول للمؤمنين 56-58

و ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ﴾ تعالى

﴿وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾ عليه

أي: يثني اللّه عليه بين الملائكة:–

و في الملأ الأعلى، لمحبته تعالى له،

و تثني عليه الملائكة المقربون:–

و يدعون له و يتضرعون.

***قَالَ الْبُخَارِيُّ: قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ:

صَلَاةُ اللَّه:-

ثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَلَائِكَةِ،

وَ صَلَاةُ الْمَلَائِكَةِ: الدُّعَاءُ.
وَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يُصَلُّونَ: يبرِّكون.
هَكَذَا عَلَّقَهُ الْبُخَارِيُّ عَنْهُمَا.
وَ الْمَقْصُودُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ:
أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَخْبَرَ عِبَادَهُ بِمَنْزِلَةِ عَبْدِهِ وَ نَبِيِّهِ عِنْدَهُ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى،
بِأَنَّهُ يُثْنِي عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ،
وَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تُصَلِّي عَلَيْهِ.
ثُمَّ أَمَرَ تَعَالَى أَهْلَ الْعَالَمِ السُّفْلِيِّ بِالصَّلَاةِ وَ التَّسْلِيمِ عَلَيْهِ،
لِيَجْتَمِعَ الثَّنَاءُ عَلَيْهِ مِنْ أَهْلِ الْعَالَمِينَ الْعُلْوِيِّ وَ السُّفْلِيِّ جَمِيعًا.

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا)

1–اقتداء بالله و ملائكته،

2–و جزاء له على بعض حقوقه عليكم،

3–و تكميلا لإيمانكم،

4–و تعظيمًا له ﷺ،

5–و محبة و إكرامًا،

6–و زيادة في حسناتكم،

7–و تكفيرًا من سيئاتكم

و أفضل هيئات الصلاة عليه عليه الصلاة والسلام،

ما علم به أصحابه:

« اللّهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد »

و هذا الأمر بالصلاة و السلام عليه مشروع في جميع الأوقات،

و أوجبه كثير من العلماء في الصلاة

***وَ قَدْ أَخْبَرَ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُصَلِّي عَلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلا. هُوَ الَّذِى يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا} [الْأَحْزَابِ:41-43] . وَقَالَ تَعَالَى:

{وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ} [الْبَقَرَةِ: 155-157]

***سنن أبي داود

676 - عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«إِنَّ اللَّهَ وَ مَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى مَيَامِنِ الصُّفُوفِ»

***صحيح البخاري

1497 - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى رضي الله عنه قَالَ:

كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَتَاهُ قَوْمٌ بِصَدَقَتِهِمْ،

قَالَ: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ فُلَانٍ»،

فَأَتَاهُ أَبِي بِصَدَقَتِهِ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ أَبِي أَوْفَى»

***قَدْ جَاءَتِ الْأَحَادِيثُ الْمُتَوَاتِرَةُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْأَمْرِ بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ،

وَ كَيْفِيَّةِ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ،

وَ نَحْنُ نَذْكُرُ مِنْهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى مَا تَيَسَّرَ، وَ اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.
***صحيح البخاري
3370 - عن عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي لَيْلَى،
قَالَ:لَقِيَنِي كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ،
فَقَالَ:أَلاَ أُهْدِي لَكَ هَدِيَّةً سَمِعْتُهَا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ؟
فَقُلْتُ:بَلَى، فَأَهْدِهَا لِي،
فَقَالَ:سَأَلْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
فَقُلْنَا:يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ الصَّلاَةُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ البَيْتِ،
فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ عَلَّمَنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ؟
قَالَ: قُولُوا:
اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ عَلَى آلِ مُحَمَّدٍ،
كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ،
اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ عَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ،
وَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ "
***صحيح مسلم
(408) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:-
«مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى الله عَلَيْهِ عَشْرًا»
***سنن الترمذي ت شاكر :
3546 - عَنْ حُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ
قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:«البَخِيلُ الَّذِي مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ»
***سنن الترمذي ت شاكر
3545 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ،

وَ رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ ثُمَّ انْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ
وَ رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ أَدْرَكَ عِنْدَهُ أَبَوَاهُ الكِبَرَ فَلَمْ يُدْخِلَاهُ الجَنَّةَ»
***قَدْ وَرَدَ الْأَمْرُ بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ فِي أَوْقَاتٍ كَثِيرَةٍ، فَمِنْهَا وَاجِبٌ،
وَ مِنْهَا مُسْتَحَبٌّ عَلَى مَا نُبَيِّنُهُ.
فَمِنْهُ: بَعْدَ النِّدَاءِ لِلصَّلَاةِ؛
***مسند أحمد ط الرسالة
6568 - عن كَعْب بْنُ عَلْقَمَةَ، أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ جُبَيْرٍ، يَقُولُ:
إِنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِي
يَقُولُ: إِنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺيَقُولُ:
إِذَا سَمِعْتُمْ مُؤَذِّنًا فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ،
فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا،
ثُمَّ سَلُوا لِي الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ،
وَ أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ، حَلَّتْ عَلَيْهِ الشَّفَاعَةُ "

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾

***يَقُولُ تَعَالَى: مُتَهَدِّدًا وَ مُتَوَعِّدًا مَنْ آذَاهُ،
بِمُخَالَفَةِ أَوَامِرِهِ وَ ارْتِكَابِ زَوَاجِرِهِ وَ إِصْرَارِهِ عَلَى ذَلِكَ،
وأ ذى رَسُولِهِ بِعَيْبٍ أَوْ تَنَقُّصٍ، عِيَاذًا بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ.
***صحيح البخاري
4826 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:
يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَ أَنَا الدَّهْرُ،

بِيَدِي الْأَمْرُ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ( )

***وَ مَعْنَى هَذَا: أَنَّ الْجَاهِلِيَّةَ كَانُوا يَقُولُونَ:

يَا خَيْبَةَ الدَّهْرِ، فَعَلَ بِنَا كَذَا وَ كَذَا.

فَيُسْنِدُونَ أَفْعَالَ اللَّهِ تَعَالَى إِلَى الدَّهْرِ، وَ يَسُبُّونَهُ،

وَ إِنَّمَا الْفَاعِلُ لِذَلِكَ هُوَ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ، فَنَهَى عَنْ ذَلِكَ.

***وَ الظَّاهِرُ أَنَّ الْآيَةَ عَامَّةٌ فِي كُلِّ مَنْ آذَاهُ بِشَيْءٍ،

وَ مَنْ آذَاهُ فَقَدْ آذَى اللَّهَ، وَ مَنْ أَطَاعَهُ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ

❍لما أمر تعالى بتعظيم رسوله ﷺ، و الصلاة و السلام عليه:-

نهـــــــــى عن أذيته، وتـــــــــوعد عليها

فقال:(إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ)

و هذا يشمل كل أذية، قولية أو فعلية، مـــــــــن:-

سب و شتم، أو تنقص له، أو لدينه، أو ما يعود إليه بالأذى.

(لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا)

أي: أبعدهم و طردهم،

و من لعنهم في الدنيا أنه يحتم قتل من شتم الرسول، و آذاه.

(وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا مُّهِينٗا)

(يؤذيني) ينسب إلي ما من شأنه أن يؤذي ويسيء. (يسب الدهر) بسبب ما يصيبه فيه من أمور وأنا المدبر لكل ما يحصل لكم وتنسبونه إلى الدهر فإذا سببتم الدهر لما يجري فيه كان السب في الحقيقة لي لأني أنا المدبر المتصرف والأمر كله بيدي أي بإرادتي و قدرتي.

جزاء له على أذاه، أن يؤذى بالعذاب الأليم،

فأذية الرسول، ليست كأذية غيره، لأنه – ﷺ– لا يؤمن العبد باللّه،

حتى يؤمن برسوله ﷺ. وله من التعظيم،

الذي هو من لوازم الإيمان، ما يقتضي ذلك، أن لا يكون مثل غيره.

و إن كانت أذية المؤمنين عظيمة، و إثمها عظيمًا،

و لهذا قال فيها:

(وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ)

أي: بغير جناية منهم موجبة للأذى

(فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ)

على ظهورهم

(بُهۡتَٰنٗا)

حيث آذوهم بغير سبب

***الميسر:فقد ارتكبوا أفحش الكذب و الزور،**

(وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا)

***الميسر:و أتوا ذنبًا ظاهر القبح يستحقون به العذاب في الآخرة.**

حيث تعدوا عليهم، و انتهكوا حرمة أمر اللّه باحترامها.

❍و لهذا كان سب آحاد المؤمنين، موجبًا للتعزير،

بحسب حالته و علو مرتبته، فتعزير من سب الصحابة أبلغ،

و تعزير من سب العلماء، و أهل الدين، أعظم من غيرهم.

***وَ هَذَا هُوَ الْبُهْتُ الْبَيِّنُ أَنْ يُحْكَى أَوْ يُنْقَلَ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ مَا لَمْ يَفْعَلُوهُ، عَلَى سَبِيلِ الْعَيْبِ وَ التَّنَقُّصِ لَهُمْ

***المستدرك على الصحيحين للحاكم

2259 - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

«الرِّبَا ثَلَاثَةٌ وَ سَبْعُونَ بَابًا، أَيْسَرُهَا مِثْلُ أَنْ يَنْكِحَ الرَّجُلُ أُمَّهُ، وَ إِنَّ أَرْبَى الرِّبَا عِرْضُ الرَّجُلِ الْمُسْلِمِ»

***سنن أبي داود

4876 - عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

«إِنَّ مِنْ أَرْبَى الرِّبَا الِاسْتِطَالَةَ فِي عِرْضِ الْمُسْلِمِ بِغَيْرِ حَقٍّ»

***شعب الإيمان

6285 - عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ:

" أَخْبِرُونِي مَا أَرْبَى الرِّبَا؟ "

قَالُوا: اللهُ وَ رَسُولُهُ أَعْلَمُ.

قَالَ: " فَإِنَّ أَرْبَى الرِّبَا عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ اسْتِحْلَالُ عِرْضِ الْمُسْلِمِ،

ثُمَّ قَرَأَ: {وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا} [الأحزاب: 58]

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ ۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ

ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلٗا ٦٠ مَّلۡعُونِينَۖ أَيۡنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ
وَقُتِّلُواْ تَقۡتِيلٗا ٦١ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ
وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ٦٢

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ)

فرض الحجاب 59

هذه الآية التي تسمى آية الحجاب،

فأمر اللّه نبيه، أن يأمر النساء عمومًا، و يبدأ بزوجاته و بناته،

لأنهن آكد من غيرهن،

و لأن الآمر لغيره ينبغي أن يبدأ بأهله، قبل غيرهم كما قال تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا)

أن (يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ)

و هن اللاتي يكن فوق الثياب من ملحفة و خمار و رداء و نحوه،

أي: يغطين بها، وجوههن و صدورهن.

***وَ الْجِلْبَابُ هُوَ: الرِّدَاءُ فَوْقَ الْخِمَارِ

***وَ قَالَ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ: -

سَأَلْتُ عَبِيدَةَ السَّلْمَانِيَّ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ} ،

فَغَطَّى وَجْهَهُ وَ رَأْسَهُ وَ أَبْرَزَ عَيْنَهُ الْيُسْرَى.

وَ قَالَ عِكْرِمَةُ: تُغَطِّي ثُغْرَةَ نَحْرِهَا بِجِلْبَابِهَا تُدْنِيهِ عَلَيْهَا.

***وَ قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ:عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ:

{يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ}
خَرَجَ نساء الأنصار كأن على رؤوسهن الْغِرْبَانُ مِنَ السَّكِينَةِ، وَ عَلَيْهِنَّ أَكْسِيَةٌ سُودٌ يَلْبَسْنَهَا .

***صحيح البخاري
4759 - عَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ شَيْبَةَ:
أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَانَتْ تَقُولُ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ:
{وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ} [النور: 31]
«أَخَذْنَ أُزْرَهُنَّ فَشَقَّقْنَهَا مِنْ قِبَلِ الحَوَاشِي فَاخْتَمَرْنَ بِهَا»

ثم ذكر حكمة ذلك، فقال: (ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ)

دل على وجود أذية، إن لم يحتجبن،

و ذلك لأنهن إذا لم يحتجبـــــــــن:-

1-ربما ظن أنهن غير عفيفات،

فيتعرض لهن من في قلبه مرض، فيؤذيهن،

2-و ربما استهين بهن، و ظُن أنهن إماء، فتهاون بهن من يريد الشر.

فالاحتجاب حاسم لمطامع الطامعين فيهن.

***إِذَا فَعَلْنَ ذَلِكَ عُرِفْنَ أنَّهن حَرَائِرُ، لَسْنَ بِإِمَاءٍ وَ لَا عَوَاهِرَ
قَالَ السُّدِّيُّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:-
{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ}

قَالَ: كَانَ نَاسٌ مِنْ فُسَّاقِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ يَخْرُجُونَ بِاللَّيْلِ حِينَ يَخْتَلِطُ الظَّلَامُ إِلَى طُرُقِ الْمَدِينَة، يَتَعَرَّضُونَ لِلنِّسَاءِ،

وَ كَانَتْ مَسَاكِنُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ضَيِّقة،

فَإِذَا كَانَ اللَّيْلُ خَرَجَ النِّسَاءُ إِلَى الطُّرُقِ يَقْضِينَ حَاجَتَهُنَّ،

فَكَانَ أُولَئِكَ الْفُسَّاقُ يَبْتَغُونَ ذَلِكَ مِنْهُنَّ،

فَإِذَا رَأَوْا امْرَأَةً عَلَيْهَا جِلْبَابٌ قَالُوا: هَذِهِ حُرَّةٌ، كُفُّوا عَنْهَا.

وَ إِذَا رَأَوُا الْمَرْأَةَ لَيْسَ عَلَيْهَا جِلْبَابٌ، قَالُوا: هَذِهِ أَمَةٌ. فَوَثَبُوا إِلَيْهَا .

***وَ قَالَ مُجَاهِدٌ: يَتَجَلْبَبْنَ فَيُعْلَمُ أَنَّهُنَّ حَرَائِرُ،

فَلَا يَتَعَرَّضُ لَهُنَّ فَاسِقٌ بِأَذًى وَلَا رِيبَةٍ.

(وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا)

***لِمَا سَلَفَ فِي أَيَّامِ الْجَاهِلِيَّةِ حَيْثُ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُنَّ عِلْمٌ بِذَلِكَ.

○حيث غفر لكم ما سلف، و رحمكم، بأن بين لكم الأحكام،

و أوضح الحلال و الحرام، فهذا سد للباب من جهتهن.

و أما من جهة أهل الشر فقد توعدهم بقوله:

(۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ)

أي: مرض شك أو شهوة

تهديد المنافقين و توعد الكفار بقرب الساعة 60-68

(وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ)

أي: المخوفون المرهبون الأعداء، المحدثون بكثرتهم و قوتهم، و ضعف المسلمين.

و لم يذكر المعمول الذي ينتهون عنه، ليعم ذلك، كل ما توحي به أنفسهم

إليهم، و توسوس به، و تدعو إليه من الشر، مــــــــــن:-

1-التعريض بسب الإسلام و أهله،

2-و الإرجاف بالمسلمين، و توهين قواهم،

3-و التعرض للمؤمنات بالسوء و الفاحشة،

4-و غير ذلك من المعاصي الصادرة، من أمثال هؤلاء.

(لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ)

أي: نأمرك بعقوبتهم و قتالهم، و نسلطك عليهم،

ثم إذا فعلنا ذلك، لا طاقة لهم بك، و ليس لهم قوة و لا امتناع،

و لهذا قال: (ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ)

أي: لا يجاورونك في المدينة

(إِلَّا قَلِيلًا)

بأن تقتلهم أو تنفيهم.

و هذا فيه دليل، لنفي أهل الشر، الذين يتضرر بإقامتهم بين أظهر المسلمين،

فإن ذلك أحسم للشر، و أبعد منه، و يكونون

(مَّلْعُونِينَ ۖ)

أي: مبعدين

(أَيۡنَمَا ثُقِفُوٓاْ)

أين وجدوا، لا يحصل لهم أمن، و لا يقر لهم قرار،

يخشون أن يقتلوا، أو يحبسوا، أو يعاقبوا.

(أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقۡتِيلٗا)

***لذلتهم و قلتهم

(سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ)

أن من تمادى في العصيان، و تجرأ على الأذى، و لم ينته منه،

فإنه يعاقب عقوبة بليغة.

(وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا)

أي تغييرًا، بل سنته تعالى و عادته، جارية مع الأسباب المقتضية لأسبابها .

﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ﴾

هو طفل ككل الأطفال، عمره ست سنوات في الصف الأول الابتدائي، قامت أمه الصالحة بتربيته على كتاب الله عز وجل منذ نعومة أظفاره، فأحب كتاب الله وبدأ في حفظه، وفي يوم ذهبت أمه إلى المدرسة لأخذه، فوجدته منشغلا يكتب في ورقة معه، فنادته فأقبل إليها ومعه الورقة، وظنت الأم أنه كان يرسم في تلك الورقة، فأخذت الورقة منه على عجل، وقامت بطيها، فخاف ابنها أن ترميها، فقال لها: أمي؛ أمي! لا ترمي هذه الورقة.

- قالت له: لمَ؟

- قال لأن بها قرآنًا.

- فأخذت الأم تقرأ الورقة! ثم قالت: أنت كتبت هذه؟

- قال لها: نعم.

- قالت له في اندهاش: ولمَ كتبتها؟

- قال لها: يا أمي؛ إن صديقي الذي يجلس أمامي في الفصل ظلمَ صديقي الآخر ظلمًا كبيرًا، وقام بأذيته دون أدنى ذنب منه، فقمت بكتابة هذه الآية لصديقي الظالم لأذكره بالله وأخوفه منه.

كانت الآية هي قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ﴾[1]. الأحزاب: ٥٨.

يَسۡـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ
قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ
لَّا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿٦٥﴾ يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا
ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠
﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا ﴿٦٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ
ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ
إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ
وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ
وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمَۢا ﴿٧٣﴾

يَسۡـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ
قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ

لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا
ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠
﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾

***يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا لِرَسُولِهِ ﷺ: أَنَّهُ لَا عِلْمَ لَهُ بِالسَّاعَةِ
وَ إِنْ سَأَلَهُ النَّاسُ عَنْ ذَلِكَ.
وَ أَرْشَدَهُ أَنْ يَرُدَّ عِلْمَهَا إِلَى اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ،
كَمَا قَالَ لَهُ فِي سُورَةِ "الْأَعْرَافِ"، وَ هِيَ مَكِّيَّةٌ وَ هَذِهِ مَدَنِيَّةٌ،
فَاسْتَمَرَّ الْحَالُ فِي رَدِّ عِلْمِهَا إِلَى الَّذِي يُقِيمُهَا،
لَكِنْ أَخْبَرَهُ أَنَّهَا قَرِيبَةٌ بِقَوْلِهِ: {وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا}
كَمَا قَالَ: {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ} [الْقَمَرِ: 1]
وَ قَالَ {اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ} [الْأَنْبِيَاءِ: 1]
وَ قَالَ {أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ} [النَّحْلِ: 1] .

أي:(يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ)

يستخبرك الناس عن الساعة:–

1–استعجـــــالا لها،

2–و بعضهم، تكـــــذيبًا لوقوعها،

3–و تعجيــــــزًا للذي أخبر بها.

(قُلْ)

لهم:

﴿إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ ﴾

أي: لا يعلمها إلا اللّه، فليس لي، و لا لغيري بها علم

و مع هذا، فلا تستبطؤوها.

﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾

و مجرد مجيء الساعة، قرباً و بعدًا، ليس تحته نتيجة و لا فائدة،

و إنما النتيجة و الخسار، و الربح، و الشقا و السعادة،

هل يستحق العبد العذاب، أو يستحق الثواب؟

فهذه سأخبركم بها، و أصف لكم مستحقها.

فوصف مستحق العذاب، و وصف العذاب

لأن الوصف المذكور، منطبق على هؤلاء المكذبين بالساعة

فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾

أي: الذين صار الكفر دأبهم و طريقتهم الكفر باللّه و برسله،

و بما جاءوا به من عند اللّه، فأبعدهم في الدنيا و الآخرة من رحمته،

و كفى بذلك عقابًا،

﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾

أي: نارًا موقدة، تسعر في أجسامهم، و يبلغ العذاب إلى أفئدتهم

﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ ﴾

و يخلدون في ذلك العذاب الشديد، فلا يخرجون منه، و لا يُفَتَّر عنهم ساعة.

و ﴿لَّا يَجِدُونَ وَلِيّٗا ﴾

فيعطيهم ما طلبوه

﴿وَلَا نَصِيرٗا ﴾

يدفع عنهم العذاب، بل قد تخلى عنهم الولي النصير،

و أحاط بهم عذاب السعير، و بلغ منهم مبلغًا عظيمًا،

و لهذا قال: ﴿ يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ﴾

فيذوقون حرها، و يشتد عليهم أمرها، و يتحسرون على ما أسلفوا.

***يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ،

وَ تُلْوَى وُجُوهُهُمْ عَلَى جَهَنَّمَ، يَقُولُونَ وَ هُمْ كَذَلِكَ،

﴿ يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴾

فسلمنا من هذا العذاب، و استحققنا، كالمطيعين، جزيل الثواب.

و لكن أمنية فات وقتها،

فلم تفدهم إلا حسرة و ندمًا، و همًا، و غمًا، و ألمًا.

***يَتَمَنَّوْنَ أَنْ لَوْ كَانُوا فِي الدَّارِ الدُّنْيَا مِمَّنْ أَطَاعَ اللَّهَ وَ أَطَاعَ الرَّسُولَ،

كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْهُمْ فِي حَالِ الْعَرَصَاتِ بِقَوْلِهِ: {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً. يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلا* لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنْسَانِ خَذُولا}
[الفرقان: 27-29]

وَ قَالَ تَعَالَى: {رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ} [الْحِجْرِ: 2]
وَ هَكَذَا أَخْبَرَ عَنْهُمْ فِي حَالَتِهِمْ هَذِهِ أَنَّهُمْ يَوَدُّونَ أَنْ لَوْ كَانُوا أَطَاعُوا اللَّهَ، وَ أَطَاعُوا الرَّسُولَ فِي الدُّنْيَا.

(وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا)

***الاشراف

*** أَيِ: اتَّبَعْنَا السَّادَةَ وَ هُمُ الْأُمَرَاءُ

(وَكُبَرَآءَنَا)

***يَعْنِي الْعُلَمَاءَ.

***وَ الْكُبَرَاءُ مِنَ الْمَشْيَخَةِ،

وَ خَالَفْنَا الرُّسُلَ وَ اعْتَقَدْنَا أَنَّ عِنْدَهُمْ شَيْئًا، وَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ فَإِذَا هُمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ.

○و قلدناهم على ضلالهم،

(فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠)

كقوله تعالى

(وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلا* يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلا* لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي)

الآية.

و لما علموا أنهم هم و كبراءهم مستحقون للعقاب،

أرادوا أن يشتفوا ممن أضلوهم، فقالـــــــوا:–

(رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ)

***بِكُفْرِهِمْ وَ إِغْوَائِهِمْ إِيَّانَا

فيقول اللّه لكل ضعف، فكلكم اشتركتم في الكفر و المعاصي،

فتشتركون في العقاب،

و إن تفاوت عذاب بعضكم على بعض بحسب تفاوت الجرم.

(وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا)

***المُيسر:و اطردهم من رحمتك طردًا شديدًا**

***المُيسر:و في هذا دليل على :-**

1-أن طاعة غير الله في مخالفة أمره و أمر رسوله،

موجبة لسخط الله و عقابه،

2-و أن التابع والمتبوع في العذاب مشتركون،

فليحذر المسلم ذلك.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ

وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ﴿٦٩﴾

توجيهات و عظات للمسلمين 69-71

*** صحيح البخاري

3404 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ

قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
إِنَّ مُوسَى كَانَ رَجُلًا حَيِيًّا سِتِّيرًا، لاَ يُرَى مِنْ جِلْدِهِ شَيْءٌ اسْتِحْيَاءً مِنْهُ،
فَآذَاهُ مَنْ آذَاهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ
فَقَالُوا: مَا يَسْتَتِرُ هَذَا التَّسَتُّرَ، إِلَّا مِنْ عَيْبٍ بِجِلْدِهِ:-
إِمَّا بَرَصٌ وَ إِمَّا أُدْرَةٌ وَ إِمَّا آفَةٌ،
وَ إِنَّ اللَّهَ أَرَادَ أَنْ يُبَرِّئَهُ مِمَّا قَالُوا لِمُوسَى،
فَخَلاَ يَوْمًا وَحْدَهُ، فَوَضَعَ ثِيَابَهُ عَلَى الحَجَرِ، ثُمَّ اغْتَسَلَ،
فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ إِلَى ثِيَابِهِ لِيَأْخُذَهَا،
وَ إِنَّ الحَجَرَ عَدَا بِثَوْبِهِ، فَأَخَذَ مُوسَى عَصَاهُ وَ طَلَبَ الحَجَرَ،
فَجَعَلَ يَقُولُ: ثَوْبِي حَجَرُ، ثَوْبِي حَجَرُ،
حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَلَإٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ،
فَرَأَوْهُ عُرْيَانًا أَحْسَنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ، وَ أَبْرَأَهُ مِمَّا يَقُولُونَ، وَ قَامَ الحَجَرُ،
فَأَخَذَ ثَوْبَهُ فَلَبِسَهُ، وَ طَفِقَ بِالحَجَرِ ضَرْبًا بِعَصَاهُ،
فَوَاللَّهِ إِنَّ بِالحَجَرِ لَنَدَبًا مِنْ أَثَرِ ضَرْبِهِ، ثَلاَثًا أَوْ أَرْبَعًا أَوْ خَمْسًا،
فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾( )

***وَ قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ:-عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، ﷺفِي قَوْلِهِ: -
{فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا}

(حييا) كثير الحياء. (ستيرا) من شأنه و دأبه حب الستر و صون نفسه عن رؤية أحد لعورته. (برص) بقع بياض تكون على الجلد. (أدرة) انتفاخ في الخصية. (آفة) عيب. (عدا) مشى مسرعا. (قام الحجر) وقف عن السير. / الأحزاب 69

قَالَ: صَعِدَ مُوسَى وَ هَارُونُ الْجَبَلَ،
فَمَاتَ هَارُونُ، عليه السلام، فَقَالَ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى، عليه السلام:
أَنْتَ قَتَلْتَهُ، كَانَ أَلْيَنَ لَنَا مِنْكَ وَ أَشَدَّ حَيَاءً.
فَآذَوْهُ مِنْ ذَلِكَ، فَأَمَرَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ فَحَمَلَتْهُ،
فَمَرُّوا بِهِ عَلَى مَجَالِسَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَتَكَلَّمَتْ بِمَوْتِهِ،
فَمَا عَرَفَ مَوْضِعَ قَبْرِهِ إِلَّا الرَّخَمِ، وَ إِنَّ اللَّهَ جَعَلَهُ أَصَمَّ أَبْكَمَ.
***قال ابن جرير:
وَ جَائِزٌ أَنَّ يَكُونَ هَذَا هُوَ الْمُرَادُ بِالْأَذَى،
وَ جَائِزٌ أَنْ يَكُونَ الْأَوَّلُ هُوَ الْمُرَادُ،
قُلْتُ: يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْكُلُّ مُرَادًا، وَ أَنْ يَكُونَ مَعَهُ غَيْرُهُ، وَ اللَّهُ أَعْلَمُ.

(يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ)

يحذر تعالى عباده المؤمنين عن أذية رسولهم، محمد ﷺ النبي الكريم، الرؤوف

الرحيم، فيقابلوه بضد ما يجب له من الإكرام و الاحترام،

و أن لا يتشبهوا بحال الذين آذوا موسى بن عمران، كليم الرحمن،

(فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ)

من الأذية، أي: أظهر اللّه لهم براءته.

و الحال أنه عليه السلام، ليس محل التهمة و الأذية،

❍و الأذية المشار إليها هي قول بني إسرائيل لموسى لما رأوا شدة حيائه

و تستره عنهم: « إنه ما يمنعه من ذلك إلا أنه آدر »

أي: كبير الخصيتين، و اشتهر ذلك عندهم

فأراد الله أن يبرئه منهم، فاغتسل يومًا، و وضع ثوبه على حجر،

ففر الحجر بثوبه، فأهوى موسى عليه السلام في طلبه،

فمر به على مجالس بني إسرائيل،

فرأوه أحسن خلق اللّه، فزال عنه ما رموه به.

(وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا)

***الميسر**:و كان عند الله عظيم القدر و الجاه.**

فإنه كان وجيها عند اللّه، مقربًا لديه، من خواص المرسلين،

و من عباده المخلصين

***قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ:-

كَانَ مستجابَ الدَّعْوَةِ عِنْدَ اللَّهِ.

وَ قَالَ غَيْرُهُ مِنَ السَّلَفِ:-

لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ.

وَ لَكِنْ مُنِعَ الرُّؤْيَةَ لِمَا يَشَاءُ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ.

وَ قَالَ بَعْضُهُمْ:-

مِنْ وَجَاهَتِهِ الْعَظِيمَةِ عِنْدَ اللَّهِ:

أَنَّهُ شَفَعَ فِي أَخِيهِ هَارُونَ أَنْ يُرْسِلَهُ اللَّهُ مَعَهُ، فَأَجَابَ اللَّهُ سُؤَالَهُ،

وَ قَالَ: {وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا} [مَرْيَم: 53] .

فلم يزجرهم ما له، من الفضائل عن أذيته و التعرض له بما يكره،

فاحذروا أيها المؤمنون، أن تتشبهوا بهم في ذلك،

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ

﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ٧١﴾

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ)

يأمر تعالى المؤمنين بتقواه، في جميع أحوالهم، في السر و العلانية،

(وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا)

و يخص منها، و يندب للقول السديد،

و هو القول الموافق للصواب، أو المقارب له، عند تعذر اليقين،مـــــــــن:-

1-قـــــــراءة، و ذكـــــــر،

2-و أمـــــــر بمعروف،

3-و نهـــــــي عن منكر،

4-و تعـــــــلم علم و تعليمه،

5-و الحرص على إصابة الصواب، في المسائل العلمية،

6-و سلوك كل طريق يوصل لذلك، و كل وسيلة تعين عليه.

و من القول السديد:-

7-لين الكلام و لطفه، في مخاطبة الأنام،

8-و القول المتضمن للنصح و الإشارة، بما هو الأصلح.

ثم ذكر ما يترتب على تقواه، و[قول القول السديد]

فقال: (يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ)

أي:يكون ذلك سببًا لصلاحها، و طريقًا لقبولها،

لأن استعمال التقوى، تتقبل به الأعمال كما قال تعالى:–

(إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ)

و يوفق فيه الإنسان للعمل الصالح،

و يصلح اللّه الأعمال أيضًا بحفظها عما يفسدها،

و حفظ ثوابها و مضاعفته

كما أن الإخلال بالتقوى، و القول السديد سبب لفساد الأعمال،

و عدم قبولها، و عدم تَرَتُّبِ آثارها عليها.

(وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ)

أيضًا

(ذُنُوبَكُمۡۗ)

التي هي السبب في هلاككم،

فالتقوى تستقيم بها الأمور، و يندفع بها كل محذور

و لهذا قال: (وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا)

إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا

وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾

لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ

وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾

(إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ)

يعظم تعالى شأن الأمانة، التي ائتمن اللّه عليها المكلفين،التي هـــــــي :-

الامانة 72-73

1-امتثــــــــال الأوامر،

2-و اجتنــــــاب المحارم،في حال السر و الخفية كحال العلانية،

و أنه تعالى عرضها على المخلوقات العظيمة:-

السماوات و الأرض و الجبال،

عرض تخيير لا تحتيم،

و أنك إن قمت بها و أدَّيتِهَا على وجهها:-

فلك الثــــــواب،

و إن لم تقومي بها،و لم تؤديهـــــــــا:-

فعليك العقـــــــاب.

(فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا)

أي: خوفًا أن لا يقمن بما حُمِّلْنَ، لا عصيانًا لربهن، و لا زهدًا في ثوابه

(وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ)

و عرضها اللّه على الإنسان، على ذلك الشرط المذكور،

فقبلها، و حملها مع ظلمه و جهله،[و ضعفه]

و حمل هذا الحمل الثقيل.

(إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا)

*الميسر:إنه كان شديد الظلم و الجهل لنفسه

○فانقسم الناس – بحسب قيامهم بها و عدمه– إلى ثلاثة أقسام:–

1–منـــــــــافقون، أظهروا أنهم قاموا بها ظاهرًا لا باطنًا،

2–و مشــــــــركون، تركوها ظاهرًا و باطنًا،

3–و مؤمنـــــــــون، قائمون بها ظاهرًا و باطنًا.

***وَ قَالَ مَالِكٌ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ قَالَ:-

الْأَمَانَةُ ثَلَاثَةٌ: الصَّلَاةُ، وَ الصَّوْمُ، وَ الِاغْتِسَالُ مِنَ الْجَنَابَةِ.

وَ كُلُّ هَذِهِ الْأَقْوَالِ لَا تَنَافِيَ بَيْنَهَا، بَلْ هِيَ مُتَّفِقَةٌ وَ رَاجِعَةٌ إِلَى أَنَّهَا التَّكْلِيفُ،

وَ قَبُولُ الْأَوَامِرِ وَ النَّوَاهِي بِشَرْطِهَا،

وَ هُوَ أَنَّهُ إِنْ قَامَ بِذَلِكَ أُثِيبَ، وَ إِنْ تَرَكَهَا عُوقِبَ،

فَقَبِلَهَا الْإِنْسَانُ عَلَى ضَعْفِهِ وَ جَهْلِهِ وَ ظُلْمِهِ، إِلَّا مَنْ وَفَّقَ اللَّهُ،

وَ بِاللَّهِ الْمُسْتَعَانُ.

***صحيح البخاري

6497 - عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ، حَدَّثَنَا حُذَيْفَةُ،

قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺحَدِيثَيْنِ،

رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا وَ أَنَا أَنْتَظِرُ الآخَرَ:

حَدَّثَنَا: «أَنَّ الأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ

ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ القُرْآنِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ»
وَ حَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِهَا قَالَ:
يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ، فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ،
فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ أَثَرِ الوَكْتِ،
ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ فَيَبْقَى أَثَرُهَا مِثْلَ المَجْلِ،
كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ عَلَى رِجْلِكَ فَنَفِطَ، فَتَرَاهُ مُنْتَبِرًا وَ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ،
فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ، فَلاَ يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الأَمَانَةَ،
فَيُقَالُ: إِنَّ فِي بَنِي فُلَانٍ رَجُلًا أَمِينًا،
وَ يُقَالُ لِلرَّجُلِ: مَا أَعْقَلَهُ وَ مَا أَظْرَفَهُ وَ مَا أَجْلَدَهُ،
وَ مَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ
وَ لَقَدْ أَتَى عَلَيَّ زَمَانٌ وَمَا أُبَالِي أَيَّكُمْ بَايَعْتُ،
لَئِنْ كَانَ مُسْلِمًا رَدَّهُ عَلَيَّ الإِسْلاَمُ،
وَ إِنْ كَانَ نَصْرَانِيًّا رَدَّهُ عَلَيَّ سَاعِيهِ،
فَأَمَّا اليَوْمَ: فَمَا كُنْتُ أُبَايِعُ إِلَّا فُلاَنًا وَ فُلاَنًا( )

(الأمانة) الطاعة والتزام الأمر والنهي. (جذر) هو الأصل من كل شيء
(علموا) أي الأمانة. (الوكت) أثر النار ونحوها. (المجل) التنفط الذي يحصل في اليد من أثر العمل بالفأس ونحوه أو من مس النار وهو ماء يجتمع بين الجلد واللحم. (منتبرا) مرتفعا. (ما أظرفه) ما أحسنه. (ما أجلده) ما أقواه وما أصبره. (مثقال) وزن. (خردل) نبت صغير الحب يضرب به المثل في الصغر. (أتى علي زمان) مر علي من قبل. (وما أبالي) لا أبحث عن حال من أبايع لثقتي بأمانته. (ساعيه) الوالي عليه يقوم بالأمانة في ولايته فينصفني ويستخرج حقي منه. (فلانا و فلانا) يعني أفرادا من الناس قلائل أعرفهم و أثق بأمانتهم. (الفربري) أحد رواة الصحيح عن البخاري رحمه الله تعالى. (أبو جعفر) هو وراق البخاري و كاتبه.
(أبو عبد الله) البخاري نفسه

○فذكر اللّه تعالى أعمال هؤلاء الأقسام الثلاثة،

و ما لهم من الثواب و العقاب فقال:-

(لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ)

***إِنَّمَا حمَلَ ابْنُ آدمَ الْأَمَانَةَ وَ هِيَ التَّكَالِيفُ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ

(ٱلْمُنَٰفِقِينَ)

***مِنْهُمْ

(وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ)

***وَ هُمُ الَّذِينَ يُظْهِرُونَ الْإِيمَانَ خَوْفًا مِنْ أَهْلِهِ
وَ يُبْطِنُونَ الْكُفْرَ مُتَابَعَةً لِأَهْلِهِ،

{وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ }

وَ هُمُ الَّذِينَ ظَاهِرُهُمْ وَ بَاطِنُهُمْ عَلَى الشِّرْكِ بِاللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، وَ مُخَالَفَةِ رُسُلِهِ،

(وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۗ)

***وَ لِيَرْحَمَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْخَلْقِ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ، وَ مَلَائِكَهِ وَ كُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ
الْعَامِلِينَ بِطَاعَتِهِ

(وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا)

*الميسر:و كان الله غفوراً للتائبين من عباده،

(رَّحِيمًا)

بهم.

فله الحمد تعالى، حيث ختم هذه الآية بهذين الاسمين الكريمين، الدالين على تمام مغفرة اللّه، و سعة رحمته، و عموم جوده، مع أن المحكوم عليهم، كثير منهم، لم يستحق المغفرة و الرحمة، لنفاقه و شركه.

تم تفسير سورة الأحزاب.

بحمد اللّه و عونه.

سورة سبأ-مكية-بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ
وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ١ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ
ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلۡغَفُورُ ٢ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا
ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ
مُّبِينٖ ٣ لِّيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ
وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤ وَٱلَّذِينَ سَعَوۡ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن
رِّجۡزٍ أَلِيمٞ ٥ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ
ٱلۡحَقَّ وَيَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ٦ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ
عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ ٧

تفسير سورة سبأ و هي مكية- بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ
وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ١ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا

وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلۡغَفُورُ ﴿٢﴾

اثبات البعث و الرد على منكريه1-9

(ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي)

الحمـــــــد:-

الثنـــــــاء بالصفـــــــات الحميدة، و الأفعـــــــال الحسنة،

فللّه تعالى الحمـــــــد، لأن : -

1-جميع صفـــــــاته، يُحمد عليها، لكونها صفات كمال،

2-و أفعـــــــاله، يحمد عليها،

لأنها دائرة بين الفضـــــــل:-

الذي يحمد عليه و يشكر،

و العـــــــدل :-

الذي يُحمد عليه و يُعترف بحكمته فيه.

و حمد نفسه هنا، على أن (لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ)

ملكـــــــا و عبيـــــــدا، يتصرف فيهم بحمده.

(وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ)

لأن في الآخرة، يظهر من حمده، و الثناء عليه، ما لا يكون في الدنيا

فإذا قضى اللّه تعالى بين الخلائق كلهم،

و رأى الناس و الخلق كلهم، ما حكم به،

و كمال عدله و قسطه،و حكمته فيه،

حمدوه كلهم على ذلك،

حتى أهل العقاب ما دخلوا النار، إلا و قلوبهم ممتلئة من حمده،

و أن هذا من جراء أعمالهم، و أنه عادل في حكمه بعقابهم.

○و أما ظهور حمده في دار النعيم و الثواب،

فذلك شيء قد تواردت به الأخبار،

و توافق عليه الدليل السمعي و العقلي،

فإنهم في الجنة، يرون من توالي نعم اللّه، و إدرار خيره، و كثرة بركاته،

و سعة عطاياه، التي لم يبق في قلوب أهل الجنة أمنية، و لا إرادة،

إلا وقد أعطي فوق ما تمنى و أراد،

بل يعطون من الخير ما لم تتعلق به أمانيهم، و لم يخطر بقلوبهم.

○فما ظنك بحمدهم لربهم في هذه الحال، مع أن في الجنة تضمحل العوارض و القواطع، التي تقطع عن معرفة اللّه و محبته و الثناء عليه،

و يكون ذلك أحب إلى أهلها من كل نعيم،

و ألذ عليهم من كل لذة،

و لهذا إذا رأوا اللّه تعالى، و سمعوا كلامه عند خطابه لهم،

أذهلهم ذلك عن كل نعيم،

و يكون الذكر لهم في الجنة، كالنَّفس، متواصلا في جميع الأوقات،

هذا إذا أضفت ذلك إلى أنه يظهر لأهل الجنة في الجنة كل وقت من عظمة ربهم، و جلاله، و جماله، و سعة كماله،

ما يوجب لهم كمال الحمد،و الثناء عليه.

(وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ)

في ملكه و تدبيره، الحكيم في أمره و نهيه.

(ٱلۡخَبِيرُ)

المطلع على سرائر الأمور و خفاياها

و لهذا فصل علمه بقوله: (يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ)

أي: من مطر، و بذر، و حيوان

(وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا)

من أنواع النباتات، و أصناف الحيوانات

(وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ)

من الأملاك و الأرزاق و الأقدار

(وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۚ)

من الملائكة و الأرواح و غير ذلك.

و لما ذكر مخلوقاته و حكمته فيها، و علمه بأحوالها،

ذكر مغفرته و رحمته لها،

فقال: (وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلۡغَفُورُ)

أي: الذي الرحمـــــــــة و المغفـــــــرة وصفــــــــه

و لم تزل آثارهما تنزل على عباده كل وقت بحسب :-

مـــــا قـــــاموا به من مقتضيـــــــاتهما.

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٣ لِّيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤ وَٱلَّذِينَ سَعَوۡ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٞ ٥

***هَذِهِ إِحْدَى الْآيَاتِ الثَّلَاثِ الَّتِي لَا رَابِعَ لَهُنَّ،
مِمَّا أَمَرَ اللَّهُ رسولَه ﷺ أَنْ يُقْسِمَ بِرَبِّهِ الْعَظِيمِ عَلَى وُقُوعِ الْمَعَادِ
لَمَّا أَنْكَرَهُ مَنْ أَنْكَرَهُ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ وَ الْعِنَادِ،

1-فِي سُورَةِ يُونُسَ:

{وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ}[يُونُسَ:53] ،

2-هَذِهِ: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ}

3-فِي التَّغَابُنِ:{زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} [التَّغَابُنِ:7]

فَقَوْلُهُ: {قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ}

ثُمَّ وَصَفَهُ بِمَا يُؤَكِّدُ ذَلِكَ وَ يُقَرِّرُهُ: {عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَلا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرُ إِلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} .

○بين تعالى، عظمته، بما وصف به نفسه،

و كان هذا موجبا لتعظيمه و تقديسه، و الإيمان به،

ذكر أن من أصناف الناس، طائفة لم تقدر ربها حق قدره،

و لم تعظمه حق عظمته، بل كفروا به،

و أنكروا قدرته على إعادة الأموات، و قيام الساعة،

و عارضوا بذلك رسله فقال:-(وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟)

أي باللّه و برسله، و بما جاءوا به،

فقالوا بسبب كفرهم: (لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ)

أي: ما هي، إلا هذه الحياة الدنيا، نموت و نحيا.

فأمر اللّه رسوله أن يرد قولهم و يبطله،

و يقسم على البعث، و أنه سيأتيهم،

و استدل على ذلك بدليل من أقرَّ به، لزمه أن يصدق بالبعث ضرورة،

و هو علمه تعالى الواسع العام

فقال: (عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ)

أي: الأمور الغائبة عن أبصارنا، و عن علمنا، فكيف بالشهادة؟

○ثم أكد علمه فقال: (لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ)

أي: لا يغيب عن علمه

(مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ)

***الميسر:**وزن نملة صغيرة**

(فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ)

أي: جميع الأشياء بذواتها و أجزائها، حتى أصغر ما يكون من الأجزاء، و هو المثاقيل منها.

(وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ)

أي: قد أحاط به علمه، و جرى به قلمه، و تضمنه الكتاب المبين، الذي هو اللوح المحفوظ، فالذي لا يخفى عن علمه مثقال الذرة فما دونه، في جميع الأوقات، و يعلم ما تنقص الأرض من الأموات، و ما يبقى من أجسادهم، قادر على بعثهم من باب أولى، و ليس بعثهم بأعجب من هذا العلم المحيط.

***الحكمة الأولى من إعادة الابدان و قيام الساعة:-**

ثم ذكر المقصود من البعث فقال: (لِّيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ) بقلوبهـــــــــم، صدقوا اللّه، و صدقوا رسله تصديقا جازما،

(وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۚ)

تصديقا لإيمانهم.

(أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ)

لذنوبهم، بسبب إيمانهم و عملهم، يندفع بها كل شر و عقاب.

(وَرِزْقٌ كَرِيمٌ)

بإحسانهم، يحصل لهم به كل مطلوب و مرغوب، و أمنية.

(وَٱلَّذِينَ سَعَوْ)

*يثبطون الناس عن متابعة النبى ﷺ

(فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ)

*مشاقين مغالبين

أي: سعـــــوا فيهـــــا :-

1-كفـــــرا بها،

2-و تعجيــزا لمن جاء بهـــا،

3-و تعجيــزا لمن أنزلهــــــا،

كما عجزوه في الإعادة بعد الموت.

(أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ)

أي: مؤلم لأبدانهم و قلوبهم.

*** كَمَا قَالَ:{لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ} [الْحَشْرِ: 20]

وَ قَالَ تَعَالَى:{أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ

أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ} [ص:28]

***الحكمة الثانية من إعادة الابدان و قيام الساعة:-**

وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾

(وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ)

***هَذِهِ حِكْمَةٌ أُخْرَى مَعْطُوفَةٌ عَلَى الَّتِي قَبْلَهَا،

وَ هِيَ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى الرُّسُلِ إِذَا شَاهَدُوا قِيَامَ السَّاعَةِ

وَ مُجَازَاةَ الْأَبْرَارِ وَ الْفُجَّارِ بِالَّذِي كَانُوا قَدْ عَلِمُوهُ مَنْ كُتُبِ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا

رَأَوْهُ حِينَئِذٍ عَيْنَ الْيَقِينِ، وَ يَقُولُونَ يَوْمَئِذٍ أَيْضًا:-

{لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ} [الْأَعْرَافُ: 43]

وَ يُقَالُ أَيْضًا: {هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ} [يس:52]

{لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ} [الرُّومِ:56] ،

لما ذكر تعالى إنكار من أنكر البعث،

و أنهم يرون ما أنزل على رسوله ليس بحق،

ذكر حالة الموفقين من العباد، و هم أهل العلم،

و أنهم يرون ما أنزل اللّه على رسوله من الكتاب،

و ما اشتمل عليه من الأخبار،

(هُوَ ٱلْحَقَّ)

أي: الحق منحصر فيه، و ما خالفه و ناقضه، فإنه باطل،

لأنهم وصلوا من العلم إلى درجة اليقين.

و يرون أيضا أنه في أوامره و نواهيه

(وَيَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ)

***الجزائري:وهو الإسلام.**

(ٱلۡعَزِيزِ)

هُوَ: الْمَنِيعُ الْجَنَابِ الَّذِي لَا يُغالب وَ لَا يُمَانع، بَلْ قَدْ قَهَرَ كُلَّ شَيْءٍ،

(ٱلۡحَمِيدِ)

فِي جَمِيعِ أَقْوَالِهِ وَ أَفْعَالِهِ وَ شَرْعِهِ، وَ قَدَرِهِ، وَ هُوَ الْمَحْمُودُ فِي ذلك كله.

و ذلك أنهم جزموا بصدق ما أخبر به من وجــــــــوه كثيــــــــرة:-

1-من جهة علمهم بصدق من أخبر به،

2-و من جهة موافقته للأمور الواقعة، و الكتب السابقة،

3-و من جهة ما يشاهدون من أخبارها، التي تقع عيانا،

4-و من جهة ما يشاهدون من الآيات العظيمة الدالة عليها في الآفاق و في أنفسهم

5-و من جهة موافقتها، لما دلت عليه أسماؤه تعالى و أوصافه.

و يـــــرون في الأوامر و النواهي، أنهـــــا :-

1-تهدي إلى الصراط المستقيم، المتضمن للأمر بكل صفة تزكي النفس،

و تنمي الأجر، و تفيد العامل و غيره،

كالصدق و الإخلاص و بر الوالدين، و صلة الأرحام،و الإحسان

إلى عموم الخلق، و نحو ذلك.

2-و تنهى عن كل صفة قبيحة:-

تدنس النفس، و تحبط الأجر،

و توجب الإثم و الوزر، مـــــن:-

الشـــــرك، و الزنـــــا، و الربـــــا،

و الظلم في الدمـــــاء و الأمـــــوال، و الأعـــــراض.

○و هذه منقبة لأهل العلم و فضيلة، و علامة لهم،

○و أنه كلما كان العبد أعظم علما و تصديقا بأخبار ما جاء به الرسول،

و أعظم معرفة بحكم أوامـــــره و نواهيـــــه:-

كان من أهل العلم الذين جعلهم اللّه حجة على ما جاء به الرسول،

احتج اللّه بهم على المكذبين المعاندين، كما في هذه الآية و غيرها.

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ ٧

(وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ)

أي: على وجه التكذيب و الاستهزاء و الاستبعاد، و ذكر وجه الاستبعاد.

أي: قال بعضهم لبعض:

(هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ)

يعنون بذلك الرجل، رسول اللّه ﷺ،

(يُنَبِّئُكُمۡ)

و أنه رجل أتى بما يستغرب منه، حتى صار – بزعمهم – فرجة يتفرجون عليه، و أعجوبة يسخرون منه،

(إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ)

و أنه كيف يقول(إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ)

بعدما مزقكم البلى،

و تفرقت أوصالكم،

و اضمحلت أعضاؤكم؟!.

(يخبركم ماذا يكون مصيركم اذا تمزقت أعضاؤكم و تحللت أجسادكم و تفرقت فى الارض بعد الموت و صرتم ترابا فان محمدﷺ يخبركم أنكم ستعودون احياء ترزقون (ليس معناها أنه ينبئكم اذا تفرقتم و تشتتم أو حال تمزقكم)

(إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ)

***الميسر:-إنكم ستُحيون و تُبعثون من قبوركم؟**

قالوا ذلك مِن فرط إنكارهم.

وَ هُوَ فِي هَذَا الْإِخْبَارِ لَا يَخْلُو أَمْرُهُ مِنْ قِسْمَيْــــنِ:-

1-إِمَّا أَنْ يَكُونَ قَدْ تَعَمَّدَ الِافْتِرَاءَ عَلَى اللَّهِ أَنَّهُ قَدْ أَوْحَى إِلَيْهِ ذَلِكَ،

2-أَوْ أَنَّهُ لَمْ يَتَعَمَّدْ لَكِنْ لُبّس عَلَيْهِ كَمَا يُلَبَّس عَلَى الْمَعْتُوهِ وَالْمَجْنُونِ؛

أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةُۢۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ فِي ٱلۡعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ
ٱلۡبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ
إِن نَّشَأۡ نَخۡسِفۡ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ نُسۡقِطۡ عَلَيۡهِمۡ كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَأٓيَةٗ لِّكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ﴿٩﴾ ۞ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ
وَٱلطَّيۡرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعۡمَلۡ سَٰبِغَٰتٖ وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِۖ وَٱعۡمَلُواْ
صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿١١﴾ وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهۡرٞ وَرَوَاحُهَا شَهۡرٞۖ
وَأَسَلۡنَا لَهُۥ عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِۖ وَمِنَ ٱلۡجِنِّ مَن يَعۡمَلُ بَيۡنَ يَدَيۡهِ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ
وَمَن يَزِغۡ مِنۡهُمۡ عَنۡ أَمۡرِنَا نُذِقۡهُ مِنۡ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ
مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٖ كَٱلۡجَوَابِ وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍۚ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ
وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَوۡتَ مَا دَلَّهُمۡ عَلَىٰ مَوۡتِهِۦٓ
إِلَّا دَآبَّةُ ٱلۡأَرۡضِ تَأۡكُلُ مِنسَأَتَهُۥۖ
فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلۡجِنُّ أَن لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٱلۡغَيۡبَ مَا لَبِثُواْ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ ﴿١٤﴾
أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةُۢۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ فِي ٱلۡعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ
ٱلۡبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِن
نَّشَأۡ نَخۡسِفۡ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ نُسۡقِطۡ عَلَيۡهِمۡ كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ٩﴾

فهـــــذا الرجل الذي يأتي بذلك، هل ﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا؟﴾ فتجرأ عليه و قال ما قال

﴿أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ﴾؟

فلا يستغرب منه، فإن الجنون فنون،

و كل هذا منهم، على وجه العناد و الظلم،

و لقد علموا، أنه أصدق خلق اللّه و أعقلهم،

و من علمهم، أنهم أبدوا و أعادوا في معاداتهم،

و بذلوا أنفسهم و أموالهم، في صد الناس عنه،

فلو كان كاذبا مجنونا لم ينبغ لكم – يا أهل العقول غير الزاكية – أن تصغوا لما قال،

و لا أن تحتفلوا بدعوته،

فإن المجنون، لا ينبغي للعاقل أن يلفت إليه نظره،أو يبلغ قوله منه كل مبلغ.

و لولا عنادكم و ظلمكم، لبادرتم لإجابته، و لبيتم دعوته،

و لكن (مَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ)

و لهذا قال تعالى [ردا عليهم]: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ﴾

و منهم الذين قالوا تلك المقالة،

***لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا زَعَمُوا وَ لَا كَمَا ذَهَبُوا إِلَيْهِ،

بَلْ مُحَمَّدٌ ﷺهُوَ الصَّادِقُ الْبَارُّ الرَّاشِدُ الَّذِي جَاءَ بِالْحَقِّ،
وَ هُمُ الْكَذَبَةُ الْجَهَلَةُ الْأَغْبِيَاءُ،

(فِي ٱلۡعَذَابِ)

***فِي الْكُفْرِ الْمُفْضِي بِهِمْ إِلَى عَذَابِ اللَّهِ،

(وَٱلضَّلَٰلِ ٱلۡبَعِيدِ)

***مِنَ الْحَقِّ فِي الدُّنْيَا.

أي: في الشقاء العظيم، و الضلال البعيد، الذي ليس بقريب من الصواب

و أي شقاء و ضلال، أبلغ مـــــــن :-

1-إنكارهم لقدرة اللّه على البعث و تكذيبهم لرسوله الذي جاء به،

و استهزائهم به،

2-و جزمهم بأن ما جاءوا به هو الحق،

فرأوا الحق باطلا و الباطل و الضلال حقا و هدى.

ثم نبههم على الدليل العقلي، الدال على عدم استبعاد البعث، الذي استبعدوه،

(أَفَلَمۡ يَرَوۡاْ)

أنهم لو نظروا

(إِلَىٰ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ)

فرأوا من قدرة اللّه فيهما، ما يبهر العقول،

و من عظمته ما يذهل العلماء الفحول،

و أن خلقهما و عظمتهما و ما فيهما من المخلوقات

أعظم من إعادة الناس – بعد موتهم – من قبورهم،

فما الحامل لهم، على ذلك التكذيب مع التصديق، بما هو أكبر منه؟

نعم ذاك خبر غيبي إلى الآن، ما شاهدوه، فلذلك كذبوا به.

قال اللّه: (إِن نَّشَأۡ نَخۡسِفۡ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ)

***الميسر:كما فعلنا بقارون**

(أَوۡ نُسۡقِطۡ عَلَيۡهِمۡ كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ)

***الميسر:أو ننزل عليهم قطعًا من العذاب، كما فعلنا بقوم شعيب، فقد أمطرت السماء عليهم نارًا فأحرقتهم**

❍أي: من العذاب، لأن الأرض و السماء تحت تدبيرنا،

فإن أمرناهما لم يستعصيا،

فاحذروا إصراركم على تكذيبكم، فنعاقبكم أشد العقوبة.

(إِنَّ فِي ذَٰلِكَ)

أي: خلق السماوات و الأرض، و ما فيهما من المخلوقات

(لَأٓيَةٗ لِّكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ)

فكلما كان العبد أعظم إنابة إلى اللّه، كان انتفاعه بالآيات أعظم،

لأن المنيـــــــب:–

1–مقبل إلى ربه، قد توجهت إراداته و هماته لربه،

2–و رجع إليه في كل أمر من أموره، فصار قريبا من ربه،

ليس له هم إلا الاشتغال بمرضاته،

3–فيكون نظره للمخلوقات نظر فكرة و عبرة، لا نظر غفلة غير نافعة.

۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾

أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾

نعم الله على داود و سليمان 10-24

(وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا)

أي:و لقد مننا على عبدنا و رسولنا،داود عليه الصلاة و السلام، و آتيناه

(فَضْلًا ۖ)

من العلم النافع، و العمل الصالح، و النعم الدينية و الدنيوية،

(يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ)

و من نعمه عليه، ما خصه به من أمره تعالى الجمادات

كالجبـــــــال و الحيوانـــــــات، من الطيـــــــور، أن:–

تُؤَوِّب معه، و تُرَجِّع التسبيح بحمد ربها، مجاوبة له،

و في هذا من النعمة عليه:–

1–أن كان ذلك من خصائصه التي لم تكن لأحد قبله و لا بعده،

2–و أن ذلك يكون منهضا له و لغيره على التسبيح إذا رأوا هذه الجمادات

و الحيوانات، تتجاوب بتسبيح ربها، و تمجيده، و تكبيره، و تحميده،

كان ذلك مما يهيج على ذكر اللّه تعالى.

3–أن ذلك – كما قال كثير من العلماء، أنه طرب لصوت داود،

فإن اللّه تعالى، قد أعطاه من حسن الصوت، ما فاق به غيره،

و كان إذا رجَّع التسبيح و التهليل و التحميد بذلك الصوت الرخيم الشجيِّ

المطرب، طرب كل من سمعه، من الإنس، و الجن،

حتى الطيور و الجبال، و سبحت بحمد ربها.

4–أنه لعله ليحصل له أجر تسبيحها، لأنه سبب ذلك، و تسبح تبعا له.

***صحيح البخاري

5048 - عَنْ أَبِي مُوسَى ﷺعَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ لَهُ:

«يَا أَبَا مُوسَى لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ»( )

(وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ)

و من فضله عليه، أن ألان له الحديد

***كَانَ لَا يَحْتَاجُ أَنْ يُدخلَه نَارًا وَ لَا يَضْرِبَهُ بِمِطْرَقَةٍ،

بَلْ كَانَ يَفْتِلُهُ بِيَدِهِ مِثْلَ الْخُيُوطِ؛ وَ لِهَذَا قَالَ:

(أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ)

ليعمل الدروع السابغات،

***وَ هُوَ أَوَّلُ مَنْ عَمِلَهَا مِنَ الْخَلْقِ، وَ إِنَّمَا كَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ صَفَائِحُ.

(مزمارا) صوتا حسنا يشبه ما أعطيه داود عليه السلام من حسن الصوت.

و أصله الآلة و أطلق على الصوت الحسن للمشابهة بينهما]

(وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِۖ)

و علمه تعالى كيفية صنعته، بأن يقدره في السرد،

أي: يقدره حلقا، و يصنعه كذلك، ثم يدخل بعضها ببعض.

***لَا تُدِقّ الْمِسْمَارَ فَيقلَق فِي الْحَلْقَةِ، وَ لَا تُغَلّظه فَيَفْصِمَهَا،وَ اجْعَلْهُ بِقَدَرٍ.

قال تعالى:-

(وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ)

(أَنِ ٱعۡمَلۡ سَٰبِغَٰتٖ وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِۖ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ)

و لما ذكر ما امتن به عليه و على آله:-

1-أمـــــــره بشكره،

2-و أن يعملوا صالحا (وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ)

3-و يراقبوا اللّه تعالى فيه، بإصلاحه و حفظه من المفسدات،

(إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ)

فإنه بصير بأعمالهم، مطلع عليهم، لا يخفى عليه منها شيء.

وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهۡرٞ وَرَوَاحُهَا شَهۡرٞۖ وَأَسَلۡنَا لَهُۥ عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِۖ

وَمِنَ ٱلۡجِنِّ مَن يَعۡمَلُ بَيۡنَ يَدَيۡهِ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَمَن يَزِغۡ مِنۡهُمۡ عَنۡ أَمۡرِنَا نُذِقۡهُ مِنۡ

عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ١٢ يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٖ كَٱلۡجَوَابِ

وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍۚ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ١٣

فَلَمَّا قَضَيۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَوۡتَ مَا دَلَّهُمۡ عَلَىٰ مَوۡتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلۡأَرۡضِ تَأۡكُلُ مِنسَأَتَهُۥۖ
فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلۡجِنُّ أَن لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٱلۡغَيۡبَ مَا لَبِثُواْ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ ١٤

(وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ)

لما ذكر فضله على داود عليه السلام ذكر فضله على ابنه سليمان، عليه السلام

و أن اللّه سخر له الريح تجري بأمره، و تحمله، و تحمل جميع ما معه،

و تقطع المسافة البعيدة جدا، في مدة يسيرة، فتسير في اليوم، مسيرة شهرين.

(غُدُوُّهَا شَهۡرٞ)

أي: أول النهار إلى الزوال

(وَرَوَاحُهَا شَهۡرٞۖ)

من الزوال، إلى آخر النهار

(وَأَسَلۡنَا لَهُۥ)

أي: سخرنا له

(عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِۖ)

النحاس،

و سهلنا له الأسباب، في استخراج ما يستخرج منها من الأواني و غيرها.

(وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ)

و سخر اللّه له أيضا، الشياطين و الجن، لا يقدرون أن يستعصوا عن أمره،

(وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا)

***و مَنْ يَعْدِلْ وَ يَخْرُجُ مِنهُمْ عَنِ الطَّاعَةِ

(نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ)

***وَ هُوَ الْحَرِيقُ

(يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ)

و أعمالهم كل ما شاء سليمان، عملوه.

(مِن مَّحَٰرِيبَ)

و هو كل بناء يعقد، و تحكم به الأبنية، فهذا فيه ذكر الأبنية الفخمة،

***أَمَّا الْمَحَارِيبُ فَهِيَ الْبِنَاءُ الْحَسَنُ،وَ هُوَ أَشْرَفُ شَيْءٍ فِي الْمَسْكَنِ وَ صَدْرُهُ.

(وَتَمَٰثِيلَ)

أي:صور الحيوانات و الجمادات، من إتقان صنعتهم،

و قدرتهم على ذلك و عملهم لسليمان

(وَجِفَانٍ)

*الميسر:قِصَاع كبيرة

(كَٱلْجَوَابِ)

كالأحواض التي يجتمع فيها الماء،

أي: كالبرك الكبار، يعملونها لسليمان للطعام،

لأنه يحتاج إلى ما لا يحتاج إليه غيره ، و يعملون له

(وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍۚ)

لا تزول عن أماكنها، من عظمها.

فلما ذكر منته عليهم، أمرهم بشكرها فقال: (ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ)

و هم داود، و أولاده، و أهله، لأن المنة على الجميع،

و كثير من هذه المصالح عائد لكلهم.

(شُكۡرٗاۚ)

للّه على ما أعطاهم، و مقابلة لما أولاهم.

*** صحيح البخاري

1131 - عن عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَخْبَرَهُ:-

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺقَالَ لَهُ: «أَحَبُّ الصَّلاَةِ إِلَى اللَّهِ صَلاَةُ دَاوُدَ عليه السلام

و أَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَى اللَّهِ صِيَامُ دَاوُدَ،

وَ كَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ وَ يَقُومُ ثُلُثَهُ، وَ يَنَامُ سُدُسَهُ،

وَ يَصُومُ يَوْمًا، وَ يُفْطِرُ يَوْمًا»( )

***صحيح البخاري

1977 - عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

بَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ، أَنِّي أَسْرُدُ الصَّوْمَ، وَ أُصَلِّي اللَّيْلَ،

(أحب الصلاة) الصلاة المحبوبة من النوافل. (أحب الصيام) الصيام المحبوب من التطوع]

فَإِمَّا أَرْسَلَ إِلَيَّ وَ إِمَّا لَقِيتُهُ، فَقَالَ:
«أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَصُومُ وَ لَاتُفْطِرُ، وَ تُصَلِّي؟
فَصُمْ وَ أَفْطِرْ، وَ قُمْ وَ نَمْ، فَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَظًّا،
وَ إِنَّ لِنَفْسِكَ وَ أَهْلِكَ عَلَيْكَ حَظًّا»
قَالَ: إِنِّي لَأَقْوَى لِذَلِكَ،
قَالَ: «فَصُمْ صِيَامَ دَاوُدَ عليه السلام»
قَالَ: وَ كَيْفَ؟
قَالَ: «كَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَ يُفْطِرُ يَوْمًا، وَ لَا يَفِرُّ إِذَا لَاقَى»
قَالَ: مَنْ لِي بِهَذِهِ يَا نَبِيَّ اللَّهِ؟
- قَالَ عَطَاءٌ: لَا أَدْرِي كَيْفَ ذَكَرَ صِيَامَ الأَبَدِ -
قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا صَامَ مَنْ صَامَ الأَبَدَ» مَرَّتَيْنِ( )

(وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ)

فأكثرهم، لم يشكروا اللّه تعالى على ما أولاهم من نعمه،

و دفع عنهم من النقم.
***إِخْبَارٌ عَنِ الْوَاقِعِ.
و الشكــــــر:
1–اعتراف القلب بمنة اللّه تعالى،
2–و تلقيها افتقارا إليها،

(حظا) نصيبا وحقا. (لاقى) العدو. (لا صام) لم يكتب له ثواب الصيام. (الأبد) الدهر والمراد هنا تابع الصيام مدة عمره ولم يفطر إلا الأيام التي يحرم صومها كالعيدين وأيام التشريق

3–و صرفها في طاعة اللّه تعالى،

4–و صونها عن صرفها في المعصية.

(فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ)

فلم يزل الشياطين يعملون لسليمان، عليه الصلاة والسلام، كل بناء،

و كانوا قد موهوا على الإنس، و أخبروهم أنهم يعلمون الغيب،

و يطلعون على المكنونات،

فأراد اللّه تعالى أن يُرِيَ العباد كذبهم في هذه الدعوى،

فمكثوا يعملون على عملهم،

و قضى اللّه الموت على سليمان عليه السلام

(مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ)

***وَ هِيَ الْأَرَضَةُ،

(تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ)

فلقد اتّكأ على عصاه، و هي المنسأة، فصاروا إذا مروا به و هو متكئ عليها،

ظنوه حيا، و هابوه.

فغدوا على عملهم كذلك سنة كاملة على ما قيل،

حتى سُلِطَّت دابةُ الأرض على عصاه،

فلم تزل ترعاها،حتى بادت و سقطت و [ضَعُفَتْ]

(فَلَمَّا خَرَّ)

فسقط سليمان ﷺ و تفرقت الشياطين

(تَبَيَّنَتِ ٱلۡجِنُّ أَن لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٱلۡغَيۡبَ مَا لَبِثُواْ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ)

و هو العمل الشاق عليهم، فلو علموا الغيب، لعلموا موت سليمان،

الذي هم أحرص شيء عليه، ليسلموا مما هم فيه.

وَ عُلِمَ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ قَبْلَ ذَلِكَ بِمُدَّةٍ طَوِيلَةٍ-
تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ وَ الْإِنْسُ أَيْضًا أَنَّ الْجِنَّ لَا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ،
كَمَا كَانُوا يَتَوَهَّمُونَ وَ يُوهِمُونَ النَّاسَ ذلك.

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ
وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ
وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾
ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى
الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا
آمِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ
وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾
وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾
وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا
فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ
لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ
وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾

قصة سبأ و سيل العرم 15-21

سبأ قبيلة معروفة في أداني اليمن،

و مسكنهم بلدة يقال لها « مأرب »

و من نعم اللّه و لطفه بالناس عموما، و بالعرب خصوصا:-

أنه قص في القرآن أخبار المهلكين و المعاقبين، ممن كان يجاور العرب،

و يشاهد آثاره، ويتناقل الناس أخباره، لـــــــــ:-

يكون ذلك أدعى إلى التصديق،

و أقرب للموعظة

فقال: (لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ)

أي: محلهم الذي يسكنون فيه

(ءَايَةٌ)

و الآيـــــــة هنـــــــا:-

1-ما أدرَّ اللّه عليهم من النعـــــــــم،

2-و صرف عنهم من النقم،

[الذي يقتضي ذلك منهم، أن يعبدوا اللّه و يشكروه.]

ثم فسر الآية بقوله (جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ)

***مِنْ نَاحِيَتَيِ الْجَبَلَيْنِ وَ الْبَلْدَةُ بَيْنَ ذَلِكَ،

Oو كان لهم واد عظيم، تأتيه سيول كثيرة،

و كانوا بنوا سدا محكما، يكون مجمعا للماء،

فكانت السيول تأتيه، فيجتمع هناك ماء عظيم،

فيفرقونه على بساتينهم، التي عن يمين ذلك الوادي و شماله.

و تُغِلُّ لهم تلك الجنتان العظيمتان، من الثمار ما يكفيهم،

و يحصل لهم به الغبطة و السرور،

(وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥۚ)

فأمرهم اللّه بشكر نعمه التي أدرَّها عليهم من وجـــــــوه كثيـــــــرة:-

1-هاتان الجنتان اللتان غالب أقواتهم منهما.

2-أن اللّه جعل بلدهم(بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ) لحسن هوائها، و قلة و خمها،

و حصول الرزق الرغد فيها.

3-(وَرَبٌّ غَفُورٞ)

أن اللّه تعالى وعدهم – إن شكروه – أن يغفر لهم وَ يرحمهم،

و لهذا قال: (بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ وَرَبٌّ غَفُورٞ)

*** غَفُورٌ لَكُمْ إِنِ اسْتَمْرَرْتُمْ عَلَى التَّوْحِيدِ

4-أن اللّه لما علم احتياجهم في تجارتهم و مكاسبهم إلى الأرض المباركة

– الظاهر أنها:قرى صنعاء قاله غير واحد من السلف

و قيل: إنها الشام –

هيأ لهم من الأسباب ما به يتيسر وصولهم إليها، بغاية السهولة، مــــــن:-

1-الأمـــــــن، و عدم الخـــــــوف،

2-و تواصل القرى بينهم و بينها،

بحيث لا يكون عليهم مشقة، بحمل الزاد و المزاد.

و لهـــــــذا قال: –

(وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ)

أي: سيرا مقدرا يعرفونه، و يحكمون عليه، بحيث لا يتيهون عنه

(سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ)

أي: مطمئنين في السير، في تلك الليالي و الأيام، غير خائفين.

و هذا من تمام نعمة اللّه عليهم، أن أمنهم من الخوف.

(فَأَعْرَضُوا۟)

1–عـــــــن المنعم، و عن عبادته، [***عَنْ تَوْحِيدِ اللَّهِ]

2–و بطـــروا النعمة،و ملوها[***وَ شُكْرِهِ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ]

وَ عَدَلُوا إِلَى عِبَادَةِ الشَّمْسِ، كَمَا قَالَ هُدْهُدُ سُلَيْمَانَ: -

{وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ. وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ}[النَّمْلِ: 22، 24] .

(فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا)

حتى إنهم طلبوا و تمنوا، أن تتباعد أسفارهم بين تلك القرى،

[التي كان السير فيها متيسرا]

(وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ)

بكفرهـــــــم باللّه و بنعمتـــــــه،

فعاقبهم اللّه تعالى بهذه النعمة، التي أطغتهم، فأبادها عليهم،

(فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ)
*** الْمُرَادُ بِالْعَرِمِ:-الْمِيَـــــاهُ.
***وَ قِيلَ: الْمَاءُ الْغَـــــــــزِيرُ
❍فأرسل عليها سيل العرم.

أي: السيل المتوعر، الذي خرب سدهم، و أتلف جناتهم، و خرب بساتينهم،

فتبدلت تلك الجنات ذات الحدائق المعجبة، و الأشجار المثمرة،

و صار بدلها أشجار لا نفع فيها،

***لَمَّا أَرَادَ عُقُوبَتَهُمْ بِإِرْسَالِ الْعَرِمِ عَلَيْهِمْ، بَعَثَ عَلَى السَّدِّ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ،
يُقَالُ لَهَا: "الجُرَذ" نَقَبَتْهُ -
***قَالَ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ:
وَ قَدْ كَانُوا يَجِدُونَ فِي كُتُبِهِمْ أَنَّ سَبَبَ خَرَابِ هَذَا السَّدِّ هُوَ الجُرَذ
فَكَانُوا يَرْصُدُونَ عِنْدَهُ السَّنَانِيرَ بُرْهَةً مِنَ الزَّمَانِ،
فَلَمَّا جَاءَ الْقَدَرُ غَلَبَتِ الْفَأْرُ السَّنَانِيرَ
وَ وَلَجَتْ إِلَى السَّدّ فَنَقَبَتْهُ، فَانْهَارَ عَلَيْهِمْ.

و لهــــــــذا قال:(وَبَدَّلۡنَٰهُم بِجَنَّتَيۡهِمۡ جَنَّتَيۡنِ ذَوَاتَيۡ أُكُلٍ)

أي: شيء قليل من الأكل الذي لا يقع منهم موقعا

(خَمۡطٖ)
***وَ هُوَ الْأَرَاكُ، وَ أَكْلَةُ البَرِير.
***الجزائري :مرٍّ بشع و هو شجر الأراك**

(وَأَثۡلٖ)

***هُوَ الطَّرْفاء.

***هُوَ شَجَرٌ يُشْبِهُ الطَّرْفَاءَ.

***هُوَ السّمُر.

***الميسر:و أثْل وهو شجر شبيه بالطّرْفاء لا ثمر له،**

(وَشَيۡءٖ مِّن سِدۡرٖ قَلِيلٖ)

***لَمَّا كَانَ أجودَ هَذِهِ الْأَشْجَارِ الْمُبْدَلِ بِهَا هُوَ السّدْر

***الميسر:و قليل من شجر النّبْق كثير الشوك**

قَالَ: {وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ}

فَهَذَا الَّذِي صَارَ أَمْرُ تَيْنك الْجَنَّتَيْنِ إِلَيْهِ،

بَعْدَ الثِّمَارِ النَّضِيجَةِ وَ الْمَنَاظِرِ الْحَسَنَةِ،

وَ الظِّلَالِ الْعَمِيقَةِ وَالْأَنْهَارِ الْجَارِيَةِ، تَبَدَّلَتْ إِلَى شَجَرِ الْأَرَاكِ وَالطَّرْفَاءِ

و السّدْر ذِي الشَّوْكِ الْكَثِيرِ وَ الثَّمَرِ الْقَلِيلِ.

وَ ذَلِكَ بِسَبَــــــــــبِ :-

1- كُفْــــرِهِمْ وَ شِرْكِهِمْ بِاللَّهِ،

2-وَ تَكْذِيبِهِمُ الْحَقَّ وَ عُدُولِهِمْ عَنْهُ إِلَى الْبَاطِلِ؛

و لهذا قال:(ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ)

***أَيْ: عَاقَبْنَاهُمْ بِكُفْرِهِمْ.

○و هذا كله شجر معروف و هذا من جنس عملهم.

فكما بدلوا الشكر الحسن، بالكفر القبيح، بدلوا تلك النعمة بما ذكر،

(وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ)

أي: و هل نجازي جزاء العقوبة – بدليل السياق –

إلا من كفر باللّه و بطر النعمة؟

(وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ ٱلۡقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا قُرٗى ظَٰهِرَةٗ وَقَدَّرۡنَا فِيهَا ٱلسَّيۡرَۖ

سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ)

***يَذْكُرُ تَعَالَى مَا كَانُوا فِيهِ مِنَ الغِبْطة وَ النِّعْمَةِ، وَ الْعَيْشِ الْهَنِيِّ الرَّغِيدِ،
وَ الْبِلَادِ الرَّخِيَّةِ، وَ الْأَمَاكِنِ الْآمِنَةِ، وَ الْقُرَى الْمُتَوَاصِلَةِ الْمُتَقَارِبَةِ،
بَعْضِهَا مِنْ بَعْضٍ، مع كثرة أشجارها و زروعها و ثمارها
بحيث إِنَّ مُسَافِرَهُمْ لَا يَحْتَاجُ إِلَى حَمل زَادٍ وَ لَا مَاءٍ،
بَلْ حَيْثُ نَزَلَ وَجَدَ مَاءً وَ ثَمَرًا، و يَقيل فِي قَرْيَةٍ وَ يَبِيتُ فِي أُخْرَى،
بِمِقْدَارِ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فِي سَيْرِهِمْ؛

وَ لِهَذَا قَالَ تَعَالَى: {وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ ٱلۡقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا}

***يَعْنِي:قُرَى الشَّامِ.
يَعْنُونَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَسِيرُونَ مِنَ الْيَمَنِ إِلَى الشَّامِ.
***بَيْتُ الْمَقْدِسِ.

{قُرٗى ظَٰهِرَةٗ }

*** مُتَوَاصِلَةٌ
أَيْ: بَيِّنَةٌ وَاضِحَةٌ، يَعْرِفُهَا الْمُسَافِرُونَ،
يَقيلون فِي وَاحِدَةٍ، وَ يَبِيتُونَ فِي أُخْرَى
***الميسر: لا مشقة فيه**

وَ لِهَذَا قَالَ: {وَقَدَّرۡنَا فِيهَا ٱلسَّيۡرَ}

أَيْ: جَعَلْنَاهَا بِحَسْبَ مَا يَحْتَاجُ الْمُسَافِرُونَ إِلَيْهِ،

(جعلنا السير فيها مقدرا بمسافة من منزل الى منزل و من قرية الى قرية لا ينزلون الا فى قرية و لا يغدون الا فى قرية (ليس المراد بقدرنا أى كتبنا و قضينا)

{سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ }

أَيِ: الْأَمْنُ حَاصِلٌ لَهُمْ فِي سَيْرِهِمْ لَيْلًا وَ نَهَارًا.

{فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا }

***الميسر :ربنا اجعل قُرانا متباعدة؛ ليبعد سفرنا بينها،**

فلا نجد قرى عامرة في طريقنا،

***الجزائري:حملهم بطر النعمة على أن سألوا ربهم**

بلسان حالهم و قالهم أن يباعد بين مسافات أسفارهم بإزالة تلك المدن

حتى يحملوا الزاد و يركبوا الخيول و يذوقوا طعم التعب

***هذا في الواقع هو حسد من الأغنياء للفقراء الذين لا طاقة لهم على السفر في المسافات البعيدة بدون زاد و لا رواحل ()**

○وَ قَرَأَ آخَرُونَ: "بَعِّدْ بَيْنِ أَسْفَارِنَا "

وَ ذَلِكَ أَنَّهُمْ بَطروا هَذِهِ النِّعْمَةَ –

كَمَا قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَالْحَسَنُ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ:-

---

قيل أن المسافة التي يقطعونها بين تلك المدن آمنين من الجوع و الخوف مسيرة أربعة أشهر ذهاباً و إياباً

22-م09-ص430

وَ أَحبُّوا مَفَاوِزَ وَ مَهَامِهَ يَحْتَاجُونَ فِي قَطْعِهَا إِلَى الزَّادِ وَ الرَّوَاحِلِ وَ السَّيْرِ فِي الحَرُورِ وَ الْمَخَاوِفِ،

كَمَا طَلَبَ بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنْ مُوسَى أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ لَهُمْ مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ، مِنْ بَقْلِهَا وَ قِثَّائِهَا وَ فُومِهَا وَ عَدَسِهَا وَ بَصَلِهَا،

مَعَ أَنَّهُمْ كَانُوا فِي عَيْشٍ رَغِيدٍ فِي مَنّ وَسَلْوَى وَمَا يَشْتَهُونَ مِنْ مَآكِلَ وَمَشَارِبَ وَمَلَابِسَ مُرْتَفِعَةٍ؛

وَ لِهَذَا قَالَ لَهُمْ: {أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِى هُوَ أَدْنَى بِالَّذِى هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ} [الْبَقَرَةِ: 61]

وَ قَالَ تَعَالَى: {وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا} [الْقَصَصِ: 58]

وَ قَالَ تَعَالَى: {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ} [النَّحْلِ: 112]

وَ قَالَ فِي حَقِّ هَؤُلَاءِ: {وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ }

أَيْ: بِكُفْرِهِمْ،

(فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ)

و جعلهم اللّه أحاديث يتحدث بهم، و أسمـــــارا للناس،

و كان يضرب بهم المثل فيقال: « تفرقوا أيدي سبأ »(1)

---

(1) أي مذاهب سبأ و طرقها

***الجزائري:ذهبوا شذر مذر.**

○فكل أحد يتحدث بما جرى لهم،

***وَ كَيْفَ مَكَرَ اللَّهُ بِهِمْ

(وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ)

***وَ فَرَّقَ شَمْلَهُمْ بَعْدَ الِاجْتِمَاعِ وَ الْأُلْفَةِ وَ الْعَيْشِ الْهَنِيءِ

تَفَرَّقُوا فِي الْبِلَادِ هَاهُنَا وَ هَاهُنَا

(ليس المراد أنه أهلكهك و قطع أجسادهم)

***الجزائري:فرقناهم في البلاد كل تفريق حيث لا يرجى لهم عود اتصال أبداً :-**

1-فذهب الأوس و الخزرج إلى يثرب"المدينة النبوية" و هم الأنصار،

2-و ذهب غسان و جذام و لخم إلى الشام،

3-و الأزد إلى عُمان،

4-و خزاعة إلى تهامة

○و لكن لا ينتفع بالعبرة فيهم إلا من قال اللّه:–

(إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ)

صبار على المكاره و الشدائد، يتحملها لوجه اللّه،

و لا يتسخطها بل يصبر عليها.

(شَكُورٍ)

لنعمة اللّه تعالى يُقِرُّ بها، و يعترف، و يثني على من أولاها،

و يصرفها في طاعته.

فهذا إذا سمع بقصتهم، و ما جرى منهم وعليهم،

عرف بذلك أن تلك العقوبة، جزاء لكفرهم نعمة اللّه،

و أن من فعل مثلهم، فُعِلَ به كما فعل بهم

و أن شكر اللّه تعالى، حافظ للنعمة، دافع للنقمة،

وأن رسل اللّه، صادقون فيما أخبروا به،

و أن الجزاء حق، كما رأى أنموذجه في دار الدنيا

***صحيح مسلم

(2999)عَنْ صُهَيْبٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ،

وَ لَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ،

إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ،

وَ إِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»

(وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ)

ثم ذكر أن قوم سبأ من الذين صدَّق عليهم

(إِبْلِيسُ ظَنَّهُ)

حيث قال لربه:(فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ* إِلا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ)

و هذا ظن من إبليس، لا يقين، لأنه لا يعلم الغيب،

و لم يأته خبر من اللّه، أنه سيغويهم أجمعين، إلا من استثنى،

فهؤلاء و أمثالهم، ممن صدق عليه إبليس ظنه، و دعاهم و أغواهم،

***قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَ غَيْرُهُ:-

هَذِهِ الْآيَةُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى إِخْبَارًا عَنْ إِبْلِيسٍ حِينَ امْتَنَعَ مِنَ السُّجُودِ لِآدَمَ،

ثُمَّ قَالَ: {أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِى كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلا قَلِيلا} [الْإِسْرَاءِ: 62]

ثُمَّ قَالَ:{ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ} [الْأَعْرَافُ: 17]

(فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ)

ممن لم يكفر بنعمة اللّه، فإنه لم يدخل تحت ظن إبليس.

و يحتمل أن قصة سبأ، انتهت عند قوله:-

(إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ)

ثم ابتدأ فقال: (وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ)

أي: على جنس الناس، فتكون الآية عامة في كل من اتبعه.

وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾

ثم قال تعالى:-(وَمَا كَانَ لَهُۥ)

أي: لإبليس

(عَلَيۡهِم مِّن سُلۡطَٰنٍ)

***حجة

***وَ قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: -

وَ اللَّهِ مَا ضَرَبَهُمْ بِعَصَا، وَ لَا أَكْرَهَهُمْ عَلَى شَيْءٍ،

وَ مَا كَانَ إِلَّا غُرُورًا وَ أَمَانِيَّ دَعَاهُمْ إِلَيْهَا فَأَجَابُوهُ.

أي: تسلط و قهر، و قسر على ما يريده منهم،

و لكن حكمة اللّه تعالى اقتضت تسليطه و تسويله لبني آدم.

(إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يُؤۡمِنُ بِٱلۡأٓخِرَةِ مِمَّنۡ هُوَ مِنۡهَا فِي شَكٍّۗ)

أي: لـــــــــــــــــــ:-

1-يقوم سوق الامتحان،

2-و يعلم به الصادق من الكاذب،

3-و يعرف من كان إيمانه صحيحا،

يثبت عند الامتحان و الاختبار، و إلقاء الشبه الشيطانية،

ممن إيمانه غير ثابت، يتزلزل بأدنى شبهة،

و يزول بأقل داع يدعوه إلى ضده،

4-فاللّه تعالى جعله امتحانا، يمتحن به عباده،و يظهر الخبيث من الطيب.

(وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ)

يحفظ العباد، و يحفظ عليهم أعمالهم، و يحفظ تعالى جزاءها،

فيوفيهم إياها، كاملة موفرة.

***وَ مَعَ حِفْظِهِ ضَلّ مَنْ ضَلّ مِنَ اتِّبَاعِ إِبْلِيسَ،
وَ بِحِفْظِهِ وَ كِلَاءَتِهِ سَلِم مَنْ سَلِمَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَتْبَاعِ الرُّسُلِ

قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ
فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ
وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾

شبه و مآل المشركين يوم القيامة 22-33

أي: (قُلِ)
يا أيها الرسول، للمشركين باللّه غيره من المخلوقات،
التي لا تنفع و لا تضر، ملزما لهم بعجزها، و مبينا لهم بطلان عبادتها:-
(ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ)
أي: زعمتموهم شركاء للّه، إن كان دعاؤكم ينفع،
فإنهم قد توفرت فيهم أسباب العجز، و عدم إجابة الدعاء من كل وجه،
فإنهم ليس لهم أدنى ملك
فـــــــ(لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ)
على وجه الاستقلال، و لا على وجه الاشتراك،
***كَمَا قَالَ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى: {وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ}
[فَاطِرٍ: 13]
و لهذا قال: (وَمَا لَهُمْ)

أي: لتلك الآلهة الذين زعمتم

(فِيهِمَا)

أي: في السماوات و الأرض،

(مِن شِرْكٍ)

أي: لا شرك قليل و لا كثير،

فليس لهم ملك، و لا شركة ملك.

بقي أن يقال: و مع ذلك، فقد يكونون أعوانا للمالك، و وزراء له،

فدعاؤهم يكون نافعا، لأنهم – بسبب حاجة الملك إليهم – يقضون حوائج من تعلق بهم،

فنفى تعالى هذه المرتبة

فقال: (وَمَا لَهُۥ)

أي: للّه تعالى الواحد القهار

(مِنْهُم)

أي: من هؤلاء المعبودين

(مِّن ظَهِيرٍ)

أي: معاون و وزير يساعده على الملك و التدبير.

***وَ لَيْسَ لِلَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَنْدَادِ مِنْ ظَهِيرٍ يُسْتَظْهَرُ بِهِ فِي الْأُمُورِ، بَلِ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ فُقَرَاءُ إِلَيْهِ، عُبَيْدٌ لَدَيْهِ.

وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ
قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٢٣ ۞ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُلِ ٱللَّهُۖ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ
٢٤ قُل لَّا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّآ أَجۡرَمۡنَا وَلَا نُسۡـَٔلُ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ٢٥
قُلۡ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفۡتَحُ بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَهُوَ ٱلۡفَتَّاحُ ٱلۡعَلِيمُ ٢٦
قُلۡ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلۡحَقۡتُم بِهِۦ شُرَكَآءَۖ كَلَّاۚ بَلۡ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٧
وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ
لَا يَعۡلَمُونَ ٢٨ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٢٩
قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوۡمٖ لَّا تَسۡتَـٔۡخِرُونَ عَنۡهُ سَاعَةٗ وَلَا تَسۡتَقۡدِمُونَ ٣٠
وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ
وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ يَرۡجِعُ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ
ٱلۡقَوۡلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لَوۡلَآ أَنتُمۡ لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ ٣١

وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ
قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٢٣

فلم يبق إلا الشفاعة، فنفاها بقوله:

(وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ)

فهذه أنواع التعلقات

التي يتعلق بها المشركون بأندادهم،و أوثانهم،مـــــن:-

البشر، و الشجر، و غيرهم،

قطعها اللّه و بيَّن بطلانها، تبيينا حاسما لمواد الشرك، قاطعا لأصوله،

لأن المشرك إنما يدعو و يعبد غير اللّه، لما يرجو منه من النفع،

فهذا الرجاء، هو الذي أوجب له الشرك،

فإذا كان من يدعوه غير اللّه لا مالكا للنفع و الضر، و لا شريكا للمالك،

و لا عونا و ظهيرا للمالك،

و لا يقدر أن يشفع بدون إذن المالك،

كان هذا الدعاء، و هذه العبادة، ضلالا في العقل، باطلة في الشرع.

بل ينعكس على المشرك مطلوبه و مقصوده،

فإنه يريد منها النفع، فبيَّن اللّه بطلانه وعدمه،

و بيَّن في آيات أخر، ضرره على عابديه و أنه يوم القيامة

يكفر بعضهم ببعض، و يلعن بعضهم بعضا، و مأواهم النار

(وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ)

❍و العجب، أن المشرك استكبر عن الانقياد للرسل، بزعمه أنهم بشر،

و رضي أن يعبد و يدعو الشجر، و الحجر،

استكبر عن الإخلاص للملك الرحمن الديان،

و رضي بعبادة من ضره أقرب من نفعه، طاعة لأعدى عدو له و هو الشيطان.

***لِعَظَمَتِه وَ جَلَالِهِ وَ كِبْرِيَائِهِ لَا يَجْتَرِئُ أَحَدٌ أَنْ يَشْفَعَ عِنْدَهُ تعَالَى فِي شَيْءٍ إِلَّا بَعْدَ إِذْنِهِ لَهُ فِي الشَّفَاعَةِ،

كَمَا قَالَ تعَالَى:{مَنْ ذَا الَّذِى يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلا بِإِذْنِهِ} [الْبَقَرَةِ:255]

وَ قَالَ:{وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِى السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى} [النَّجْمِ: 26]

وَ قَالَ:{وَلا يَشْفَعُونَ إِلا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ} [الْأَنْبِيَاءِ: 28]

***وَ لِهَذَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ غَيْرِ وَجْه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

-وَ هُوَ سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ، وَ أَكْبَرُ شَفِيعٍ عِنْدَ اللَّهِ-:

أَنَّهُ حِينَ يَقُومُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ لِيَشْفَعَ فِي الْخَلْقِ كُلِّهِمْ أَنْ يَأْتِيَ رَبَّهُمْ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ،

***صحيح البخاري

7410-قال النبى ﷺ

فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ لَهُ سَاجِدًا،

فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدَعَنِي،

ثُمَّ يُقَالُ لِي: ارْفَعْ مُحَمَّدُ وَ قُلْ يُسْمَعْ، وَ سَلْ تُعْطَهْ، وَ اشْفَعْ تُشَفَّعْ،

فَأَحْمَدُ رَبِّي بِمَحَامِدَ عَلَّمَنِيهَا،

ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا، فَأُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ،

ثُمَّ أَرْجِعُ، فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ سَاجِدًا،

فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدَعَنِي،

22-م10-ص431

ثُمَّ يُقَالُ: ارْفَعْ مُحَمَّدُ وَ قُلْ يُسْمَعْ، وَ سَلْ تُعْطَهْ، وَ اشْفَعْ تُشَفَّعْ،
فَأَحْمَدُ رَبِّي بِمَحَامِدَ عَلَّمَنِيهَا رَبِّي،
ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا،
فَأُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ، ثُمَّ أَرْجِعُ،
فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ سَاجِدًا،
فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدَعَنِي،
ثُمَّ يُقَالُ: ارْفَعْ مُحَمَّدُ، قُلْ يُسْمَعْ، وَ سَلْ تُعْطَهْ، وَ اشْفَعْ تُشَفَّعْ،
فَأَحْمَدُ رَبِّي بِمَحَامِدَ عَلَّمَنِيهَا، ثُمَّ أَشْفَعْ، فَيَحُدُّ لِي حَدًّا فَأُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ،

و قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ﴾

أولا:–يحتمل أن الضمير في هذا الموضع، يعود إلى المشركين:–

لأنهم مذكورون في اللفظ،

و القاعدة في الضمائر، أن تعود إلى أقرب مذكور،

و يكون المعنى: إذا كان يوم القيامة، و فزع عن قلوب المشركين،

أي: زال الفزع، و سئلوا حين رجعت إليهم عقولهم، عن حالهم في الدنيا،

و تكذيبهم للحق الذي جاءت به الرسل،

أنهم يقرون، أن ما هم عليه من الكفر و الشرك، باطل،

﴿قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ﴾

و أن ما قال اللّه، و أخبرت به عنه رسله، هو الحق

فبدا لهم ما كانوا يخفون من قبل و علموا أن الحق للّه،و اعترفوا بذنوبهم.

﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ﴾

22-م10-ص431

بذاته، فوق جميع مخلوقاته و قهره لهم، و علو قدره،

بما له من الصفات العظيمة، جليلة المقدار

(ٱلۡكَبِيرُ)

في ذاته و صفاته.

و مـــــــن علـــــــوه:-

أن حكمه تعالى، يعلو، و تذعن له النفوس،

حتى نفوس المتكبرين و المشركين.

و هذا المعنى أظهر، و هو الذي يدل عليه السياق،

ثانيا:-و يحتمل أن الضمير يعود إلى الملائكة:-

و ذلك أن اللّه تعالى إذا تكلم بالوحي، سمعته الملائكة،

فصعقوا، و خروا للّه سجدا،

فيكون أول من يرفع رأسه جبريل، فيكلمه اللّه من وحيه بما أراد،

و إذا زال الصعق عن قلوب الملائكة، و زال الفزع،

فيسأل بعضهم بعضا عن ذلك الكلام الذي صعقوا منه: ماذا قال ربكم؟

فيقول بعضهم لبعض:

قال الحق، إما إجمالا لعلمهم أنه لا يقول إلا حقا،

و إما أن يقولوا: قال كذا و كذا، للكلام الذي سمعوه منه،

و ذلك من الحق.

فيكون المعنى على هـــــــذا:-

أن المشركين الذين عبدوا مع اللّه تلك الآلهة،

التي وصفنا لكم عجزها و نقصها، و عدم نفعها بوجه من الوجوه،

كيف صدفوا و صرفوا عن إخلاص العبادة للرب العظيم، العلي الكبير،

الذي – من عظمته و جلاله – أن الملائكة الكرام، و المقربين من الخلق،

يبلغ بهم الخضوع و الصعق، عند سماع كلامه هذا المبلغ،و يقرون كلهم للّه،

أنه لا يقول إلا الحق.

فما بال هؤلاء المشركين، استكبروا عن عبادة من هذا شأنه،

و عظمة ملكه و سلطانه. فتعالى العلي الكبير، عن شرك المشركين،و إفكهم،

و كذبهم.

***صحيح البخاري

4800 - عن أَبِي هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ

قَالَ: " إِذَا قَضَى اللَّهُ الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ،

ضَرَبَتِ المَلاَئِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ، كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ،

فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟

قَالُوا لِلَّذِي قَالَ: الحَقَّ، وَ هُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ،

فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُ السَّمْعِ،

وَ مُسْتَرِقُ السَّمْعِ هَكَذَا بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ -

وَ وَصَفَ سُفْيَانُ بِكَفِّهِ فَحَرَفَهَا،

وَ بَدَّدَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ - فَيَسْمَعُ الكَلِمَةَ فَيُلْقِيهَا إِلَى مَنْ تَحْتَهُ،

22-م10-ص431

ثُمَّ يُلْقِيهَا الآخَرُ إِلَى مَنْ تَحْتَهُ،
حَتَّى يُلْقِيَهَا عَلَى لِسَانِ السَّاحِرِ أَوِ الكَاهِنِ،
فَرُبَّمَا أَدْرَكَ الشِّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا
وَ رُبَّمَا أَلْقَاهَا قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ، فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ،
فَيُقَالُ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ لَنَا يَوْمَ كَذَا وَ كَذَا: كَذَا وَ كَذَا،
فَيُصَدَّقُ بِتِلْكَ الكَلِمَةِ الَّتِي سَمِعَ مِنَ السَّمَاءِ "

۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ
لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا
وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ
وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ
كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾

يأمر تعالى، نبيه محمدا ﷺ أن يقول لمن أشرك باللّه و يسأله عن حجة شركه:

(قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ)

فإنهم لا بد أن يقروا أنه اللّه، و لئن لم يقروا

فـــــــ(قُلِ ٱللَّهُ ۖ)

فإنك لا تجد من يدفع هذا القول،

فإذا تبين أن اللّه وحده الذي يرزقكم من السماوات و الأرض،

و ينزل لكم المطر، و ينبت لكم النبات،

و يفجر لكم الأنهار، و يطلع لكم من ثمار الأشجار،

و جعل لكم الحيوانات جميعها، لنفعكم و رزقكم،

فَلِم تعبدون معه من لا يرزقكم شيئا، و لا يفيدكم نفعا؟.

و قوله: ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾

***هَذَا مِنْ بَابِ اللَّفِّ وَ النَّشْرِ،
أَيْ: وَاحِدٌ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ مُبْطِلٌ، وَ الْآخَرُ مُحِقٌّ،
لَا سَبِيلَ إِلَى أَنْ تَكُونُوا أَنْتُمْ وَ نَحْنُ عَلَى الْهُدَى أَوْ عَلَى الضَّلَالِ،
بَلْ وَاحِدٌ مِنَّا مُصِيبٌ، وَ نَحْنُ قَدْ أَقَمْنَا الْبُرْهَانَ عَلَى التَّوْحِيدِ،
فَدَلَّ عَلَى بُطْلَانِ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الشِّرْكِ بِاللَّهِ؛

وَ لِهَذَا قَالَ:-{وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ} .

أي: إحدى الطائفتين منا و منكم، على الهدى، مستعلية عليه،

﴿أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾

منغمرة فيه،

و هذا الكلام يقوله من تبين له الحق، و اتضح له الصواب،

و جزم بالحق الذي هو عليه، و بطلان ما عليه خصمه.

أي: قد شرحنا من الأدلة الواضحة عندنا و عندكم، ما به يعلم علما يقينا

لا شك فيه،

من المحق منا،

و من المبطل،

و من المهتدي و من الضال؟
حتى إنه يصير التعيين بعد ذلك، لا فائدة فيه،
فإنك إذا وازنت بين من يدعو إلى عبادة الخالق،
لسائر المخلوقات المتصرف فيها، بجميع أنواع التصرفات،
المسدي جميع النعم،
الذي رزقهم و أوصل إليهم كل نعمة،
و دفع عنهم كل نقمة، الذي له الحمد كله، و الملك كله،
و كل أحد من الملائكة فما دونهم، خاضعون لهيبته، متذللون لعظمته،
و كل الشفعاء تخافه، لا يشفع أحد منهم عنده إلا بإذنه العلي الكبير،
في ذاته، و أوصافه، و أفعاله،
الذي له كل كمال، و كل جلال، و كل جمال، و كل حمد و ثناء و مجد،
يدعو إلى التقرب لمن هذا شأنه، و إخلاص العمل له،
و ينهى عن عبادة من سواه، و بين من يتقرب إلى أوثان، و أصنام، و قبور،
لا تخلق، و لا ترزق، و لا تملك لأنفسها، و لا لمن عبدها، نفعا و لا ضرا،
و لا موتا و لا حياة، و لا نشورا،
بل هي جمادات، لا تعقل، و لا تسمع دعاء عابديها،
و لو سمعته ما استجابت لهم،
و يوم القيامة يكفرون بشركهم، و يتبرأون منهم،
و يتلاعنون بينهم، ليس لهم قسط من الملك،

و لا شركة فيه، و لا إعانة فيه، و لا لهم شفاعة يستقلون بها دون اللّه،

فهو يدعو مَنْ هذا وصفه، و يتقرب إليه مهما أمكنه،

و يعادي من أخلص الدين للّه، و يحاربه،

و يكذب رسل اللّه، الذين جاءوا بالإخلاص للّه وحده،

تبين لك أي الفريقين، المهتدي من الضال، و الشقي من السعيد؟

و لم يحتج إلى أن يعين لك ذلك،

لأن وصف الحال، أوضح من لسان المقال

(قُلْ)

لهم

(لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ)

أي: كل منا و منكم، له عمله أنتم

(لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا)

***معناه التبرى منهم

عن إجرامنا و ذنوبنا لو أذنبنا،

(وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ)

و نحن لا نسأل عن أعمالكم،

فليكن المقصود منا و منكم طلب الحقائق و سلوك طريق الإنصاف،

و دعوا ما كنا نعمل،

و لا يكن مانعا لكم من اتباع الحق،

فإن أحكام الدنيا تجري على الظواهر، و يتبع فيها الحق،

و يجتنب الباطل،

***كَمَا قَالَ تَعَالَى:{وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ} [يُونُسَ: 41]

وَ قَالَ:{قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ وَلا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ} [سُورَةُ الْكَافِرُونَ]

○و أما الأعمال فلها دار أخرى، يحكم فيها أحكم الحاكمين،

و يفصل بين المختصمين، أعدل العادلين.

و لهذا قال:-(قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا)

أي: يحكم بيننا حكما، يتبين به الصادق من الكاذب،

و المستحق للثواب، من المستحق للعقاب،

(ثُمَّ يَفْتَحُ)

* الميسر:-ثم يقضي

(بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ)

* الميسر:-بالعدل

(وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ)

***الميسر:و هو الفتّاح الحاكم بين خلقه**

***الْحَاكِمُ الْعَادِلُ

و هو خير الفاتحين.

(ٱلۡعَلِيمُ)

***الْعَالِمُ بِحَقَائِقِ الْأُمُورِ

(قُلۡ)

لهم يا أيها الرسول، و من ناب منابك:-

(أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلۡحَقۡتُم بِهِۦ)

أي: أين هم؟

و أين السبيل إلى معرفتهم؟

و هل هم في الأرض، أم في السماء؟

فإن عالم الغيب و الشهادة قد أخبرنا أنه ليس في الوجود له شريك.

(وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لا يَعْلَمُ) الآية

(وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلا يَخْرُصُونَ)

و كذلك خواص خلقه من الأنبياء و المرسلين، لا يعلمون له شريكا،

فيا أيها المشركون أروني الذين ألحقتم بزعمكم الباطل باللّه

(شُرَكَآءَ)

***أَرُونِي هَذِهِ الْآلِهَةِ الَّتِي جَعَلْتُمُوهَا لِلَّهِ أَنْدَادًا و صيّرتموها لَهُ عدْلا.

و هذا السؤال لا يمكنهم الإجابة عنه،

و لهذا قال: (كَلَّا)

أي: ليس للّه شريك، و لا ند، و لا ضد.

(بَلْ هُوَ ٱللَّهُ)

الذي لا يستحق التأله و التعبد، إلا هـــــــو

(ٱلْعَزِيزُ)

الذي قهر كل شيء فكل ما سواه، فهو مقهور مسخر مدبر.

(ٱلْحَكِيمُ)

***الميسر:-في أقواله و أفعاله و تدبير أمور خلقه.**

الذي أتقن ما خلقه، و أحسن ما شرعه،

و لو لم يكن في حكمته في شرعه إلا أنه أمر بتوحيده، و إخلاص الدين له،

و أحب ذلك، وجعله طريقا للنجاة،

و نهى عن الشرك به، و اتخاذ الأنداد من دونه

و جعل ذلك طريقا للشقاء و الهلاك

لكفى بذلك برهانا على كمال حكمته،

فكيف و جميع ما أمر به و نهى عنه، مشتمل على الحكمة؟

وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ
لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾
قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوۡمٖ لَّا تَسۡتَـٔۡخِرُونَ عَنۡهُ سَاعَةٗ وَلَا تَسۡتَقۡدِمُونَ ﴿٣٠﴾
وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ
وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ يَرۡجِعُ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ
ٱلۡقَوۡلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لَوۡلَآ أَنتُمۡ لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ ﴿٣١﴾

(وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ)

يخبر تعالى أنه ما أرسل رسوله ﷺ

*** صحيح البخاري

335 – قال النبى ﷺ.......

وَ كَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَ بُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً "

إلا (بَشِيرٗا)

ليبشر جميع الناس بثواب اللّه،

و يخبرهم بالأعمال الموجبة لذلك،

***تُبَشِّرُ مَنْ أَطَاعَكَ بِالْجَنَّةِ،

(وَنَذِيرٗا)

***وَ تُنْذِرُ مَنْ عَصَاكَ بِالنَّارِ

○و ينذرهم عقاب اللّه،

و يخبرهم بالأعمال الموجبة له،

○فليس لك من الأمر شيء،

و كل ما اقترح عليك أهل التكذيب و العناد،

فليس من وظيفتك، إنما ذلك بيد اللّه تعالى،

*** قَوْلِهِ تَعَالَى:{قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا}

[الْأَعْرَافِ: 158]

{تَبَارَكَ الَّذِى نزلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا} [الْفُرْقَانِ: 1]

(وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)

*** قَوْلِهِ تَعَالَى:{وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ}[يُوسُفَ: 103]

{وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِى الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ}[الْأَنْعَامِ: 116] .

○أي: ليس لهم علم صحيح،

بل إما جهال،

أو معاندون لم يعملوا بعلمهم،

فكأنهم لا علم لهم.

و من عدم علمهم، جعلهم عدم الإجابة لما اقترحوه على الرسول،

موجبا لرد دعوته.

فمما اقترحوه، استعجالهم العذاب، الذي أنذرهم به فقال:

(وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ)

***كَمَا قَالَ تَعَالَى: {يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ} الْآيَةَ [الشُّورَى: 18] .

❍و هذا ظلم منهم. فأي ملازمة بين صدقه، و بين الإخبار بوقت وقوعه؟

و هل هذا إلا رد للحق، و سفه في العقل؟

أليس النذير في أمر في أحوال الدنيا

لو جاء قوما، يعلمون صدقه و نصحه

و لهم عدو ينتهز الفرصة منهم ويُعِدُّ لهم

فقال لهم: تركت عدوكم قد سار، يريد اجتياحكم واستئصالكم.

فلو قال بعضهم: إن كنت صادقا،

فأخبرنا بأية ساعة يصل إلينا، و أين مكانه الآن؟

فهل يعد هذا القائل عاقلا أم يحكم بسفهه و جنونه؟

هذا، و المخبر يمكن صدقه و كذبه،

و العدو قد يبدو له غيرهم،

و قد تنحل عزيمته، و هم قد يكون بهم منعة يدافعون بها عن أنفسهم،

فكيف بمن كذب أصدق الخلق، المعصوم في خبره،

الذي لا ينطق عن الهوى، بالعذاب اليقين، الذي لا مدفع له، و لا ناصر منه؟!
أليس رد خبره بحجة عدم بيانه وقت وقوعه من أسفه السفه؟

(قُل)

لهم – مخبرا بوقت وقوعه الذي لا شك فيه – :

(لَّكُم مِّيعَادُ يَوۡمٍ لَّا تَسۡتَـٔۡخِرُونَ عَنۡهُ سَاعَةً وَلَا تَسۡتَقۡدِمُونَ)

فاحذروا ذلك اليوم، و أعدوا له عدته.

***يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ تَمَادِي الْكُفَّارِ فِي طُغْيَانِهِمْ وَ عِنَادِهِمْ وَ إِصْرَارِهِمْ عَلَى عَدَمِ الْإِيمَانِ بِالْقُرْآنِ وَ مَا أَخْبَرَ بِهِ مِنْ أَمْرِ الْمَعَادِ؛ وَ لِهَذَا قَالَ:-

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ
وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ يَرۡجِعُ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ
ٱلۡقَوۡلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لَوۡلَآ أَنتُمۡ لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ ٣١

(وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ)

رفض المشركين الايمان بالقرآن و حوار الضالين و المضلين يوم القيامة 31-33

***الميسر:لن نصدِّق**

(بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ)

***الميسر:-تَقدَّمَه من التوراة و الإنجيل و الزبور،**
فقد كذَّبوا بجميع كتب الله.

لما ذكر تعالى أن ميعاد المستعجلين بالعذاب،

لا بد من وقوعه عند حلول أجله،

ذكر هنا حالهم في ذلك اليوم،

(وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ)

*الميسر: محبوسون

(عِندَ رَبِّهِمْ)

للحساب،

❍و أنك لو رأيت حالهم إذا وُقِفُوا عند ربهم،

و اجتمع الرؤساء و الأتباع في الكفر و الضلال،

لرأيت أمرا عظيما و هولا جسيما،

(يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ)

*الميسر:يتراجعون الكلام فيما بينهم،

كل يُلْقي بالعتاب على الآخر، لرأيت شيئًا فظيعاً،

❍و رأيت كيف يتراجع، و يرجع بعضهم إلى بعض القول،

فـــــ(يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟)

و هم الأتباع

(لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟)

و هم القادة:

(لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ)

و لكنكم حُلْتُم بيننا و بين الإيمان،
و زينتم لنا الكفر ان، فتبعناكم على ذلك،
و مقصودهم بذلك أن يكون العذاب على الرؤساء دونهم.
**** لَوْلَا أَنْتُمْ تَصُدُّونَا، لَكُنَّا اتَّبَعْنَا الرُّسُلَ وَ آمَنَّا بِمَا جاؤونا بِهِ.**

قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ عَنِ ٱلۡهُدَىٰ
بَعۡدَ إِذۡ جَآءَكُمۖ بَلۡ كُنتُم مُّجۡرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ
بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ
وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ
هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ
إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا
وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ
وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا
زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ
وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يَسۡعَوۡنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ
أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ﴿٣٨﴾
قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥۚ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ
فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾

قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ عَنِ ٱلۡهُدَىٰ

بَعۡدَ إِذۡ جَآءَكُمۖ بَلۡ كُنتُم مُّجۡرِمِينَ ٣٢ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ
بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ
وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ
هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٣٣

(قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ)

مستفهمين لهم و مخبرين أن الجميع مشتركون في الجرم:-

(أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ عَنِ ٱلۡهُدَىٰ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَكُمۖ بَلۡ)

أي: بقوتنا و قهرنا لكم.
***نَحْنُ مَا فَعَلْنَا بِكُمْ أَكْثَرَ مِنْ أنَّا دَعوْنَاكُمْ
فَاتَّبَعْتُمُونَا مِنْ غَيْرِ دَلِيلٍ وَ لَا بُرْهَانٍ،
وَ خَالَفْتُمُ الْأَدِلَّةَ وَ الْبَرَاهِينَ وَ الْحُجَجَ الَّتِي جَاءَتْ بِهَا الْأَنْبِيَاءُ،
لِشَهْوَتِكُمْ وَ اخْتِيَارِكُمْ لِذَلِكَ وَ لِهَذَا قَالُوا:-

(كُنتُم مُّجۡرِمِينَ)

أي: مختارين للإجــــــــرام، لستم مقهورين عليه،

و إن كنا قد زينا لكم، فما كان لنا عليكم من سلطان.

(وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ)

أي: بل الذي دهانا منكم، و وصل إلينا من إضلالكم، ما دبرتموه من المكر، في الليل و النهار

***الميسر:بل تدبيركم الشر لنا في الليل و النهار هو الذي أوقعنا في التهلكة،**

(إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ)

***نُظَرَاءَ وَ آلِهَةً مَعَهُ، و تقيموا لنا شُبَهًا و أشياءَ من الْمُحَالِ تُضِلُّونَا بِهَا

○إذ تُحَسِّنون لنا الكفر، و تدعوننا إليه،

و تقولون: إنه الحق، و تقدحون في الحق و تهجنونه،

و تزعمون أنه الباطل،

فما زال مكركم بنا، و كيدكم إيانا، حتى أغويتمونا و فتنتمونا.

فلم تفد تلك المراجعة بينهم شيئا إلا تبري بعضهم من بعض،

و الندامة العظيمة،

و لهذا قال: (وَأَسَرُّواْ)

***الميسر:و أسرّ كلّ من الفريقين**

(ٱلنَّدَامَةَ)

الحسرة

(لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ)

حين رأوا العذاب الذي أُعدّ لهم،

○أي: زال عنهم ذلك الاحتجاج الذي احتج به بعضهم على بعض

لينجو من العذاب،

و علم أنه ظالم مستحق له،

❍فندم كل منهم غاية الندم، و تمنى أن لو كان على الحق،

و أنه ترك الباطل الذي أوصله إلى هذا العذاب، سرا في أنفسهم،

لخوفهم من الفضيحة في إقرارهم على أنفسهم.

و في بعض مواقف القيامة، و عند دخولهم النار، يظهرون ذلك الندم جهرا.

(وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلا* يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلا)الآيات

(وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ* فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لأَصْحَابِ السَّعِيرِ)

(وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ)

***وَ هِيَ السَّلَاسِلُ الَّتِي تَجْمَعُ أَيْدِيهِمْ مَعَ أَعْنَاقِهِمْ،

(ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟)

يغلون كما يغل المسجون الذي سيهان في سجنه كما قال تعالى –

(إِذِ الأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلاسِلُ يُسْحَبُونَ*فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ)الآيات

(هَلْ يُجْزَوْنَ)

في هذا العذاب و النكال و تلك الأغلال الثقال

(إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)

من الكفر و الفسوق و العصيان

***أَيْ: إِنَّمَا نُجَازِيكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ كُلٌّ بِحَسْبِهِ،
لِلْقَادَةِ عَذَابٌ بِحَسْبِهِمْ، وَ لِلْأَتْبَاعِ بِحَسْبِهِمْ

{قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ} [الْأَعْرَافِ: 38] .

وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾
وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ
ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم
بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ
بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ
أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ
مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ ۚ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ
وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾

(وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ) طبيعة المترفين و جوابهم لرسلهم 34-35

يخبر تعالى عن حالة الأمم الماضية المكذبة للرسل،

أنها كحال هؤلاء الحاضرين المكذبين لرسولهم محمد ﷺ

و أن اللّه إذا أرسل رسولا في قرية من القرى

﴿إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ ﴾

***وَ هُمْ أُولُو النِّعْمَةِ وَ الْحِشْمَةِ وَ الثَّرْوَةِ و الرياسة.

***الميسر:المنغمسون في اللذات و الشهوات من أهلها**

﴿إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾

***لَا نُؤْمِنُ بِهِ وَ لَا نَتَّبِعُهُ.

❍كفر به مترفوها،

و أبطرتهم نعمتهم و فخروا بها.

*** يَقُولُ تَعَالَى مُسَلِّيًا لِنَبِيِّهِ،وَ آمِرًا لَهُ بِالتَّأَسِّي بِمَنْ قَبْلَهُ مِنَ الرُّسُلِ، وَ مُخْبِرُهُ بِأَنَّهُ مَا بَعَثَ نَبِيًّا فِي قَرْيَةٍ إِلَّا كَذَّبَهُ مُتْرَفُوهَا،

وَ اتَّبَعَهُ ضُعَفَاؤُهُمْ، كَمَا قَالَ قَوْمُ نُوحٍ:-{أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الأرْذَلُونَ}

[الشُّعَرَاءِ: 111]

{وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ}

[هُودٍ: 27]

وَ قَالَ الْكُبَرَاءُ مِنْ قَوْمِ صَالِحٍ:-

{لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ. قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ}

[الأعراف: 75، 76]

﴿وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا﴾

أي:– ممن اتبع الحق

(وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ)

أي:–أولا لسنا بمبعوثين، فإن بعثنا،

فالذي أعطانا الأموال و الأولاد في الدنيا،

سيعطينا أكثر من ذلك في الآخرة و لا يعذبنا.

*{وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا}
[الكهف: 36]

***قَالَ اللَّهُ:{أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَا يَشْعُرُونَ}[الْمُؤْمِنُونَ: 55، 56]

وَ قَالَ:{فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ}[التَّوْبَةِ: 55]

وَ قَالَ تَعَالَى:{ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا. وَجَعَلْتُ لَهُ مَالا مَمْدُودًا. وَبَنِينَ شُهُودًا. وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا. ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ. كَلا إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيدًا. سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا.}[المدثر: 11-17] .

سنة الله فى عباده 36-39

(قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ)

فأجابهم اللّه تعالى، بـــــــأن :–

بسط الرزق و تضييقه، ليس دليلا على ما زعمتم،

❍فإن الرزق تحت مشيئة اللّه،إن شاء بسطه لعبده، و إن شاء ضيقه.

(وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ)

***الميسر:أن ذلك اختبار لعباده؛ لأنهم لا يتأملون.**

(وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا)

و ليست الأموال و الأولاد بالتي تقرب إلى الله

(زُلۡفَىٰٓ)

***الميسر:قربى**

⭘و تدني إليه،

***صحيح مسلم:-

(2564) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَ أَمْوَالِكُمْ،

وَ لَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَ أَعْمَالِكُمْ»

(إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا)

و إنمـــــا الذي يقرب منه زلفـــــــــى:-

1-الإيمـــــــان بما جاء به المرسلون،

2-و العمـــــــل الصالح الذي هو من لوازم الإيمان،

(فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ)

فأولئك لهم الجزاء عند اللّه تعالى مضاعفا الحسنة بعشر أمثالها،

إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، لا يعلمها إلا اللّه،

(وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ)

أي: في المنازل العاليات المرتفعات جدا

22-م11-ص432

ساكنين فيها مطمئنين،

(ءَامِنُونَ)

من المكدرات و المنغصات، لما هم فيه من اللذات، و أنواع المشتهيات،

و (ءَامِنُونَ)

من الخروج منها و الحزن فيها.

(وَٱلَّذِينَ يَسۡعَوۡنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ)

و أما الذين سعوا في آياتنا على وجه التعجيز لنا و لرسلنا و التكذيب

فــــــ(أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ)

***جَمِيعُهُمْ مَجْزيون بِأَعْمَالِهِمْ فِيهَا بِحَسْبِهِمْ.

(قُلۡ إِنَّ رَبِّي)

ثم أعاد تعالى أنه

(يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥۚ)

ليرتب عليه قوله: (وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ)

نفقة واجبة، أو مستحبة، على قريب، أو جار، أو مسكين، أو يتيم،

أو غير ذلك،

(فَهُوَ)

تعالى

(يُخۡلِفُهُۥۖ)

*الميسر:فهو يعوضه لكم في الدنيا بالبدل،و في الآخرة بالثواب

❍فلا تتوهموا أن الإنفاق مما ينقص الرزق،

بل وعد بالخلف للمنفق، الذي يبسط الرزق لمن يشاء و يقدر

***صحيح البخاري :

4684 -عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺقَالَ:-
قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ،

(وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ)

فاطلبوا الرزق منه، و اسعوا في الأسباب التي أمركم بها.

*الجزائري :أما خلق الرزق فهو لله تعالى وحده.

وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٤٠
قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ أَكۡثَرُهُم بِهِم
مُّؤۡمِنُونَ ٤١ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يَمۡلِكُ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٖ نَّفۡعٗا وَلَا ضَرّٗا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ
عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ٤٢ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالُواْ مَا هَٰذَآ
إِلَّا رَجُلٞ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمۡ عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُكُمۡ وَقَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٞ مُّفۡتَرٗىۚ
وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ٤٣
وَمَآ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّن كُتُبٖ يَدۡرُسُونَهَاۖ وَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ قَبۡلَكَ مِن نَّذِيرٖ ٤٤
وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَمَا بَلَغُواْ مِعۡشَارَ مَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ فَكَذَّبُواْ رُسُلِيۖ
فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ٤٥ ۞ قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ
وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ لَّكُم بَيۡنَ
يَدَيۡ عَذَابٖ شَدِيدٖ ٤٦ قُلۡ مَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٖ فَهُوَ لَكُمۡۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ
وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٞ ٤٧ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ٤٨

وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٤٠

قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ أَكۡثَرُهُم بِهِم
مُّؤۡمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يَمۡلِكُ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٖ نَّفۡعٗا وَلَا ضَرّٗا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ
ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾

الايمان بالبعث 40-54

(وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا)

أي: العابدين لغير اللّه و المعبودين من دونه، من الملائكة.

(ثُمَّ يَقُولُ)

الله

(لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ)

على وجه التوبيخ لمن عبدهم

(أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ)

فتبرأوا من عبادتهم.

***أَنْتُمْ أَمَرْتُمْ هَؤُلَاءِ بِعِبَادَتِكُمْ؟

كَمَا قَالَ فِي سُورَةِ الْفُرْقَانِ:

{ءأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَؤُلاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ} [الْفُرْقَانِ: 17]

وَ كَمَا يَقُولُ لِعِيسَى: {ءأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِى أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ} [الْمَائِدَةِ: 116] .

و (قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ)

أي: تنزيها لك و تقديسا، أن يكون لك شريك، أو ند

(أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ)

***نَحْنُ عَبِيدُكَ وَ نَبْرَأُ إِلَيْكَ مِنْ هَؤُلَاءِ

فنحن مفتقرون إلى ولايتك مضطرون إليها،

فكيف ندعو غيرنا إلى عبادتنا؟

أم كيف نصلح لأن نتخذ من دونك أولياء و شركاء؟

و لكن هؤلاء المشركون

(بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ)

أي: الشياطين، يأمرون بعبادتنا أو عبادة غيرنا، فيطيعونهم بذلك.

و طاعتهم هي عبادتهم، لأن العبادة الطاعة،

كما قال تعالى مخاطبا لكل من اتخذ معه آلهة

(أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ

* وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ)

***لِأَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ يُزَيِّنُونَ لَهُمْ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ وَ يُضِلُّونَهُمْ

(أَكۡثَرُهُم بِهِم مُّؤۡمِنُونَ)

أي مصدقون للجن منقادون لهم

لأن الإيمان هو التصديق الموجب للانقياد

***كَمَا قَالَ تَعَالَى: {إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلا شَيْطَانًا مَرِيدًا} [النِّسَاءِ: 117] .

⭘فلما تبرأوا منهم قال تعالى مخاطبا لهم

(فَٱلۡيَوۡمَ لَا يَمۡلِكُ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٖ نَّفۡعٗا وَلَا ضَرّٗا)

تقطعت بينكم الأسباب و انقطع بعضكم من بعض

(وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ)

***المشـــــركون

⭘بالكفر و المعاصي – بعد ما ندخلهم النار –

(ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ)

فاليوم عاينتموها و دخلتموها جزاء لتكذيبكم و عقوبة

لما أحدثه ذلك التكذيب من عدم الهرب من أسبابها

***يُقَالُ لَهُمْ ذَلِكَ، تَقْرِيعًا وَ تَوْبِيخًا.

وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٞ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمۡ عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ

ءَابَآؤُكُمۡ وَقَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٞ مُّفۡتَرٗىۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ

إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿٤٣﴾ وَمَآ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّن كُتُبٖ يَدۡرُسُونَهَاۖ وَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ

قَبۡلَكَ مِن نَّذِيرٖ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَمَا بَلَغُواْ مِعۡشَارَ مَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ

فَكَذَّبُواْ رُسُلِيۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾

يخبر تعالى عن حالة المشركين، عندما تتلى عليهم آيات اللّه البينات،

و حججه الظاهرات، و براهينه القاطعات،

الدالة على كل خير، الناهية عن كل شر، التي هي أعظم نعمة جاءتهم، و مِنَّةٍ

وصلت إليهم، الموجبة لمقابلتها بالإيمان و التصديق، و الانقياد، و التسليم،

أنهم يقابلونها بضد ما ينبغي، و يكذبون من جاءهم بها و يقولون:

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ

يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ﴾

أي: هذا قصده، حين يأمركم بالإخلاص للّه،

لتتركوا عوائد آبائكم، الذين تعظمون و تمشون خلفهم،

فردوا الحق، بقول الضالين، و لم يوردوا برهانا، و لا شبهة.

فأي شبهة إذا أمرت الرسل بعض الضالين، باتباع الحق،

فادَّعوا أن إخوانهم، الذين على طريقتهم، لم يزالوا عليه؟

و هذه السفاهة، و رد الحق، بأقوال الضالين، إذا تأملت كل حق رد،

فـــإذا هذا مآلـــه لا يـــرد إلا بأقوال الضالين مـــن–

المشـــركين، و الدهرييـــن،و الفلاسفـــة، و الصابئيـــن،

و الملحـــدين في دين اللّه، المارقين،

فهم أسوة كل من رد الحق إلى يوم القيامة.

و لما احتجوا بفعل آبائهم، و جعلوها دافعة لما جاءت به الرسل،

طعنوا بعد هذا بالحق،

(وَقَالُوٓاْ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٞ مُّفۡتَرٗىۚ)

***القرآن

أي: كذب افتراه هذا الرجل، الذي جاء به.

(وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ)

ظاهر بيِّن لكل أحد، تكذيبا بالحق، و ترويجا على السفهاء.

و لما بيَّن ما ردوا به الحق، و أنها أقوال دون مرتبة الشبهة،

فضلا أن تكون حجة،

ذكر أنهم و إن أراد أحد أن يحتج لهم،

فإنهم لا مستند لهم، و لا لهم شيء يعتمدون عليه أصلا فقـــــــــال:-

(وَمَآ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّن كُتُبٖ يَدۡرُسُونَهَاۖ)

حتى تكون عمدة لهم

(وَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ قَبۡلَكَ مِن نَّذِيرٖ)

حتى يكون عندهم من أقواله و أحواله، ما يدفعون به، ما جئتهم به

فليس عندهم علم، و لا أثارة من علم.

ثم خوفهم ما فعل بالأمم المكذبين قبلهم فقال:-

(وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَمَا بَلَغُواْ)

أي: ما بلغ هؤلاء المخاطبون

(مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ)

⭘أَيْ مِنَ الْقُوَّةِ فِي الدُّنْيَا.

***كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلا أَبْصَارُهُمْ وَلا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} [الْأَحْقَافِ: 26] ، {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً} [غَافِرٍ: 82]

أَيْ:وَ مَا دَفَعَ ذَلِكَ عَنْهُمْ عَذَابَ اللَّهِ وَلَا رَدَّه

بَلْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ لَمَّا كَذَّبُوا رُسُلَهُ؛

وَ لِهَذَا قَالَ:-

(فَكَذَّبُوا)

أي: الأمم الذين من قبلهم

(رُسُلِيۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ)

*** فَكَيْفَ كَانَ نَكَالِي وَ عِقَابِي وَ انْتِصَارِي لِرُسُلِي ؟

⭘أي: إنكاري عليهم، و عقوبتي إياهم.

قد أعلمنا ما فعل بهم من النكال،

و أن منهم من أغرقه،

و منهم من أهلكه بالريح العقيم،

و بالصيحة،

و بالرجفة،

و بالخسف بالأرض،

و بإرسال الحاصب من السماء،

فاحذروا يا هؤلاء المكذبون، أن تدوموا على التكذيب،

فيأخذكم كما أخذ من قبلكم، و يصيبكم ما أصابهم.

۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ
مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾
قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾
قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾

أي (قُلْ)

يا أيها الرسول، لهؤلاء المكذبين المعاندين، المتصدين لرد الحق و تكذيبه،

و القدح بمن جاء به:

(إِنَّمَآ أَعِظُكُم ۖ)

***أمركم

(بِوَٰحِدَةٍ)

أي: بخصلة واحدة، أشير عليكم بها، و أنصح لكم في سلوكها،

و هي طريق نصف، لست أدعوكم بها إلى اتباع قولي،

و لا إلى ترك قولكم، من دون موجب لذلك،

و هي ﴿أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ﴾

***تَقُومُوا قِيَامًا خَالِصًا لِلَّهِ، مِنْ غَيْرِ هَوًى وَ لَا عَصَبِيَّةٍ،

○أي: تنهضوا بهمة، و نشاط، و قصد لاتباع الصواب، و إخلاص للّه،

مجتمعين، و متباحثين في ذلك، و متناظرين، و فرادى،

كل واحد يخاطب نفسه بذلك.

﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ ﴾

○فإذا قمتم للّه، مثنى و فرادى، استعملتم فكركم، و أجلتموه،

و تدبرتم أحوال رسولكم، هل هو مجنون،

فيه صفات المجانين من كلامه، و هيئته، و صفته؟

أم هو نبي صادق، منذر لكم ما يضركم، مما أمامكم من العذاب الشديد؟

○فلو قبلوا هذه الموعظة، و استعملوها، لتبين لهم أكثر من غيرهم،

أن رسول اللّه ﷺ، ليس بمجنـــــــون:-

○لأن هيئاته ليست كهيئات المجانين،

في خنقهم، و اختلاجهم، و نظرهم،

○بل هيئته أحسن الهيئات، و حركاته أجل الحركات،

و هو أكمل الخلق، أدبا، وسكينة، و تواضعا، و وقارا،

لا يكون إلا لأرزن الرجال عقلا.

ثم إذا تأملوا كلامه الفصيح، و لفظه المليح، و كلماته التي تملأ القلوب،

أمنا، و إيمانا، و تزكى النفوس، و تطهر القلوب،

و تبعث على مكارم الأخلاق، و تحث على محاسن الشيم،

و ترهب عن مساوئ الأخلاق و رذائلها،

إذا تكلم رمقته العيون، هيبة و إجلالا و تعظيما.

فهل هذا يشبه هذيان المجانين، و عربدتهم، و كلامهم الذي يشبه أحوالهم؟

فكل من تدبر أحواله و مقصده استعلام هل هو رسول اللّه أم لا؟

سواء تفكر وحده، أو مع غيره، جزم بأنه رسول اللّه حقا، و نبيه صدقا،

خصوصا المخاطبين، الذي هو صاحبهم يعرفون أول أمره و آخره.

و ثَمَّ مانع للنفوس آخر عن اتباع الداعي إلى الحق،

و هو أنه يأخذ أموال من يستجيب له،

و يأخذ أجرة على دعوته.

فبين اللّه تعالى نزاهة رسوله ﷺعن هذا الأمر فقال:-

(قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ)

(إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ)

***الجزائري:**

ما هو ﷺإلا نذير لكم أمام عذاب شديد قد ينزل بكم

و هو مشفق عليكم في ذلك خائف لا يريده لكم.

22-م12-ص433

*** صحيح البخاري

4801 - عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا،

قَالَ: صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺالصَّفَا ذَاتَ يَوْمٍ،

فَقَالَ:«يَا صَبَاحَاهْ»، فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ قُرَيْشٌ،

قَالُوا:مَا لَكَ؟

قَالَ:«أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ العَدُوَّ يُصَبِّحُكُمْ أَوْ يُمَسِّيكُمْ،

أَمَا كُنْتُمْ تُصَدِّقُونِي؟»

قَالُوا:بَلَى

قَالَ:«فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ»

فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ، أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟

فَأَنْزَلَ اللَّهُ: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ} [المسد: 1]( )

(قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ)

أي:–على اتباعكم للحق

(فَهُوَ لَكُمْ)

أي: فأشهدكم أن ذلك الأجر – على التقدير – أنه لكم،

(إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ)

***إِنَّمَا أَطْلُبُ ثَوَابَ ذَلِكَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ

(يا صباحاه) كلمة تقال للإشعار بإغارة العدو لأن الغالب في الإغارة أن تكون وقت الصباح كما يقولها من أصابه شيء مكروه للاستغاثة

22-م12-ص433

(وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)

أي: محيط علمه بما أدعو إليه،

فلو كنت كاذبا، لأخذني بعقوبته

و شهيد أيضا على أعمالكم، سيحفظها عليكم، ثم يجازيكم بها.

و لما بين البراهين الدالة على صحة الحق، و بطلان الباطل،

أخبر تعالى أن هذه سنته و عادته أن يقذف

(بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ)

لأنه بين من الحق في هذا الموضع،

و رد به أقوال المكذبين، ما كان عبرة للمعتبرين، و آية للمتأملين.

(قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ)

كَقَوْلِهِ:{بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ} [الْأَنْبِيَاءِ: 18]

***الميسر:الباطل بحجج من الحق، فيفضحه و يهلكه،**

❍فإنك كما ترى، كيف اضمحلت أقوال المكذبين،

و تبين كذبهم و عنادهم، و ظهر الحق و سطع، و بطل الباطل و انقمع،

و ذلك بسبب بيان

(عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ)

الذي يعلم ما تنطوي عليه القلوب، من الوساوس و الشبه،

و يعلم ما يقابل ذلك، و يدفعه من الحجج.

*الميسر:لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

قُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَمَا يُبۡدِئُ ٱلۡبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلۡ إِن ضَلَلۡتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفۡسِيۖ
وَإِنِ ٱهۡتَدَيۡتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٞ قَرِيبٞ ﴿٥٠﴾ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ فَزِعُواْ
فَلَا فَوۡتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ
مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴿٥٢﴾ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبۡلُۖ وَيَقۡذِفُونَ بِٱلۡغَيۡبِ مِن مَّكَانِۭ
بَعِيدٖ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ مَا يَشۡتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشۡيَاعِهِم مِّن قَبۡلُۚ
إِنَّهُمۡ كَانُواْ فِي شَكّٖ مُّرِيبِۭ ﴿٥٤﴾

سورة فاطر- بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ
وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١﴾ مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن
رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ
وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٣﴾

قُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَمَا يُبۡدِئُ ٱلۡبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلۡ إِن ضَلَلۡتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفۡسِيۖ
وَإِنِ ٱهۡتَدَيۡتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٞ قَرِيبٞ ﴿٥٠﴾

فيعلم بها عباده، و يبينها لهم،

و لهذا قال: (قُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ)

أي: ظهر و بان، و صار بمنزلة الشمس، و ظهر سلطانه،

(وَمَا يُبۡدِئُ ٱلۡبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ)

***الميسر**:فلم يبق للباطل شيء يبدؤه و يعيده.

أي: اضمحل و بطل أمره، و ذهب سلطانه، فلا يبدئ و لا يعيد.

(قُلۡ إِن ضَلَلۡتُ)

❍و لما تبين الحق بما دعا إليه الرسول،

و كان المكذبون له، يرمونه بالضلال، أخبرهم بالحق، و وضحه لهم،

و بين لهم عجزهم عن مقاومته،

و أخبرهم أن رميهم له بالضلال، ليس بضائر الحق شيئا،

و لا دافع ما جاء به.

و أنه إن ضل – و حاشاه من ذلك،لكن على سبيل التنزل في المجادلة –

(فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفۡسِي)

فإنما يضل على نفسه، أي:–

ضلاله قاصر على نفسه، غير متعد إلى غيره.

*** قَوْلِهِ:{بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ} [الْأَنْبِيَاءِ: 18]

وَ لِهَذَا لَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺالْمَسْجِدَ الْحَرَامَ

22-م13-ص434

***أَيْ: لَمْ يَبْقَ لِلْبَاطِلِ مَقَالَةً وَ لَا رِيَاسَةً وَ لَا كَلِمَةً.
***صحيح البخاري
2478 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ:-
دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ مَكَّةَ( )وَ حَوْلَ الكَعْبَةِ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَ سِتُّونَ نُصُبًا،
فَجَعَلَ يَطْعُنُهَا بِعُودٍ فِي يَدِهِ،
وَ جَعَلَ يَقُولُ:-" {جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ } [الإسراء: 81] " الآيَةَ( )

(وَإِنِ ٱهۡتَدَيۡتُ)

فليس ذلك من نفسي، و حولي، و قوتي،

(وَإِنِ ٱهۡتَدَيۡتُ)

و إنما هدايتي

(فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓۚ)

فهو مادة هدايتي، كما هو مادة هداية غيري.

إن ربي (سَمِيعٞ)
للأقوال و الأصوات كلها

(قَرِيبٞ)

يَوْمَ الْفَتْحِ
(نصبا) صنما وقيل كل حجر نصب و عبد أو عظم وقيل غير ذلك.(يطعنها) من الطعن و هو الضرب و الوخز.(زهق) هلك واضمحل.(الآية) الإسراء 81. و تتمتها {إن الباطل كان زهوقا}
22-م13-ص434

ممن دعاه و سأله و عبده.

*** صحيح البخاري

4205 -عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ ﵁ قَالَ:
لَمَّا غَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَيْبَرَ، أَوْ قَالَ:
لَمَّا تَوَجَّهَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَشْرَفَ النَّاسُ عَلَى وَادٍ، فَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالتَّكْبِيرِ:
اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ،
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، إِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَ لاَ غَائِبًا،
إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا وَ هُوَ مَعَكُمْ»،
وَ أَنَا خَلْفَ دَابَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَسَمِعَنِي وَ أَنَا أَقُولُ:-
لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ،
فَقَالَ لِي:«يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ».
قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ:
«أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ مِنْ كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ»
قُلْتُ:بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَدَاكَ أَبِي وَ أُمِّي،
قَالَ:«لاَ حَوْلَ وَ لاَ قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»( )

وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ
وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۖ

(حول) قدرة على دقة التصرف في الأمور. (كنز من كنوز الجنة) أي أجرها مدخر لقائلها والمتصف بها كما يدخر الكنز وهو المال المجموع المحرز]

وَيَقۡذِفُونَ بِٱلۡغَيۡبِ مِن مَّكَانِۢ بَعِيدٖ ٥٣ وَحِيلَ بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ مَا يَشۡتَهُونَ
كَمَا فُعِلَ بِأَشۡيَاعِهِم مِّن قَبۡلُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ فِي شَكّٖ مُّرِيبِۭ ٥٤

يقول تعالى (وَلَوۡ تَرَىٰٓ)

أيها الرسول، و من قام مقامك، حال هؤلاء المكذبين،

(إِذۡ فَزِعُواْ)

حين رأوا العذاب، و ما أخبرتهم به الرسل، و ما كذبوا به

لرأيت أمرا هائلا و منظرا مفظعا، و حالة منكرة، و شدة شديدة

و ذلك حين يحق عليهم العذاب.

(فَلَا فَوۡتَ)

فليس لهم عنه مهرب و لا فوت

(وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ)

أي: ليس بعيدا عن محل العذاب، بل يؤخذون، ثم يقذفون في النار.

*** لَمْ يَكُونُوا يُمنعون فِي الْهَرَبِ بَلْ أُخِذُوا مِنْ أَوَّلِ وَهْلَةٍ.

***أَنَّ الْمُرَادَ بِذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَ هُوَ الطَّامَّةُ الْعُظْمَى،

وَ إِنْ كَانَ مَا ذُكِرَ مُتَّصِلًا بِذَلِكَ.

(وَقَالُوٓاْ)

في تلك الحال:

(ءَامَنَّا)

بالله و صدقنا ما به كذبنا

*** يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُونَ: آمَنَّا بِاللَّهِ وَ بِكُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ} [السَّجْدَةِ: 12]

وَ لِهَذَا قَالَ تَعَالَى: {وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ}

(و) لكن

(وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ)

أي: تناول الإيمان (و هم فى الآخرة)

(ليس المراد بالتناوش أى الاشتباك و الاقتتال)

***وَ قَدْ بَعُدُوا عَنْ مَحَلِّ قَبُولِهِ مِنْهُمْ {وَ صَارُوا إِلَى الدَّارِ الْآخِرَةَ}

وَ هِيَ دَارُ الْجَزَاءِ لَا دَارُ الِابْتِلَاءِ،

فَلَوْ كَانُوا آمِنُوا فِي الدُّنْيَا لَكَانَ ذَلِكَ نَافِعَهُمْ،

وَ لَكِنْ بَعْدَ مَصِيرِهِمْ إِلَى الدَّارِ الْآخِرَةَ لَا سَبِيلَ لَهُمْ إِلَى قَبُولِ الْإِيمَانِ،

كَمَا لَا سَبِيلَ إِلَى حُصُولِ الشَّيْءِ لِمَنْ يَتَنَاوَلُهُ مِنْ بَعِيدٍ.

(مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ)

قد حيل بينهم و بينه،

و صار من الأمور المحالة في هذه الحالة،

فلو أنهم آمنوا وقت الإمكان، لكان إيمانهم مقبولا

(و)

لكنهم

(وَقَدۡ كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبۡلُۖ وَيَقۡذِفُونَ)

أي: يرمون

(بِٱلۡغَيۡبِ)

***بالظن

***قُلْتُ: كَمَا قَالَ تَعَالَى: {رَجْمًا بِالْغَيْبِ} [الْكَهْفِ: 22]

فَتَارَةً يَقُولُونَ: شَاعِرٌ.

وَ تَارَةً يَقُولُونَ: كَاهِنٌ.

وَ تَارَةً يَقُولُونَ: سَاحِرٌ.

وَ تَارَةً يَقُولُونَ: مَجْنُونٌ.إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَقْوَالِ الْبَاطِلَةِ،

وَ يُكَذِّبُونَ بِالْغَيْبِ وَ النُّشُورِ وَ الْمَعَادِ،

وَ يَقُولُونَ: {إِنْ نَظُنُّ إِلا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ} [الْجَاثِيَةِ: 32] .

***قَالَ قَتَادَةُ: يَرْجُمُونَ بِالظَّنِّ، لَا بَعْثَ وَ لَا جَنَّةَ وَ لَا نَارَ.

(مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٍ)

بقذفهم الباطل، ليدحضوا به الحق،

○و لكن لا سبيل إلى ذلك، كما لا سبيل للرامي،

من مكان بعيد إلى إصابة الغرض(((عن اصابة الحق)))

○فكذلك الباطل، من المحال أن يغلب الحق أو يدفعه،

و إنما يكون له صولة، وقت غفلة الحق عنه،

فإذا برز الحق، و قاوم الباطل، قمعه.

(وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ)

***قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ :-يَعْنِي: الْإِيمَانُ.

***وَ قَالَ السُّدِّي:-التَّوْبَةُ.

من الشهوات و اللذات، و الأولاد، و الأموال، والخدم، و الجنود،

قد انفردوا بأعمالهم، و جاءوا فرادى، كما خلقوا،

و تركوا ما خولوا، وراء ظهورهم،

(كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُۚ)

من الأمم السابقين، حين جاءهم الهلاك، حيل بينهم و بين ما يشتهون،

***{فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ}[غَافِرٍ: 84، 85] .

(إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ)

*الميسر:في الدنيا في شَكٍّ من أمر الرسل و البعث و الحساب،

(مُّرِيبٍۭ)

أي: محدث الريبة و قلق القلب فلذلك، لم يؤمنوا،

و لم يعتبوا حين استعتبوا.

*** كَانُوا فِي الدُّنْيَا فِي شَكٍّ وَ رِيبَةٍ،
فَلِهَذَا لَمْ يُتَقَبَّلْ مِنْهُمُ الْإِيمَانُ عِنْدَ مُعَايَنَةِ الْعَذَابِ.
تم تفسير سورة سبأ – و للّه الحمد و المنة، و الفضل،
و منه العون، و عليه التوكل، و به الثقة.

﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ سبأ: ٥٤

عن سمير الرياحي عن أبيه قال: شرب عبد الله بن عُمر ماءً مُبَرَّدًا فبكى فاشتد بكاؤه، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: ذَكَرْتُ آيةً في كتاب الله عز وجل: ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ فعرفتُ أن أهل النار لا يشتهون شيئًا شهوتَهُمُ الماءَ، وقد قال الله عز وجل: ﴿ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ الاعراف:٥٠

صفة الصفوة

35–تفسير سورة فـــــــاطر و هى مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٖ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ
وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ ١ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن
رَّحْمَةٖ فَلَا مُمْسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ٢

***تفسير ابن كثير ت سلامة
عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كُنْتُ لَا أَدْرِي مَا فاطر السموات وَ الْأَرْضِ،
حَتَّى أَتَانِي أَعْرَابِيَّانِ يَخْتَصِمَانِ فِي بِئْرٍ

الثناء على الله 1-4

فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: أَنَا فَطَرْتُهَا، أَنَا بَدَأْتُهَا.

***وَ قَالَ الضَّحَّاكُ:-

كُلُّ شَيْءٍ فِي الْقُرْآنِ فاطر السموات و الأرض فهو: خالق السموات وَ الْأَرْضِ.

(ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ)

***بَيْنَهُ وَ بَيْنَ أَنْبِيَائِهِ،

- يمدح الله تعالى نفسه الكريمة المقدسة، على خلقه السماوات و الأرض،

و ما اشتملتا عليه من المخلوقات

لأن ذلـــــك دليـــــل عــــلى:-

كمال قدرته، و سعة ملكه، و عموم رحمته، و بديع حكمته، و إحاطة علمه.

و لما ذكر الخلق، ذكر بعده ما يتضمن الأمر،

و هـــــو

1-أنه (جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا)

- في تدبير أوامره القدرية،

- و وسائط بينه و بين خلقه، في تبليغ أوامره الدينية.

2-و في ذكره أنه جعل الملائكة رسلا و لم يستثن منهم أحدا،

دليل على كمال طاعتهم لربهم و انقيادهم لأمره،

كما قال تعالى:(لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ)

- و لما كانت الملائكة مدبرات بإذن اللّه، ما جعلهم اللّه موكلين فيه،

ذكر قوتهم على ذلك و سرعة سيرهم،

بأن جعلهم ﴿أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ ﴾

تطير بها، فتسرع بتنفيذ ما أمرت به

﴿مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ ﴾

أي: منهم من له جناحان و ثلاثة و أربعة، بحسب ما اقتضته حكمته

***وَ مِنْهُمْ مَنْ لَهُ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ:-
أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺرَأَى جِبْرِيلَ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ
وَ لَهُ ستمَائة جَنَاحٍ، بَيْنَ كُلِّ جَنَاحَيْنِ كَمَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ
*** صحيح البخاري
3232 - عن أَبِي إِسْحَاقَ الشَّيْبَانِيُّ،
قَالَ: سَأَلْتُ زِرَّ بْنَ حُبَيْشٍ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى
{فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى} [النجم: 10]
قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ مَسْعُودٍ: أَنَّهُ «رَأَى جِبْرِيلَ، لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ»

وَ لِهَذَا قَالَ:﴿يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ﴾

***قَالَ السُّدِّيُّ: يَزِيدُ فِي الْأَجْنِحَةِ وَ خَلْقِهِمْ مَا يَشَاءُ.

أي: يزيد بعض مخلوقاته على بعض، في صفة خلقها،

و في القوة، و في الحسن،

و في زيادة الأعضاء المعهودة، و في حسن الأصوات، و لذة النغمات.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾

فقدرته تعالى تأتي على ما يشاؤه،

و لا يستعصي عليها شيء،

و من ذلك، زيادة مخلوقاته بعضها على بعض.

ثم ذكر انفراده تعالى بالتدبير و العطاء و المنع

فقال:–(مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ)

من رحمته عنهم

(وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ)

فهذا يوجب التعلق باللّه تعالى، و الافتقار إليه من جميع الوجوه،

و أن لا يدعى إلا هو، و لا يخاف و يرجى، إلا هو.

(وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ)

الذي قهر الأشياء كلها

(ٱلْحَكِيمُ)

الذي يضع الأشياء مواضعها و ينزلها منازلها.

***يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ مَا شَاءَ كَانَ، وَ مَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ،

وَ أَنَّهُ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَى، وَ لَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعَ.

*** صحيح مسلم

(593) عَنْ وَرَّادٍ، مَوْلَى الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ،

قَالَ: كَتَبَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ إِلَى مُعَاوِيَةَ

أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ، إِذَا فَرَغَ مِنَ الصَّلَاةِ وَ سَلَّمَ،

قَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ،

لَهُ الْمُلْكُ وَ لَهُ الْحَمْدُ وَ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ،
اللهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَ لَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ،
وَ لَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ»

***وَ هَذِهِ الْآيَةُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى:{وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ} [يُونُسَ: 107] .وَ لِهَذَا نَظَائِرُ كَثِيرَةٌ.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٣﴾

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ)

يأمر تعالى، جميع الناس أن يذكروا نعمته عليهم،

و هـــــذا شامـــــل لــــــذكرها :-

1-بالقلـــــــب اعترافـــــا،

و باللســـــان ثنـــــــاء،

و بالجـــــوارح انقيـــــادا،

○فإن ذكر نعمه تعالى داع لشكره،

ثم نبههم على أصول النعم، و هي الخلق و الرزق،

فقال: (هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ)

و لما كان من المعلوم أنه ليس أحد يخلق و يرزق إلا اللّه،

نتج من ذلك، أن كان ذلك دليلا على ألوهيته و عبوديته،

و لهذا قال: (لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ)

أي: تصرفون عن عبادة الخالق الرازق لعبادة المخلوق المرزوق.

***فَكَيْفَ تُؤْفَكُونَ بَعْدَ هَذَا الْبَيَانِ، وَ وُضُوحِ هَذَا الْبُرْهَانِ، وَ أَنْتُمْ بَعْدَ هَذَا تعبدون الأنداد و الأوثان؟

وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ٤
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ
وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٥ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ
إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٌ ٧ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ
فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ
حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ٨ وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ
إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ٩ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ
فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ
يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ١٠ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن
تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ جَعَلَكُمۡ أَزۡوَٰجٗاۚ وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ
وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٖ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ١١

وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ٤

(وَإِن يُكَذِّبُوكَ)

يا أيها الرسول، فلك أسوة بمن قبلك من المرسلين،

﴿فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾

فأهلك المكذبون، و نجى اللّه الرسل و أتباعهم. ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾

***وَ سَنَجْزِيهِمْ عَلَى ذَلِكَ أَوْفَرَ الْجَزَاءِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ

٥ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ

ٱلسَّعِيرِ ٦ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ

لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ٧

التحذير من الدنيا و الشيطان 5-8

يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾

بالبعث و الجزاء على الأعمال

﴿حَقٌّ ﴾

أي: لا شك فيه، و لا مرية، و لا تردد

○قد دلت على ذلك الأدلة السمعية و البراهين العقلية،

فإذا كان وعده حقا، فتهيئوا له،

و بادروا أوقاتكم الشريفة بالأعمال الصالحة، و لا يقطعكم عن ذلك قاطع،

﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ﴾

بلذاتها و شهواتها و مطالبها النفسية، فتلهيكم عما خلقتم له،

(وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ)

الذي هو الشيطان

(إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ)

الذي هو عدوكم في الحقيقة

(فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ)

أي: لتكن منكم عداوته على بال،

و لا تهملوا محاربته كل وقت،

فإنه يراكم و أنتم لا ترونه، و هو دائما لكم بالمرصاد.

(إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ)

هذا غايته و مقصوده ممن تبعه، أن يهان غاية الإهانة بالعذاب الشديد.

***إِنَّمَا يَقْصِدُ أَنْ يُضِلَّكُمْ حَتَّى تَدْخُلُوا مَعَهُ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ،

***فَهَذَا هُوَ الْعَدُوُّ الْمُبِينُ.

فَنَسْأَلُ اللَّهَ الْقَوِيَّ الْعَزِيزَ أَنْ يَجْعَلَنَا أَعْدَاءَ الشَّيْطَانِ

وَ أَنْ يَرْزُقَنَا اتِّبَاعَ كِتَابِهِ، وَ الِاقْتِفَاءَ بِطَرِيقِ رَسُولِهِ، إِنَّهُ عَلَى مَا يَشَاءُ قَدِيرٌ،

وَ بِالْإِجَابَةِ جَدِيرٌ.

وَ هَذِهِ كَقَوْلِهِ: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلا} [الْكَهْفِ: 50] .

ثم ذكر أن الناس انقسموا بحسب طاعة الشيطان و عدمها إلى قسمين:-

---

22-م14-ص435

و ذكر جزاء كل منهما،

أولا :–فقال: (ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ)

أي: جحدوا ما جاءت به الرسل، و دلت عليه الكتب

(لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ)

في نار جهنم، شديد في ذاته و وصفه، و أنهم خالدون فيها أبدا.

ثانيا :–(وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ)

بقلوبهم، بما دعا اللّه إلى الإيمان به

(وَعَمِلُواْ)

بمقتضى ذلك الإيمان، بجوارحهم، الأعمال

(ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ)

لذنوبهم، يزول بها عنهم الشر و المكروه

(وَأَجۡرٞ كَبِيرٌ)

يحصل به المطلوب.

أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ
فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ٨

يقول تعالى: (أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ)

عمله السيئ، القبيح، زينه له الشيطان، و حسّنه في عينه.

(فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ)

أي: كمن هداه اللّه إلى الصراط المستقيم و الدين القويم،

فهل يستوي هذا و هذا؟...

***أَفَمَنْ كَانَ هَكَذَا قَدْ أَضَلَّهُ اللَّهُ، أَلَكَ فِيهِ حِيلَةٌ؟ لَا حِيلَةَ لَكَ فِيهِ،

فالأول: -

عمل السيئ، و رأى الحق باطلا و الباطل حقا.

و الثاني: -

عمل الحسن، و رأى الحق حقا، و الباطل باطلا

و لكن الهداية و الإضلال بيد اللّه تعالى

(فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ)

أي: على الضالين الذين زين لهم سوء أعمالهم،

و صدهم الشيطان عن الحق

(حَسَرَٰتٍۚ)

***لَا تَأْسَفْ عَلَى ذَلِكَ فَإِنَّ اللَّهَ حَكِيمٌ فِي قَدَرِهِ،
إِنَّمَا يُضِلُّ مَنْ يُضِلُّ وَ يَهْدِي مَنْ يَهْدِي
لِمَا لَهُ فِي ذَلِكَ مِنَ الْحُجَّةِ الْبَالِغَةِ، وَ الْعِلْمِ التَّامِّ؛

***الجزائرى:أي لا تهلك نفسك بالتحسر عليهم لكفرهم.**

○فليس عليك إلا البلاغ،

و ليس عليك من هداهم شيء،

(إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ)

و الله هو الذي يجازيهم بأعمالهم.

وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ
فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ٩

اثبات البعث و الحساب 9-10

(وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ)

يخبر تعالى عن كمال اقتداره، و سعة جوده،

و أنه (أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا)

***الجزائري:أي تزعجه وتحركه بشدة فيجتمع و يسير.**

(فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ)

فأنزله اللّه عليها

(فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ)

فحييت البلاد و العباد، و ارتزقت الحيوانات، و رتعت في تلك الخيرات،

***كَثِيراً مَا يَسْتَدِلُّ تَعَالَى عَلَى الْمَعَادِ بِإِحْيَائِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا -
كَمَا فِي أَوَّلِ سُورَةِ الْحَجِّ -
يُنَبِّهُ عِبَادَهُ أَنْ يَعْتَبِرُوا بِهَذَا عَلَى ذَلِكَ،
فَإِنَّ الْأَرْضَ تَكُونُ مَيِّتَةً هَامِدَةً لَا نَبَاتَ فِيهَا،
فَإِذَا أَرْسَلَ إِلَيْهَا السَّحَابَ تَحْمِلُ الْمَاءَ وَ أَنْزَلَهُ عَلَيْهَا،

22-م14-ص435

{اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ} [الْحَجِّ: 5]

لهذا قال الله تعالى:-

(كَذَٰلِكَ)

الذي أحيا الأرض بعد موتها

***كَذَلِكَ الْأَجْسَادُ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بَعْثَهَا وَ نَشُورَهَا،

أَنْزَلَ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ مَطَرًا يَعُمُّ الْأَرْضَ جَمِيعًا فَتَنْبُتُ الْأَجْسَادُ فِي قُبُورِهَا

كَمَا يَنْبُتُ الْحَبُّ فِي الْأَرْضِ؛

وَ لِهَذَا جَاءَ فِي الصَّحِيحِ: -

صحيح البخاري:-

4935-عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ» قَالَ: أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟

قَالَ: أَبَيْتُ، قَالَ: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟

قَالَ: أَبَيْتُ، قَالَ: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟

قَالَ: أَبَيْتُ، قَالَ:

«ثُمَّ يُنْزِلُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ البَقْلُ،

لَيْسَ مِنَ الإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى، إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا وَ هُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ،

وَ مِنْهُ يُرَكَّبُ الخَلْقُ يَوْمَ القِيَامَةِ»

(ٱلنُّشُورُ)

ينشر الله الأموات من قبورهم، بعدما مزقهم البلى، فيسوق إليهم مطرا،

كما ساقه إلى الأرض الميتة،

فينزله عليهم فتحيا الأجساد و الأرواح من القبور،

و يأتون للقيام بين يدي الله ليحكم بينهم، و يفصل بحكمه العدل.

مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ
يَرۡفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ١٠

(مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ)

أي: يا من يريد العزة، اطلبها ممن هي بيده،

فإن العزة بيد اللّه، و لا تنال إلا بطاعته،

و قد ذكرها بقوله: (إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ)

من قراءة و تسبيح و تحميد و تهليل و كل كلام حسن طيب

فيرفع إلى اللّه و يعرض عليه و يثني اللّه على صاحبه بين الملأ الأعلى

(وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ)

من أعمال القلوب و أعمال الجوارح

(يَرۡفَعُهُۥۚ)

اللّه تعالى إليه أيضا، كالكلم الطيب.

و قيل: و العمل الصالح يرفع الكلم الطيب،

فيكون رفع الكلم الطيب بحسب أعمال العبد الصالحة،

فهي التي ترفع كلمه الطيب،

فإذا لم يكن له عمل صالح، لم يرفع له قول إلى اللّه تعالى،

فهذه الأعمال التي ترفع إلى اللّه تعالى، و يرفع اللّه صاحبها و يعزه.

(وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ)

❍و أما السيئـــــــــــات فإنها بالعكـــــــــس:-

يريد صاحبها الرفعة بها،

و يمكر و يكيد و يعود ذلك عليه، و لا يزداد إلا إهانة و نزولا

***هم المراؤون بِأَعْمَالِهِمْ،
يَعْنِي: يَمْكُرُونَ بِالنَّاسِ، يُوهِمُونَ أَنَّهُمْ فِي طاعة الله،
و هم بُغَضَاء إلى الله عز وجل، يراؤون بِأَعْمَالِهِمْ،

{وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلا قَلِيلا} [النِّسَاءِ: 142] .

*الجزائري :يعملونها و يكسبونها.

❍و لهذا قال:

(وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ)

يهانون فيه غاية الإهانة.

(وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ)

أي: يهلك و يضمحل، و لا يفيدهم شيئا، لأنه مكر بالباطل، لأجل الباطل.

***يَفْسَدُ وَ يَبْطُلُ وَ يَظْهَرُ زَيْفُهُمْ عَنْ قَرِيبٍ لِأُولِي الْبَصَائِرِ وَ النُّهَى،
فَإِنَّهُ مَا أَسَرَّ عَبْدٌ سَرِيرَةً إِلَّا أَبْدَاهَا اللَّهُ عَلَى صَفَحَاتِ وَجْهِهِ وَ فَلَتَاتِ لِسَانِهِ،
***وَ مَا أَسَرَّ أَحَدٌ سَرِيرَةً إِلَّا كَسَاهُ اللَّهُ رِدَاءَهَا،
إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَ إِنَّ شَرًّا فَشَرٌّ.
فَالْمُرَائِي لَا يَرُوجُ أَمْرُهُ وَ يَسْتَمِرُّ إِلَّا عَلَى غَبِيٍّ،

22-م14-ص435

أَمَّا الْمُؤْمِنُونَ الْمُتَفَرِّسُونَ فَلَا يَرُوجُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ
بَلْ يُكشَف لَهُمْ عَنْ قَرِيبٍ، وَ عَالَمُ الْغَيْبِ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ.

وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ جَعَلَكُمۡ أَزۡوَٰجٗاۚ وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ
وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٖ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ
إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿١١﴾

من مظاهر القدرة الالهية 11-13

(وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ)

يذكر تعالى خلقه الآدمي، و تنقله في هذه الأطوار، من تراب إلى نطفة و ما بعدها.

***الجزائري:-أي من ماء الرجل و ماء المرأة و ذلك كل ذرّية آدم**

(ثُمَّ جَعَلَكُمۡ)

أي: لم يزل ينقلكم، طورا بعد طور،

حتى أوصلكم إلى أن كنتم

(أَزۡوَٰجٗاۚ)

ذكـــــــرا يتزوج أنثـــــــــى،

و يــــــــراد بالـــــــــــزواج:-

الذريـــــــــة و الأولاد،

فهو و إن كان النكاح من الأسباب فيه،فإنه مقترن بقضاء اللّه و قدره، و علمه،

(وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ)

***الجزائري:** **أي ما تحمل من جنين**

(وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦ)

و لا تضعه إلا بإذنه.

❍و كذلك أطوار الآدمي، كلها بعلمه و قضائه.

***بَلْ{مَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلا يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} [الْأَنْعَامِ: 59] .

وَ قَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: {اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الأرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ. عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ} [الرَّعْدِ: 8- 9] (3)

(وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ)

أي: عمر الذي كان معمرا عمرا طويلا

***مَا يُعْطَى بَعْضُ النُّطَف مِنَ الْعُمُرِ الطَّوِيلِ يَعْلَمُهُ،
وَ هُوَ عِنْدَهُ فِي الْكِتَابِ الْأَوَّلِ،

{وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ}

الضَّمِيرُ عَائِدٌ عَلَى الْجِنْسِ، لَا عَلَى الْعَيْنِ؛
لِأَنَّ الْعَيْنَ الطَّوِيلَ لِلْعُمُرِ فِي الْكِتَابِ
وَ فِي عِلْمِ اللَّهِ لَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ،
وَ إِنَّمَا عَادَ الضَّمِيرُ عَلَى الْجِنْسِ.

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ:وَ هَذَا كَقَوْلِهِمْ: "عِنْدِي ثَوْبٌ وَ نِصْفُهُ" أَيْ: وَ نِصْفُ آخَرُ.

*** صحيح البخاري

2067 -عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:

«مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»( )

*

برّ الوالدين والأعمال الصالحة من أعظم القربات

و البر من أسباب طول العمر ، و البركة في العمر الرابط

كما في الحديث: (لا يزيد في العمر إلا البر) .

فالبر من أسباب طول العمر وبركته ،

و في الحديث الصحيح:

(من أحب أن يبسط له في رزقه ، و أن ينسأ له في أجله ، فليصل رحمه).

و بر الوالدين من أعظم صلة الرحم ، أعظم صلة الرحم ،

فبر الوالدين و صلة الرحم من أسباب طول العمر ،

و البركة في العمر.

(إِلَّا)

بعلمه تعالى،

○أو ما ينقص من عمر الإنسان الذي هو بصدد أن يصل إليه،

لولا ما سلكه من أسباب قصر العمر، كـــــــــ:-

الزنـــــا، و عقـــــوق الوالدين، و قطيعـــــــة الأرحام،

(يبسط) يوسع. (ينسأ) يؤخر. (أثره) بقية عمره. (فليصل رحمه) فليبر بأقاربه]

22-م14-ص435

و نحو ذلك مما ذكر أنها من أسباب قصر العمر.

و المعنـــــــــى:–

أن طول العمر و قصره، بسبب و بغير سبب كله بعلمه تعالى، و قد أثبت ذلك

(فِي كِتَٰبٍۚ)

حوى ما يجري على العبد، في جميع أوقاته و أيام حياته.

(إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ)

أي: إحاطة علمه بتلك المعلومات الكثيرة، و إحاطة كتابه فيها،

فهذه ثلاثة أدلة من أدلة البعث و النشور، كلها عقلية،

نبــــــــه اللّه عليها في هذه الآيــــــــات:–

1–إحيـــــــــاء الأرض بعد موتها،

و أن الذي أحياها سيحيي الموتى، و تنقل الآدمي في تلك الأطوار.

فالذي أوجده و نقله، طبقا بعد طبق، و حالا بعد حال،

حتى بلغ ما قدر له، فهو على إعادته و إنشائه النشأة الأخرى أقدر،

و هو أهون عليه،

2–و إحاطة علمه بجميع أجزاء العالم، العلوي و السفلي، دقيقها و جليلها،

الذي في القلوب، و الأجنة التي في البطون،

و زيادة الأعمار و نقصها،

و إثبات ذلك كله في كتاب.

فالذي كان هذا نعته يسيرا عليه،

فإعادته للأموات أيسر و أيسر.

فتبارك من كثر خيره، و نبه عباده على ما فيه صلاحهم،في معاشهم و معادهم.

وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡبَحۡرَانِ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ سَآئِغٞ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞۖ
وَمِن كُلّٖ تَأۡكُلُونَ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُونَ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ
وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٢
يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ
كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ
وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ١٣
إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ
يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ١٤ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ
إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ
١٦ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ ١٧ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ وَإِن تَدۡعُ مُثۡقَلَةٌ إِلَىٰ
حِمۡلِهَا لَا يُحۡمَلۡ مِنۡهُ شَيۡءٞ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰٓۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم
بِٱلۡغَيۡبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفۡسِهِۦۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ١٨

وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡبَحۡرَانِ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ سَآئِغٞ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞۖ

وَمِن كُلٍّ تَأۡكُلُونَ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُونَ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ فِيهِ
مَوَاخِرَ لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ
وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ
ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ
مِن قِطۡمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ
وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ﴿١٤﴾

(وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡبَحۡرَانِ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ سَآئِغٞ شَرَابُهُۥ)

***الميسر:-هذا عذب شديد العذوبة، سَهْلٌ مروره في الحلق يزيل العطش،**

(وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞۖ)

***الميسر:- و هذا ملح شديد الملوحة،**

○هذا إخبار عن قدرته و حكمته و رحمته، أنه جعل البحرين لمصالح العالم الأرضي كلهم،

و أنه لم يســـــــوِّ بينهما، لأن المصلحة تقتضي أن:-

تكــــــون الأنهار عذبة فراتا، سائغـــــــا شرابهـــــــا،

لينتفـــــــع بها الشاربون و الغارسون و الزارعون،

و أن يكون البحر ملحا أجاجـــــــا:-

1- لئــــــلا يفسد الهواء المحيط بالأرض بروائح ما يموت في البحر من الحيوانات

2-و لأنه ساكن لا يجري،فملوحته تمنعه من التغير،

و لتكون حيواناته أحسن و ألذ،

و لهذا قال: (وَمِن كُلٍّ)

من البحر الملح و العذب

(تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا)

و هو السمك المتيسر صيده في البحر،

***كَمَا قَالَ تَعَالَى:{يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} [الرَّحْمَنِ: 22، 23] .

(وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا)

من لؤلؤ و مرجان و غيرهما، مما يوجد في البحر،

فهذه مصالح عظيمة للعباد.

(وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ)

***تَمْخُرُهُ وَ تَشُقُّهُ بِحَيْزُومِهَا،
وَ هُوَ مُقَدِّمُهَا الْمُسَنَّم الَّذِي يُشْبِهُ جُؤْجُؤَ الطَّيْرِ -وَ هُوَ: صَدْرُهُ.

❍و من المصالح أيضا و المنافع في البحر:-

أن سخره اللّه تعالى يحمل الفلك من السفن و المراكب،

فتراها تمخر البحر [و تشقـــــــه]

(لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ)

فتسلك من إقليم إلى إقليم آخر،

و من محل إلى محل، فتحمل السائرين و أثقالهم و تجاراتهم،

فيحصل بذلك من فضل اللّه و إحسانه شيء كثير،

(وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ)

***تَشْكُرُونَ رَبَّكُمْ عَلَى تَسْخِيرِهِ لَكُمْ هَذَا الْخَلْقَ الْعَظِيمَ،
وَ هُوَ الْبَحْرُ، تَتَصَرَّفُونَ فِيهِ كَيْفَ شِئْتُمْ، وَ تَذْهَبُونَ أَيْنَ أَرَدْتُمْ،
وَ لَا يَمْتَنِعُ عَلَيْكُمْ شَيْءٌ مِنْهُ،
بَلْ بِقُدْرَتِهِ قَدْ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السموات وَ مَا فِي الْأَرْضِ،
الْجَمِيعُ مِنْ فَضْلِهِ وَ مِنْ رَحْمَتِهِ.

(يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ)

و من ذلك أيضا، إيلاجه تعالى الليل بالنهار و النهار بالليل،

يدخل هذا على هذا، و هذا على هذا،

❍كلما أتى أحدهما ذهب الآخر،

○و يزيد أحدهما و ينقص الآخر و يتساويان،

فيقوم بذلك ما يقوم من مصالح العباد في أبدانهم و حيواناتهم

و أشجارهم و زروعهم.

(وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ)

و كذلك ما جعل اللّه في تسخير الشمس و القمر، الضياء و النور،

و الحركة و السكون، و انتشار العباد في طلب فضله،

و ما فيهما من تنضيج الثمار و تجفيف ما يجفف

و غير ذلك مما هو من الضروريات، التي لو فقدت لَلَحِقَ الناس الضرر.

و قوله: (كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ)

أي: كل من الشمس و القمر، يسيران في فلكهما ما شاء اللّه أن يسيرا،

فإذا جاء الأجل، و قرب انقضاء الدنيا، انقطع سيرهما، و تعطل سلطانهما،

و خسف القمر، و كورت الشمس، و انتثرت النجوم.

فلما بين تعالى ما بيَّن من هذه المخلوقات العظيمة،

و ما فيها من العبر الدالة على كماله و إحسانه،

قال: (ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ)

أي: الذي انفرد بخلق هذه المذكورات و تسخيرها،

هو الرب المألوه المعبود، الذي له الملك كله.

(وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ)

من الأوثان و الأصنام

(مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ)

***الْقِطْمِيرُ: هُوَ اللِّفَافَةُ الَّتِي تَكُونُ عَلَى نَوَاةِ التَّمْرَةِ،

أَيْ: لَا يملكون من السموات وَ الْأَرْضِ شَيْئًا، وَ لَا بِمِقْدَارِ هَذَا الْقِطْمِيرِ.

أي: لا يملكون شيئا، لا قليلا و لا كثيرا،

حتى و لا القطمير الذي هو أحقر الأشياء،

و هذا من تنصيص النفي وعمومه،

فكيف يُدْعَوْنَ،و هم غير مالكين لشيء من ملك السماوات و الأرض؟

و مع هذا (إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ)

حقيقة الاصنام 14

لا يسمعوكم لأنهم ما بين جماد و أموات و ملائكة [مشغولين بطاعة ربهم]

(وَلَوۡ سَمِعُواْ)

على وجه الفرض و التقدير

(مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ)

لأنهم لا يملكون شيئا، و لا يرضى أكثرهم بعبادة من عبده،

و لهذا قال: (وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ)

أي: يتبرأون منكم، و يقولون: (سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ)

***كَمَا قَالَ تَعَالَى:{وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ} [الْأَحْقَافِ: 5، 6]

وَ قَالَ:{وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا} [مَرْيَمَ: 81، 82] .

(وَلَا)

أي:لا أحد

(يُنَبِّئُكَ)

***بِعَوَاقِبِ الْأُمُورِ وَ مَآلِهَا وَ مَا تَصِيرُ إِلَيْهِ

(مِثْلُ خَبِيرٍ)

أصدق من الله العليم الخبير،

***قَالَ قَتَادَةُ:-يَعْنِي نَفْسَهُ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى، فَإِنَّهُ أَخْبَرُ بِالْوَاقِعِ لَا مَحَالَةَ.

○فاجزم بأن هذا الأمر، الذي نبأ به كأنه رَأْيُ عين،

فلا تشك فيه و لا تمتر.

فتضمـــــــــنت هذه الآيـــــــات:-

الأدلة و البراهين الساطعة،الدالة على أنه تعالى المألوه المعبود،

الذي لا يستحق شيئا من العبادة سواه،

و أن عبادة ما سواه باطلة متعلقة بباطل، لا تفيد عابده شيئا.

۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥
إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ١٦ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ ١٧
وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ وَإِن تَدۡعُ مُثۡقَلَةٌ إِلَىٰ حِمۡلِهَا لَا يُحۡمَلۡ مِنۡهُ شَيۡءٞ
وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰٓۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ
وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفۡسِهِۦۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ١٨

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ) | قدرة الله و غناه و فقر الانسان 15-18

يخاطب تعالى جميع الناس،

و يخبرهم بحالهم و وصفهم،

و أنهم فقراء إلى اللّه من جميـــــــــع الوجـــــــــوه:

1–فقراء في إيجادهم، فلولا إيجاده إياهم، لم يوجدوا.

2–فقراء في إعدادهم بالقوى و الأعضاء و الجوارح،

التي لولا إعداده إياهم بها لما استعدوا لأي عمل كان.

3–فقراء في إمدادهم بالأقوات و الأرزاق و النعم الظاهرة و الباطنة،

فلولا فضله و إحســـــــانه و تيسيـــــــره الأمـــــــور:–

لما حصل لهم من الرزق و النعم شيء.

4–فقراء في صرف النقم عنهم، و دفع المكاره، و إزالة الكروب و الشدائد.

فلولا دفعه عنهم، و تفريجه لكرباتهم، و إزالته لعسرهم:–

لاستمرت عليهم المكاره و الشدائد.

5–فقراء إليه في تربيتهم بأنواع التربية، و أجناس التدبير.

6–فقراء إليه، في تألههم له، و حبهم له، و تعبدهم، و إخلاص العبادة له تعالى،

فلو لم يوفقهم لذلك:–

لهلكوا، و فسدت أرواحهم، و قلوبهم و أحوالهم.

7–فقراء إليه، في تعليمهم ما لا يعلمون، و عملهم بما يصلحهم

فلولا تعليمه:–

لم يتعلموا،

و لولا توفيقه:–

لم يصلحوا.

((((فهم فقراء بالذات إليه، بكل معنى، و بكل اعتبار))))

سواء شعروا ببعض أنواع الفقر أم لم يشعروا،

❍و لكن الموفق منهم، الذي لا يزال يشاهد فقره في كل حال من أمور دينه و دنياه، و يتضرع له،

و يسأله أن لا يكله إلى نفسه طرفة عين،

و أن يعينه على جميع أموره،

و يستصحب هذا المعنى في كل وقت،

فهذا أحرى بالإعانة التامة من ربه و إلهه، الذي هو أرحم به من الوالدة بولدها.

(وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ)

أي: الذي له الغنى التام من جميع الوجوه،

فلا يحتاج إلى ما يحتاج إليه خلقه،

و لا يفتقر إلى شيء مما يفتقر إليه الخلق،

و ذلك لكمال صفاته، و كونها كلها، صفات كمال، و نعوت و جلال.

و من غنـــــــاه تعـــــــالى:-

أن أغنى الخلق في الدنيا و الآخرة،

(ٱلْحَمِيدُ)

في ذاتـــــــه، و أسمـــــــائه:-

لأنهـــــــا حسنى،

و أوصـــــــافه:-

لكونهـــــــا عليـــــــا،

و أفعـــــــاله :-

لأنها فضـــــل و إحســـــان و عـــــدل و حكمـــــة و رحمـــــة،

و في أوامـــــــره و نواهيـــــــه:-

فهو الحميــــــــد على ما فيه، و على ما منه،

○و هو الحميد في غنـــــــاه الغني في حمـــــــــده .

(إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ)

أولا:-

يحتمل أن المراد: إن يشأ يذهبكم أيها الناس

و يأت بغيركم من الناس، أطوع للّه منكم،

و يكون في هذا تهديد لهم بالهلاك و الإبادة،

و أن مشيئته غير قاصرة عن ذلك.

ثانيا:-

و يحتمل أن المراد بذلك، إثبات البعث و النشور،

و أن مشيئة اللّه تعالى نافذة في كل شيء،

و في إعادتكم بعد موتكم خلقا جديدا،

و لكن لذلك الوقت أجل قدره اللّه، لا يتقدم عنه و لا يتأخر.

(وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ)

أي: بممتنع، و لا معجز له.

و يدل على المعنى الأخير، ما ذكره بعده في قوله:

(وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ)

أي: في يوم القيامة كل أحد يجازى بعمله، و لا يحمل أحد ذنب أحد.

(وَإِن تَدۡعُ)

أي: نفس

(مُثۡقَلَةٌ إِلَىٰ حِمۡلِهَا)

مثقلة بالخطايا و الذنوب، تستغيث بمن يحمل عنها بعض أوزارها

***إِلَى أَنْ تُسَاعَد عَلَى حَمْلِ مَا عَلَيْهَا مِنَ الْأَوْزَارِ أَوْ بَعْضِهِ،

(لَا يُحۡمَلۡ مِنۡهُ شَيۡءٌ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰٓۗ)

فإنه لا يحمل عن قريب،

فليست حال الآخرة بمنزلة حال الدنيا،يساعد الحميم حميمه، و الصديق صديقه،

بل يوم القيامة، يتمنى العبد أن يكون له حق على أحد،

و لو على والديه و أقاربه.

(إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم)

أي: هؤلاء الذين يقبلون النذارة و ينتفعون بها، أهل الخشية للّه

(بِٱلۡغَيۡبِ)

أي: الذين يخشونه في حال السر و العلانية، و المشهد و المغيب،

(وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ)

و أهل إقامة الصلاة، بحدودها و شروطها و أركانها و واجباتها و خشوعها،

لأن الخشية للّه تستدعي من العبــــــــد:-

1-العمل بما يخشى من تضييعه العقاب،

2–و الهرب مما يخشى من ارتكابه العذاب،

و الصلاة تدعو إلى الخير، و تنهى عن الفحشاء و المنكر.

(وَمَن تَزَكَّىٰ)

***الميسر:-و من تطهر من الشرك و غيره من المعاصي**

(فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ)

***الميسر:-فإنما يتطهر لنفسه**

أي: و من زكى نفسه بـــــالتنقِّـــــــي من العيوب:–

كالرياء و الكبر، و الكذب و الغش، و المكر و الخداع و النفاق،

و نحو ذلك من الأخلاق الرذيلة،

و تحلَّى بالأخلاق الجميلة، مـــــــن:–

الصدق، و الإخلاص، و التواضع، و لين الجانب، و النصح للعباد،

و سلامة الصدر مـــــــن:–

الحقد و الحسد و غيرهما من مساوئ الأخلاق،

○فإن تزكيته يعود نفعها إليه، و يصل مقصودها إليه،

ليس يضيع من عمله شيء.

(وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ)

فيجازي الخلائق على ما أسلفوه،

و يحاسبهم على ما قدموه و عملوه،

و لا يغادر صغيرة و لا كبيرة إلا أحصاها.

وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ ١٩ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ٢٠ وَلَا ٱلظِّلُّ
وَلَا ٱلۡحَرُورُ ٢١ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَحۡيَآءُ وَلَا ٱلۡأَمۡوَٰتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسۡمِعُ مَن يَشَآءُۖ
وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ ٢٢ إِنۡ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ٢٣ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا
وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ٢٤ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ
مِن قَبۡلِهِمۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ ٢٥
ثُمَّ أَخَذۡتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ٢٦ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ
مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٖ مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهَاۚ وَمِنَ ٱلۡجِبَالِ جُدَدُۢ بِيضٞ وَحُمۡرٞ مُّخۡتَلِفٌ
أَلۡوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٞ ٢٧ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ
كَذَٰلِكَۗ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨
إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ
وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ٢٩
لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ ٣٠

وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ ١٩ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ٢٠ وَلَا ٱلظِّلُّ
وَلَا ٱلۡحَرُورُ ٢١ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَحۡيَآءُ وَلَا ٱلۡأَمۡوَٰتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسۡمِعُ مَن يَشَآءُۖ

وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنۡ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾
إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ﴿٢٤﴾

يخبر تعالى أنه لا يتساوى الأضداد في حكمة اللّه،

و فيما أودعه في فطر عباده.

ضرب الامثال 19-22

(وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ)

فاقد البصر

(وَٱلۡبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلۡحَرُورُ)

***الميسر:و لا الريح الحارة،**

(وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَحۡيَآءُ وَلَا ٱلۡأَمۡوَٰتُۚ)

فكما أنه من المتقرر عندكم، الذي لا يقبل الشك،

أن هذه المذكورات لا تتساوى،

فكذلك فلتعلموا أن عدم تساوي المتضادات المعنوية أولى و أولى.

فلا يستوي المؤمن و الكافر،

و لا المهتدي و الضال،

و لا العالم و الجاهل،

و لا أصحاب الجنة و أصحاب النار،

و لا أحياء القلوب و أمواتها،

❍فبين هذه الأشياء من التفاوت و الفرق ما لا يعلمه إلا اللّه تعالى،

فإذا علمت المراتب، و ميزت الأشياء،

و بان الذي ينبغي أن يتنافس في تحصيله من ضده،

فليختر الحازم لنفسه، ما هو أولى به و أحقها بالإيثار.

*** قَوْلِهِ تَعَالَى:{أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا} [الْأَنْعَامِ: 122]

***وَ قَالَ تَعَالَى:{مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَى وَالأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلا}[هُودٍ: 24]

○فَالْمُؤْمِنُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ فِي نُورٍ يَمْشِي، عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ فِي الدُّنْيَا
وَ الْآخِرَةِ، حَتَّى يَسْتَقِرَّ بِهِ الْحَالُ فِي الْجَنَّاتِ ذَاتِ الظِّلَالِ وَ الْعُيُونِ،
○وَ الْكَافِرُ أَعْمَى أَصَمُّ، فِي ظُلُمَاتٍ يَمْشِي، لَا خُرُوجَ لَهُ مِنْهَا،
بَلْ هُوَ يَتِيهُ فِي غَيِّهِ وَ ضَلَالِهِ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ،
حَتَّى يُفْضِيَ بِهِ ذَلِكَ إِلَى الْحَرُورِ وَ السَّمُومِ وَ الْحَمِيمِ،
{وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ لَا بَارِدٍ وَلا كَرِيمٍ} [الْوَاقِعَةِ: 43، 44] .

(إِنَّ ٱللَّهَ يُسۡمِعُ مَن يَشَآءُۖ)

سماع فهم و قبول، لأنه تعالى هو الهادي الموفق

(وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ)

أي: أموات القلوب،

أو كما أن دعاءك لا يفيد سكان القبور شيئا،

كذلك لا يفيد المعرض المعاند شيئا،

و لكن وظيفتك النذارة، و إبلاغ ما أرسلت به، قبل منك أم لا.

و لهذا قال: ﴿ إِنۡ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ﴾

حقيقة النبىﷺ و تكذيب الكفار 23-26

أي مجرد إرسالنا إياك

﴿بِٱلۡحَقِّ ﴾

لأن اللّه تعالى بعثـــــــــك على حيـــــــــن:-

1-فتـــــــــرة من الرسل

2-و طمـــــوس من السبل

3-و انـــــدراس من العلم

4-و ضـــــرورة عظيمة إلى بعثك

فبعثك اللّه رحمة للعالمين

و كذلك ما بعثناك به من الدين القويم و الصراط المستقيم حق لا باطل

و كذلك ما أرسلناك به من هذا القرآن العظيم

و ما اشتمل عليه من الذكر الحكيم حق و صدق

﴿بَشِيرًا ﴾

لمن أطاعك بثواب اللّه العاجل و الآجل

﴿وَنَذِيرًاۚ ﴾

لمن عصاك بعقاب اللّه العاجل و الآجل و لست ببدع من الرسل

(وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ)

من الأمم الماضية و القرون الخالية

(إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ)

يقيم عليهم حجة اللّه

(لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ)

***كَمَا قَالَ تَعَالَى: {إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ} [الرَّعْدِ: 7]

وَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ} الْآيَةَ [النَّحْلِ:136]

وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ ٢٥ ثُمَّ أَخَذۡتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ٢٦

أي:(وَإِن يُكَذِّبُوكَ)

و إن يكذبك أيها الرسول، هؤلاء المشركون، فلست أول رسول كذب،

(فَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ)

الدالات على الحق، و على صدقهم فيما أخبروهم به،

(وَبِٱلزُّبُرِ)

أي: الكتب المكتوبة، المجموع فيها كثير من الأحكام،

(وَبِٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ)

أي: المضيء في أخباره الصادقة، و أحكامه العادلة،

فلم يكن تكذيبهم إياهم ناشئا عـــــــن:-

1-اشتبـــــــاه،

2-أو قصـــــور بما جاءتهم به الرسل،

بـــــــــــل :-

بسبب ظلمهـــــــــم و عنادهـــــــــم.

(ثُمَّ أَخَذۡتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ)

بأنواع العقوبات

(فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ)

عليهم؟

*الميسر:-فانظر كيف كان إنكاري لعملهم و حلول عقوبتي بهم؟

○ كان أشد النكير و أعظم التنكيل،

فإياكم و تكذيب هذا الرسول الكريم،

فيصيبكم كما أصاب أولئك، من العذاب الأليم و الخزي الوخيم.

أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٖ مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهَاۚ

وَمِنَ ٱلۡجِبَالِ جُدَدُۢ بِيضٞ وَحُمۡرٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٞ ٢٧

وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ
إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾

(أَلَمْ تَرَ)

تنوع الخلق و وحدة الخالق 27-28

يذكر تعالى خلقه للأشياء المتضادات، التي أصلها واحد، و مادتها واحدة،
و فيها من التفاوت و الفرق ما هو مشاهد معروف،
ليدل العباد على كمال قدرته و بديع حكمته.

فمن ذلك: (أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا)

فأخرج به من الثمرات المختلفات، و النباتات المتنوعات،
ما هو مشاهد للناظرين، و الماء واحد، و الأرض واحدة.

*** يَقُولُ تَعَالَى مُنَبِّهًا عَلَى كَمَالِ قُدْرَتِهِ فِي خَلْقِهِ الْأَشْيَاءَ الْمُتَنَوِّعَةَ الْمُخْتَلِفَةَ مِنَ الشَّيْءِ الْوَاحِدِ،
وَ هُوَ الْمَاءُ الَّذِي يُنْزِلُهُ مِنَ السَّمَاءِ،
يُخْرِجُ بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا، مِنْ أَصْفَرَ وَ أَحْمَرَ وَ أَخْضَرَ وَ أَبْيَضَ
إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَلْوَانِ الثِّمَارِ،
كَمَا هُوَ الْمُشَاهَدُ مِنْ تَنَوُّعِ أَلْوَانِهَا وَ طُعُومِهَا وَ رَوَائِحِهَا،
كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى:{وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} [الرَّعْدِ: 4] .

(وَمِنَ) ذلك: (ٱلْجِبَالِ)

التي جعلها اللّه أوتادا للأرض،

تجدها جبالا مشتبكة، بل جبلا واحدا، و فيها ألوان متعددة، فيها

(جُدَدٌۢ بِيضٞ)

أي: طرائق بيض، و فيها طرائق صفر

***وَ فِي بَعْضِهَا طَرَائِقُ -وَ هِيَ: الجُدَد، جَمْعُ جُدّة-

(ليس المراد جدد بمعنى جمع جديدة أى حديثة)

(مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهَا)

مُخْتَلِفَةُ الْأَلْوَانِ أَيْضًا.

و فيها (وَغَرَابِيبُ سُودٞ)

أي: شديدة السواد جدا.الاعجاز العلمى

(وَمِنَ) ذلك:

(ٱلنَّاسِ)

فيها من اختلاف الألوان و الأوصاف و الأصوات و الهيئات،

ما هو مرئي بالأبصار، مشهود للنظار،

و الكل من أصل واحد و مادة واحدة.

فتفاوتها دليل عقلي على مشيئة اللّه تعالى، التي خصصت ما خصصت منها،

بلونه، و وصفه، و قدرة اللّه تعالى حيث أوجدها كذلك،

و حكمته و رحمته، حيث كان ذلك الاختلاف،

*** فَالنَّاسُ مِنْهُمْ بَرْبَرٌ و حُبُوش
و طُمَاطم فِي غَايَةِ السَّوَادِ،
وَ صَقَالِبَةٌ وَرُومٌ فِي غَايَةِ الْبَيَاضِ،
وَ الْعَرَبُ بَيْنَ ذَلِكَ،
وَ الْهُنُودُ دُونَ ذَلِكَ؛
وَ لِهَذَا قَالَ تَعَالَى فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى:
{وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ} [الرُّومِ: 22]

(وَٱلدَّوَآبِّ)
وَ هُوَ: كُلُّ مَا دَبَّ عَلَى قَوَائِمَ-

(وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ)
مِنْ بَابِ عَطْفِ الْخَاصِّ عَلَى الْعَامِ.
كَذَلِكَ هِيَ مُخْتَلِفَةٌ أَيْضًا،
***وَ كَذَلِكَ الدَّوَابُّ وَ الْأَنْعَامُ مُخْتَلِفَةُ الْأَلْوَانِ،
حَتَّى فِي الْجِنْسِ الْوَاحِدِ،
بَلِ النَّوْعِ الْوَاحِدِ مِنْهُنَّ مُخْتَلِفُ الْأَلْوَانِ،
بَلِ الْحَيَوَانُ الْوَاحِدُ يَكُونُ أَبْلَقَ، فِيهِ مِنْ هَذَا اللَّوْنِ وَ هَذَا اللَّوْنِ
فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ.

و ذلك التفاوت، فيه من المصالح و المنافع، و معرفة الطرق،

و معرفة الناس بعضهم بعضا، ما هو معلوم.

○و ذلك أيضا، دليل على سعة علم اللّه تعالى،

و أنه يبعث من في القبور،

و لكن الغافل ينظر في هذه الأشياء و غيرها نظر غفلة لا تحدث له التذكر،

و إنما ينتفع بها من يخشى اللّه تعالى،

و يعلم بفكره الصائب وجه الحكمة فيها.

و لهذا قال: ﴿كَذَٰلِكَۗ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ ﴾(Î)

فكل من كان باللّه أعلم، كان أكثر له خشية، و أوجبت له خشية اللّه،

الانكفاف عن المعاصي،

و الاستعداد للقاء من يخشاه،

و هذا دليل على فضيلة العلم،

فإنه داع إلى خشية اللّه، و أهل خشيته هم أهل كرامته،

كما قال تعالى:﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ﴾

كامل العزة، و من عزته خلق هذه المخلوقات المتضادات.

﴿غَفُورٌ ﴾

لذنوب التائبين.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا

وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ٢٩ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ

الله :مفعول به مقدم منصوب بالفتحة وقع عليه فعل الفاعل-العلماء:فاعل مؤخر مرفوع بالضمة

22-م16-ص437

وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ ٣٠

فضل قارىء القرآن 29-35

(إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ)

أي: يتبعونــــــــــــه:-

في أوامــــــــــــره:- فيمتثلونها،

و في نواهيـــــــــــه:- فيتركونها،

و في أخبـــــــــاره:- فيصدقونها و يعتقدونها،

و لا يقدمون عليه ما خالفه من الأقوال،

و يتلون أيضا

ألفاظـــــــــــه:-

بدراستـــــــــــه،

و معانيـــــــــه:-

بتتبعهـــــــــا و استخراجهـــــــــا.

(وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ)

ثم خص من التلاوة بعد ما عم، الصلاة التي هـــــــــي :-

1-عمـــــــاد الدين

2-و نـــــور المسلمين،

3-و ميــــزان الإيمان،

4-و عـــــلامة صدق الإسلام،

22-م16-ص437

(وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ)

و النفقة على الأقارب و المساكين و اليتامى و غيرهم،من الزكاة و الكفارات و النذور و الصدقات.

(سِرًّا وَعَلَانِيَةً)

في جميع الأوقات.

(يَرْجُونَ)

بذلك

(تِجَـٰرَةً لَّن تَبُورَ)

أي: لن تكسد و تفسد، بل تجارة، هي أجل التجارات و أعلاها و أفضلها، ألا و هـــــي رضا ربهم، و الفوز بجزيل ثوابه، و النجاة من سخطه و عقابه،

و هذا فيه أنهم يخلصون بأعمالهم،

و أنهم لا يرجون بها من المقاصد السيئة و النيات الفاسدة شيئا.

و ذكر أنهم حصل لهم ما رجوه فقال:-

(لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ)

أي: أجور أعمالهم، على حسب قلتها و كثرتها، و حسنها و عدمه

***الميسر:ليوفيهم الله تعالى ثواب أعمالهم كاملا غير منقوص**

(وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ)

زيادة عن أجورهم.

***الميسر:و يضاعف لهم الحسنات من فضله**

(إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ)

غفر لهم السيئات، و قبل منهم القليل من الحسنات.

◀ التجارة مع الله

كُنتُ دائمًا إذا هممتُ بمعصيةٍ أو غِيبَةٍ لأحد أتذكر قول الله: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾(٢)؛ فَأُحْجِمُ عن ذلك. ق: ١٨.

وكان سبب محافظتي على العبادات الثلاث: قراءة القرآن الكريم، والصلاة، والإنفاق؛ هي قول الله تعالى في سورة فاطر: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾(١) فاطر: ٢٩-٣٠

فما أجمل أن نعمل بالعمل موقنين أننا سنأخذ عليه أجرنا من الله وزيادة؛ لأنه تعالى شكورٌ يقبلُ القليل من الصالحات، ويجزي عليها الكثير الحسنات.

الاعجاز العلمي في (ومن الجبال جدد)

و قال تعالى في سورة فاطر آية - 28:

جاء في كتاب القرآن و إعجازه العلمي

(ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود* ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء)

تفسير علماء الدين:

22-م16-ص437

ألم تر - أيها العاقل - أن الله أنزل من السماء ماء فأخرج به ثمرات مختلفا ألوانها، منها الاحمر والاصفر والحلو والمر والطيب والخبيث،
ومن الجبال جبال طرائق وخطوط بيض وحمر مختلفة بالشدة والضعف وجبال شديدة السواد،
ومن الناس والدواب والابل والبقر والغنم مختلف ألوانه كذلك في الشكل والحجم، وما يتدبر هذا الصنع العجيب ويخشى صانعه إلا العلماء الذين يدركون أسرار صنعه، إن الله غالب يخشاه المؤمنون غفور كثير المحو لذنوب من يرجع إليه.

النظرة العلمية: ليس الاعجاز العلمي في هذه الآية هو التنويه فقط بما للجبال من ألوان مختلفة ترجع إلى اختلاف المواد التى تكون صخورها من

حديد يجعل لونها السائد أحمر
أو منجنيزا و فحم يجعله أسود
أو نحاس يجعله أصفر و غير ذلك
حجارة كلسية تعكس اللون الأبيض

و لكن الاعجاز هو الربط بين إخراج ثمرات مختلفات الالوان يروى شجرها ماء واحد،
و خلق جبال حمر وبيض وسود يرجع أصلها إلى مادة واحدة متجانسة التركيب أصلها من باطن الارض و يسميها علماء الجيولوجيا بالصهارة،
و هذه الصهارة عندما تنبثق في أماكن مختلفة من الارض
و على أعماق مختلفة من السطح يعترى تركيبها الاختلاف
فتتصلب آخر الامر في كتل أو جبال مختلفات المادة واللون
و هكذا فسنة الله واحدة

22-م16-ص437

لان الاصل واحد والفروع مختلفة و متباينة و في هذا متاع و فائدة لبنى آدم.

رجوع

الجبال.. أسرار و إعجاز

الرابط

د. هارون أحمد محمد

أشار القــرآن الكــريم وحي الله الذي نزل على خاتم النبيين محمد ﷺ إلى حقيقة علمية في عدد من آياته ألا وهى ظاهرة الجبال التي توجـد على سطح الأرض والتي أمرنا الخـالق بأن ننظر في آياته الكونيــة لنزداد هـدى وبصيرة}

(قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ)

}العنكبوت: 20)

و ذكر الله في كتابه الجبال في كثير من الآيات (49 آية صريحة)

شكلا ووظيــفة وأنها تسجــد لله شأنها شأن المخلوقات الأخرى من شمس وقمر ونجوم وشجـر ودواب وإنسان}

(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فى الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ)

}الحج: 18)،

و كل مخـــلوق يسبح الله بطريقته}

(وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ)

}الإسراء: 44)

و هذه الحقيقة العلمية لشكل و وظيفة الجبال لم يستطع الإنسان أن يصل إليها كحقيقة معروفة إلا بعد التقدم والتطور العلمي والتقني الهائل الذي حدث في الفترة الأخيرة من عمر البشرية.

والإنسان منذ القدم عرف الجبال وعاش في أكنافها وتعامل معها واستفاد منها ومن مكوناتها،
وعرف الجبل بأنه كلما علا عن سطح الأرض واستطال وتجاوز التل ارتفاعا
ومع مرور الزمن وتقدم الإنسان من قرن إلى قرن،
فتن الإنسان بالجبال والذي جذبه إليها ما تحتويه من منافع
واكتفى بمعرفتها ظاهريا حتى بداية القرن الثامن عشر
فبدأ يبحث في نشأة الجبال وتكوينها في بدايات القرن التاسع عشر من أعمال مسح جيولوجي ودراسات جيولوجية إلى أن وصل إلى أن هناك امتدادات لهذه الجبال الهائلة في جوف القشرة الأرضية إلى مسافات عميقة وأن هذه الامتدادات إما أن تكون من نفس مادة الجبال البارزة أو أكثر كثافة منها وهى بعبارة أخرى وجود جذور Roots لهذه الجبال ممتدة أسفل منها كما هو مبين بالشكل رقم (1)
و كل بروز على سطح الأرض له امتداد يخترق الغلاف الصخري للأرض بنسبة 01: 15 ضعف ارتفاعه فوق سطح الأرض.

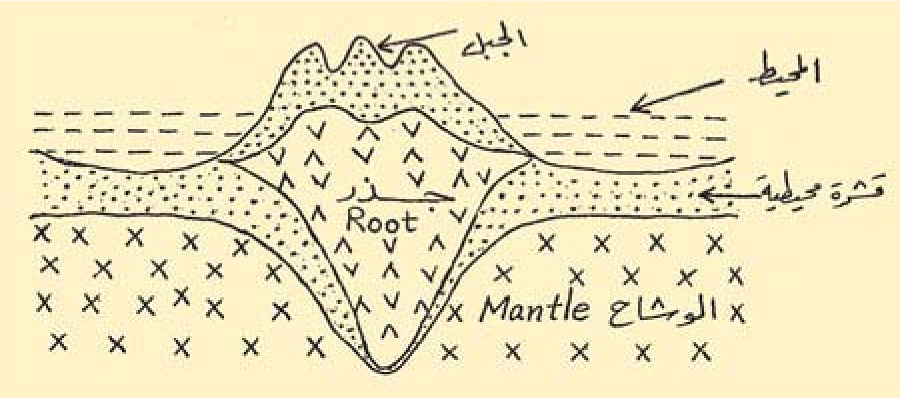

شكل رقم (1) رسم توضيحي يبين الجبل (قشرة قارية) والمنخفض (قشرة محيطة)

حيث يمتد تحت الجبل جذر منغرس في مادة الوشاح و يرجع التوازن بينتهما إلى زيادة الكثافة تحت المحيط في القارة.

وفى منتصف القرن التاسع عشر افترض أحد العلماء أن القشرة الأرضية وما عليها من جبال لا تمثل إلا جزرا طافية على بحر من صخور ذات كثافة عالية

و بناءا على ذلك فلا بد للجبال لضمان ثباتها واستقرارها على هذه المادة الأكثر كثافة أن تكون لها الجذور التي ذكرناها،

و القرآن الكريم قد وجه الإنسان إلى تلك الحقيقة من خلال الآية الكريمة}

(وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا) {النبأ: 7}

إلا أن معرفة هذه الحقيقة ما كان متيسرا في القرون الماضية التي سبقت الكشوف العلمية الحديثة

22-م16-ص437

فأشارت هذه الآية الكريمة إلى الشكل الحقيقي للجبل وجذره الخفي الممتد أسفل منه وذلك في هاتين الكلمتين الواضحتين،
و هذه الجذور هي التي مكنت الجبال من الانتصاب على القشرة الأرضية وهو أمر كان موضع عناية القرآن الكريم حين قال الله تعالى :
(أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝ وَإِلَى الجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ)
{الغاشية: 17 ـ 19.

شكل رقم (2) صورة توضح أثر التعرية في تآكل وتفتيت قمم الجبال (جبل أبو همر بشمال الصحراء الشرقية) وتساقط هذا الفتات في الأودية

و مع تطور العلوم انتقل موضوع جذور الجبال من المرحلة النظرية إلى

واقعٍ ملموسٍ بفضل من الله وبمعرفة تركيب الأرض الداخلي عن طريق القياسات السايزمية التي كشفت أن القشرة الأرضية الصلبة التي نعيش عليها لا تمثل إلا طبقة رقيقة جدا قياسا بما تحتها من طبقات أخرى أعلى كثافة منها وهى الوشاح) Mantle كثافته 3.3)،

ثم عرف الدارسون لعلم الأرض والجبال حقيقة اتزان القشرة الأرضية Isostasyرغم ما تحمله من جبال وتلال ووديان

و أن هذا الاتزان لا يتم إلا من خلال امتدادت من مادة القشرة داخل نطاق الوشاح والتي لا يمكن أن تمثل عمليا إلا بدور الأوتاد في تثبيت الخيمة على سطح الأرض لضمان ثباتها وعدم اضطرابها وهذه الامتدادت (الجذور) تحت السطحية تتناسب طرديا مع ما يعلو الأرض من تراكيب فهي جذور ضحلة في حالة المنخفضات وعميقة في حالة الجبال العالية لكي يحدث الاستقرار على هذه الأرض الذي أشار إليه القرآن (قَرَارًا) في قوله تعالى

(أَمَّن جَعَلَ الأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ)

{النمل: 61)،

و إلى هذا الاتزان وعدم الاضطراب أشار كتاب الله ـ عز وجل ـ في أكثر من عشر آيات بلفظ (رواسي) أى إرساء الأرض بالجبال بإيجازه المعجز قبل ما يزيد عن أربعة عشر قرنا من الزمان عندما قال تعالى} :

(وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)

{النحل: 15}

(وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ)

{الحجر: 19 }

(وَهُوَ الَّذِى مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِىَ وَأَنْهَارًا...)

{الرعد: 3}

(وَجَعَلْنَا فِى الأَرْضِ رَوَاسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلاً لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ)

{الأنبياء: 31 }

(وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِىَ مِن فَوْقِهَا) {فصلت: 10 }

(وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِىَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا) {المرسلات:27 }

(وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِىَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ) {ق: 7 }

(خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِى الأَرْضِ رَوَاسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ

{لقمان:10}

مشيرا إلى ما خفي على الإنسان من دور ووظيفة الجبال في ثبات واستقرار الأرض لتصبح صالحة للعمران ويعيش عليها هذا الإنسان ليعمرها كما أنها وسيلة لتثبيت الأرض في دورانها حول محورها أمام الشمس .

شكل رقم(3) منظر عام لجبل السكري بجنوب الصحراء الشرقية

22-م16-ص437

والمشهور بتواجد الذهب فيه وبه أحد المناجم المعروفة في مصر
شكل رقم (4) شكل توضيحي يبين ملتقى الصفائح الصخريةالتي يولد تصادمها تجعدات تكون الجبال والمنخفضات

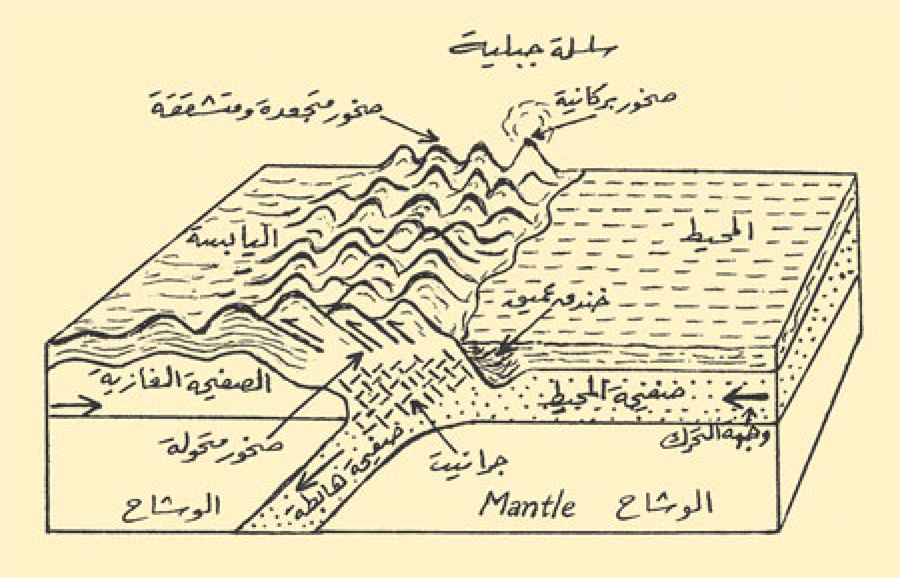

شكل رقم (5) صورة تبين قدرة الله عز وجل في خروج الماء من الصخور الصماء في بئر أم عنب بشمال الصحراء الشرقية المصرية

وبعد بروز الجبال وانتصابها إلى أعلى تبدأ عوامل التعرية في تآكل قممها (شكل (2)

و تستمر هذه العملية حتى يخرج الوتد من الطبقة شبه المنصهرة

و تظهر هذه الأوتاد وما بها من خيرات وثروات طبيعية لا تتكون إلا تحت ظروف عالية من التحول الضغط و الحرارة

و يظهر الشكل رقم (3)صورة لأحد هذه الجبال جبل السكري بالصحراء المصرية)

والذي يحتوي بداخله أحد مناجم الذهب المعروفة في مصر.

وحينما تتكون الجبال فإنها تتكون عند حواف القارات لتثبيت مادة القارات في قيعان البحار والمحيطات

(مثل سلاسل جبال البحر الأحمر التي تمتد عبر الصحراء الشرقية المصرية والسودان وأثيوبيا)

وحينما يتسع قاع المحيط نجد أن هناك خندقاً عميقاً جداً Trench zone يتكون عند التقاء قاع المحيطات بالقارة

حيث تتجمع في هذا الخندق العميق كميات كبيرة من الصخور الرسوبية

و حينما ينزل قاع المحيط فان هذه الرسوبيات تنصهر بسبب الارتفاع الشديد في درجة الحرارة فيساعد على النشاط البركاني الذي يؤدى إلى تكوين الجزر البركانية المندفعة عبر صدوع قيعان البحار والمحيطات Volcanic Islands شكل (4)

بالإضافة إلى تكوين متداخــلات نارية،

لذلك نجـد نشاطا غريبا بين الصخور بأنواعها الثلاثة النارية والرسوبية والمتحولة نتيجة لهذه الحركة فتتكون في النهاية السلسلة الجبلية

كما تظهر في الشكل السابق (4)

و التي تغرس مادة القارة في مادة قاع المحيط حتى تتوقف الحركة بالكامل

وإلى هذا أشار كلام الله الذي نزل على رسوله ـ ﷺ ـ في قوله تعالى:-

(وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا * مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ)

{النازعات 32،33}

أي إن الله ـ عز وجل ـ فعل ذلك كله فأنبع العيون وأجرى الأنهار منفعة للعباد وتحقيقا لمصالحهم ومصالح أنعامهم ومواشيهم

﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ﴾

{لبقرة:74}

أي تتدفق منها الأنهار الغزيرة ومنها ما يتصدع إشفاقا من عظمة الله فينبع منها الماء،

و في الشكل رقم (5) منظر للماء الخارج من وسط الحجارة الصلبة الصماء في بئر أم عنب (جنوب غرب مدينة الغردقة ـ البحر الأحمر)

مع أن هذه الصخور غير مسامية وغير منفذة

و لكن هي قدرة الخالق العظيم الذي يقول للشيء كن فيكون

﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾

أي ومن الحجارة ما يتفتت و يتردى من رءوس الجبال من خشية الله

فالحجارة المكونة لهذه الجبال تلين و تخشع

و ذهب بعض المفسرين إلى أن الخشية هنا حقيقة

و أن الله تعالى جعل لهذه الأحجار خشية بقدرها

(كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون)،

فقد سخر الله الجبال مع سيدنا داود ـ عليه السلام ـ بالتسبيح حيث قال تعالى:-

﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾

{الأنبياء: 79)،

قدم ذكر الجبال على الطير لأن تسخيرها و تسبيحها أعجب و أغرب و أدخل في الإعجاز لأنها جماد، وفى آية أخرى يقول الله عز وجل:-

(إِنَّا سَخَّرْنَا الجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِ وَالإِشْرَاقِ)

{ص: 18}

أي سخر الله الجبال لداود ـ عليه السلام ـ تسبح معه في المساء و الصباح

و كان تسبيحها معجزة له، و في ترديدها لتسبيح هذا النبي

(وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الحَدِيدَ)

{سبأ:10}

أي قلنا يا جبال سبحي معه و رجعي التسبيح إذا سبح .

و في الجبال تصوير لعظمة قدر القرآن و قوة تأثيره

و أنه بحيث لو خوطب به جبل ـ على شدته و صلابته ـ

لرأيته ذليلا متصدعا من خشية الله يتضح هذا في قوله تعالى :

(لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْءَانَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُون)

{الحشر:21}

فإذا كان الجبل على عظمته و تصلبه يعرض له الخشوع و التصدع

فابن آدم كان أولى بذلك لكن على حقارته و ضعفه لا يتأثر

بل يعرض عما فيه من عجائب وعظائم،

فعندما تأثر الأوائل من المسلمين بهذا القرآن

و خشعوا تبوءوا موقع القيادة و الريادة لبقية الأمم

و ما كانوا كذلك إلا عندما كانوا على صلة بالله عبادةً و فهمًا

فأنار لهم ظلام الطريق ويسر لهم سبل الهداية،

أما عندما ابتعدنا وغفونا ضعنا وأضعنا معنا بقية الأمم

وأصبح حالنا حال الأيتام على مائدة اللئام نتطفل على حضارات غيرنا نأخذ منها كل مخلوط وباق فهل من عودة إلى مواقع الريادة والقيادة كما كنا، لن يكون ذلك إلا من خلال دعوة صادقة إلى العودة إلى رحاب الله، إلى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة نقتبس من معينهما ونهتدي بهداهما.

شكل رقم (6): صورة تبين الثني (Folding) للجبال نتيجة الحركة الجانبية والتورق(Foliation) الذي يميز الصخور المتحولة بجبل معتيق وسط الصحراء الشرقية المصرية

شكل رقم (7) منظر عام يوضح أثر الحركات الرأسية في شكل الجبال من تصدع وكسور وتشققات رأسية

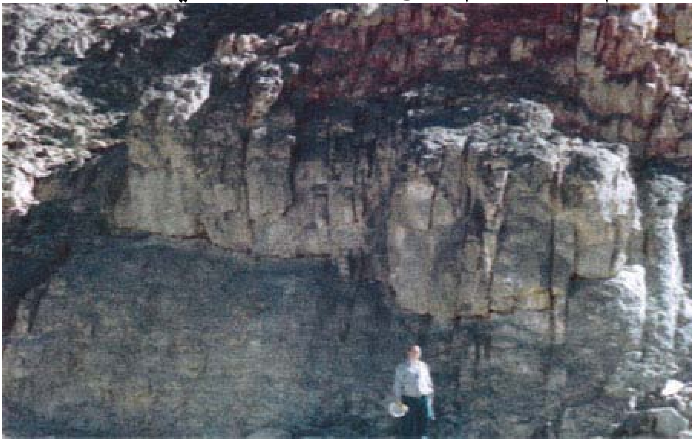

أما عن حركة الجبال فهي دائمة الحركة ليست ثابتة في مكانها و واقفة كما يراها الناس فهي تتحرك حركة جانبية بالطي و الثني

فنرى هناك جبال مطوية ومنثنية
Folded mountain regionsكما يظهر في شكل رقم (6)
الذي يوضح الثني الذي تتعرض له الصخور المكونة للجبال
ويشوه تورقهاFoliatio ،
وهناك حركة رأسية للجبال بالتصدع وبالدفع من أسفل إلى أعلى بواسطة مختلف قوى الأرض الداخلية
ويظهر آثار هذه الحركات الرأسية في شكل الجبال في الصورة التي نراها رقم (7)
حيث تظهر الكسور و التشققات الرأسية و المائلة في الصخور الصلبة المكونة لجبال البحر الأحمر وإلى هذه الحركة أشار المولى ـ تبارك وتعالى ـ
في الوحي المنزل على خاتم الرسل حيث قال تعالى :-
(وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ)
{النمل:88}
فهي تتحرك جانبيا و رأسيا
و هذا هو صنع الله البديع الذي أحكم كل شيء خلقه
و أودع فيه من الحكمة ما أودع
و الآية تشير أيضا إلى دوران الأرض حول محور الشمس لأن الجبال جزء من الأرض.
شكل رقم (8): صورة تبين الألوان المتعددة في الجبل الواحد
جبل خشب بجنوب الصحراء الشرقية المصرية والقواطع السوداء التي تخترقه

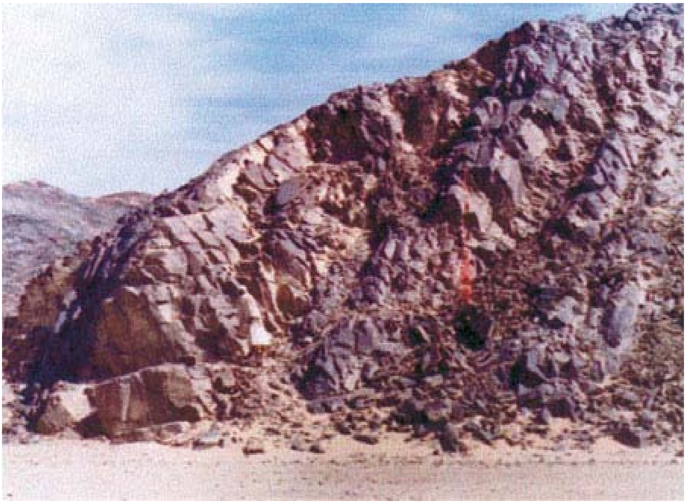

كذلك يتحدث القرآن الكريم عن تكوين الجبال من الجدد وهى شكل من أشكال الصخور النارية وهذه الجدد لها ألوان متعددة

فنرى منها الأبيض و الأحمر المتعدد الدرجات و الأسود،

كما هو واضح بالشكل رقم (8) لجبل خشب بجنوب الصحراء الشرقية المصرية حيث اللون الأحمر الفاتح والرمادي والبني في الجبل والقواطع السوداء التي تخترقه

و كل هذه الألوان المختلفة تعكس الألوان الأساسية للمعادن الرئيسية المكونة لصخور القشرة الأرضية

و التي تعكس بدورها التركيب الكيميائي لهذه المعادن

و فى ذلك يقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾

{فاطر:27}

هذه لفتة كونية عجيبة إلى ألوان الجبال و الصخور و تنوعها داخل اللون الواحد من

(بيض مختلفة البياض وحمر مختلفة في حمرتها وسود شديدة السواد)

22-م16-ص437

تهز القلب هزا وتوقظ فيه حاسة الذوق الجمالي العالي بما يستحق النظر والالتفات في هذا الكتاب الكوني الجميل الصفحات العجيب في التكوين و التلوين فسبحان القادر على كل شيء.

وعن فناء هذه الجبال الصلبة القوية الشامخة

فالذي بناها وأرساها و هو الله الخالق لها قادر على أن يفنيها و يسويها كالأرض،

لذلك كانت الجبال موضع سؤال المجرمين يوم القيامة عن حالها

(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا* فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا* لا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلا أَمْتًا)

(طه: 105 ـ 107)

سبحان القادر العظيم إن ربى يفتتها كالرمل

ثم يرسل عليها الرياح فيطيرها وتصير كالصوف المنتثر المتطاير تتفرق أجزاؤها في الجو

(وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ)

{القارعة: 5)

تنبيها على أن تلك القارعة (اسم من أسماء القيامة) أثرت في الجبال العظيمة الصلبة حتى تصير كالصوف المندوف مع كونها غير مكلفة فكيف حال الإنسان الضعيف المقصود بالتكليف والحساب،

و يتركها أرضا ملساء مستوية لا نبات فيها ولا بناء ولا ترى فيها انخفاضا و لا ارتفاعا هذا هو حالها الاستواء بعد البناء وبعد العوج

(الذي كان يمثل الطي الشديد)

فتصبح مساوية بالأرض لا بروز فيها و تنتهي مثل باقي المخلوقات من نبات وحيوان وإنسان ولا يبقى إلا وجه الله عز وجل ـ

22-م16-ص437

(كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ◉ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلالِ وَالإِكْرَامِ)

{الرحمن:27،26}.

فالحمد لله الذي عرفنا آياته و بعض أسرار كونه

(وَقُلِ الحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا)

{النمل: 93)

فالعلم الصحيح لم ولن يتعارض أبدا والدين الصحيح
و سيكون العلم في عصرنا والعصور القادمة برهانا ساطعا على صدق الوحي
وسيشهد العلماء قبل غيرهم بهذا كما قال الحق سبحانه:

{وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ الَّذِى أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الحَقَّ وَيَهْدِى إِلَى صِرَاطِ العَزِيزِ الحَمِيدِ}

{سبأ: 6}

و ستتجلى آيات الله في الأفاق
حتى يتبين للناس أن الذي أنزل على محمد ﷺ هو الحق .

رجوع

المراجع:

المراجع الدينية:

1ـ القرآن الكريم
2ـ صفوة التفاسير د. محمد علي الصابوني، دار الرشيد، سوريا ـ حلب.
3ـ قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن.

المراجع العلمية :

1ـ الجيولوجيا الطبيعية.
2ـ روجر ميسن: علم الصخور المتحولة، ترجمة د. رافد العبيدي ـ جامعة الموصل، العراق، 1987م.
3ـ قاموس الجيولوجيا (1980م)، الطبعة الثانية، المعهد الجيولوجي الأمريكي، فيرجينيا.
4ـ هارون أحمد محمد (1994م): الصخور المتحولة لسلسلة جبال الجانال، كمشاتكا. رسالة دكتوراه، جامعة موسكو، روسيا .
5ـ هارون أحمد محمد و ف. ى. فيلدمان (1998م): ظروف تكوين الصخور المتحولة لسلسلة جبـــال

الجانال (كمشاتكا). المجلة العلمية لجامعة موسكو ـ سلسلة 4 (جيولوجيا)، العدد الثاني.
6ـ هارون أحمد محمد ومحمد صابر عبد الغني ومحمود المحلاوي وشحاتة علي شحاتة 2003 : انطباعات عن أصل الصخور الجرانيتويدية لجبل أبو همر بشمال الصحراء الشرقية، مصر. المؤتمر الدولي الثالث عن جيولوجية أفريقيا، المجلد الأول. أسيوط ـ مصر.
7ـ محمد صابر عبد الغني وهارون أحمد محمد ومحمود المحلاوي وشحاتة علي شحاتة 2004 : بترولوجيا وجيوكيمياء الصخور الجرانيتويدية لجبل أبو همر بشمال الصحراء الشرقية، مصر. المؤتمر الدولي السادس للجيوكيمياء، جامعة الإسكندرية، المجلد الأول(I-A) ، صفحة (125ـ 145) ـ مصر.
8ـ هارون أحمد محمد (2005): بترولوجيا جبل أم اراكا: مثال للجرانيتات الكلسي ـ قلوية المكسرة للعصر البروتيروزوي المتأخر في الدرع النوبي الشمالي. المؤتمر الدولي الرابع عن جيولوجية أفريقيا، المجلد الأول.أسيوط مصر.

وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ
لَخَبِيرُۢ بَصِيرٞ ٣١ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ
فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ
ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ٣٢ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ
أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ٣٣ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ
عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ٣٤ ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ
لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ ٣٥ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ
لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ
كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ ٣٦ وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا
نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ
وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ٣٧
إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيۡبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ
إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٣٨
وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ
لَخَبِيرُۢ بَصِيرٞ ٣١ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ

فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ

بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ٣٢

جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ

وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ٣٣ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ

إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ٣٤ ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا

نَصَبٞ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ ٣٥

(وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ)

يذكر تعالى أن الكتاب الذي أوحاه إلى رسوله

(هُوَ ٱلۡحَقُّ)

من كثرة ما اشتمل عليه من الحق، كأن الحق منحصر فيه،

فلا يكن في قلوبكم حرج منه، و لا تتبرموا منه، و لا تستهينوا به،

فإذا كان هو الحــــــــــق:-

لـــــــــــزم أن كل ما دل عليه من المسائل الإلهية و الغيبية و غيرها،

مطابق لما في الواقع،

فلا يجوز أن يراد به ما يخالف ظاهره و ما دل عليه.

(مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ)

من الكتب و الرسل، لأنها أخبرت به،

○فلما وجد و ظهر، ظهر به صدقها.

فهي بشرت به و أخبرت، و هو صدقها،

○و لهذا لا يمكن أحدا أن يؤمن بالكتب السابقة، و هو كافر بالقرآن أبدا،

لأن كفره به، ينقض إيمانه بها،

لأن من جملة أخبارها الخبر عن القرآن،

و لأن أخبارها مطابقة لأخبار القرآن.

(إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٌ)

فيعطي كل أمة و كل شخص، ما هو اللائق بحاله.

و من ذلك، أن الشرائع السابقة لا تليق إلا بوقتها و زمانها

○و لهذا، ما زال اللّه يرسل الرسل رسولا بعد رسول،

حتى ختمهم بمحمد ﷺ، فجاء بهذا الشرع،

الذي يصلح لمصالح الخلق إلى يوم القيامة،

و يتكفل بما هو الخير في كل وقت.

○و لهذا، لما كانت هذه الأمة أكمل الأمم عقولا و أحسنهم أفكارا،

و أرقهم قلوبا، و أزكاهم أنفسا، اصطفاهم الله تعالى،

و اصطفى لهم دين الإسلام، و أورثهم الكتاب المهيمن على سائر الكتب،

و لهذا قال: (ثُمَّ أَوْرَثْنَا)

***الميسر:ثم أعطينا -بعد هلاك الأمم-**

(ٱلۡكِتَٰبَ)

القرآن

(ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ)

مَن اخترناهم من أمة محمد ﷺ

و هم هذه الأمة.

(فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ)

بالمعاصي، التي هي دون الكفر.

***الْمُفَرِّطُ فِي فِعْلِ بَعْضِ الْوَاجِبَاتِ، الْمُرْتَكِبُ لِبَعْضِ الْمُحَرَّمَاتِ

***رُوِيَ عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ:-

أَنَّ الظَّالِمَ لِنَفْسِهِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنَ الْمُصْطَفَيْنَ،

عَلَى مَا فِيهِ مِنْ عِوَجٍ وَ تَقْصِيرٍ.

(وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ)

مقتصر على ما يجب عليه، تارك للمحرم

***وَ قَدْ يَتْرُكُ بَعْضَ الْمُسْتَحَبَّاتِ، وَ يَفْعَلُ بَعْضَ الْمَكْرُوهَاتِ

(وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ)

أي: سارع فيها و اجتهد، فسبق غيره،

و هو المؤدي للفرائض، المكثر من النوافل، التارك للمحرم و المكروه.

***وَ هُوَ: الْفَاعِلُ لِلْوَاجِبَاتِ وَ الْمُسْتَحَبَّاتِ،

التَّارِكُ لِلْمُحَرَّمَاتِ وَ الْمَكْرُوهَاتِ وَ بَعْضِ الْمُبَاحَاتِ.

	الواجبات	المستحبات	المباحات	المحرمات	المكروهات
سابق للخيرات	فاعل	مكثر	تارك لبعضها	تارك	تارك
مقتصد	فاعل	تارك لبعضها		تارك	فاعل لبعضها
ظالم لنفسه	مفرط	مفرط		فاعل لبعضها	فاعل لبعضها

فكلهم اصطفاه اللّه تعالى، لوراثة هذا الكتاب،

و إن تفاوتت مراتبهم، و تميزت أحوالهم،

فلكل منهم قسط من وراثته، حتى الظالم لنفسه،

فإن ما معه من أصل الإيمان، و علوم الإيمان، و أعمال الإيمان، من وراثة الكتاب،

لأن المراد بوراثة الكتاب، وراثة علمه و عمله، و دراسة ألفاظه، و استخراج معانيه.

و قوله (بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ)

راجع إلى السابق إلى الخيرات، لئلا يغتر بعمله،

بل ما سبق إلى الخيرات إلا بتوفيق اللّه تعالى و معونته،

فينبغي له أن يشتغل بشكر اللّه تعالى على ما أنعم به عليه.

(ذَٰلِكَ)

أي: وراثة الكتاب الجليل، لمن اصطفى تعالى من عباده

(هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ)

الذي جميع النعم بالنسبة إليه، كالعدم،

فأجل النعم على الإطلاق، و أكبر الفضل، وراثة هذا الكتاب.

ثم ذكر جزاء الذين أورثهم كتابه فقال: (جَنَّٰتُ)

أي: جنات مشتملات على الأشجار، و الظل، و الظليل، و الحدائق الحسنة،

و الأنهار المتدفقة، و القصور العالية، و المنازل المزخرفة، في أبد لا يزول،

و عيش لا ينفد.

و الـــــــــ(عَدۡنٖ) « الإقامة » فجنات عدن أي:

جنـــــــــات إقـــــــــامة،

أضافها للإقامة، لأن الإقامة و الخلود وصفها و وصف أهلها.

(يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ)

و هو الحلي الذي يجعل في اليدين، على ما يحبون،

و يرون أنه أحسن من غيره، الرجال و النساء في الحلية في الجنة سواء.

(وَ)

يحلون فيها

(وَلُؤۡلُؤٗاۖ)

ينظم في ثيابهم و أجسادهم.

***صحيح مسلم

(250) عَنْ أَبِي حَازِمٍ، قَالَ:

كُنْتُ خَلْفَ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَ هُوَ يَتَوَضَّأُ لِلصَّلَاةِ

فَكَانَ يَمُدُّ يَدَهُ حَتَّى تَبْلُغَ إِبْطَهُ

فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا هَذَا الْوُضُوءُ؟

فَقَالَ: يَا بَنِي فَرُّوخَ أَنْتُمْ هَاهُنَا؟

لَوْ عَلِمْتُ أَنَّكُمْ هَاهُنَا مَا تَوَضَّأْتُ هَذَا الْوُضُوءَ،

سَمِعْتُ خَلِيلِي ﷺ يَقُولُ: «تَبْلُغُ الْحِلْيَةُ مِنَ الْمُؤْمِنِ، حَيْثُ يَبْلُغُ الْوَضُوءُ»

(وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ)

من سندس، و من إستبرق أخضر.

***وَ لِهَذَا كَانَ مَحْظُورًا عَلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا، فَأَبَاحَهُ اللَّهُ لَهُمْ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ،

***صحيح البخاري

5832 - عن أَنَس بْنَ مَالِكٍ، قَالَ شُعْبَةُ:

فَقُلْتُ: أَعَنِ النَّبِيِّ ﷺ؟

فَقَالَ شَدِيدًا: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ

فَقَالَ: «مَنْ لَبِسَ الحَرِيرَ فِي الدُّنْيَا فَلَنْ يَلْبَسَهُ فِي الآخِرَةِ»

○(و) لما تم نعيمهم، و كملت لذتهم

(وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ)

و هذا يشمل كل حزن، فلا حزن يعرض لهم بسبـــــــب نقص فـــــي:-

1-جمالهـــــــم،

2-و لا في طعامهم و شرابهم،

3-و لا في لذاتهم و لا في أجسادهم،

4-و لا في دوام لبثهم، فهم في نعيم ما يرون عليه مزيدا،

و هو في تزايد أبد الآباد.

***وَ هُوَ الْخَوْفُ مِنَ الْمَحْذُورِ، أَزَاحَهُ عَنَّا،
وَ أَرَاحَنَا مِمَّا كُنَّا نَتَخَوَّفُهُ، وَ نَحْذَرُهُ مِنْ هُمُومِ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ.

(إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ)

حيث غفر لنا الزلات

(شَكُورٌ)

حيث قبل منا الحسنات و ضاعفها،

و أعطانا من فضله ما لم تبلغه أعمالنا و لا أمانينا،

فبمغفرته نجوا من كل مكروه و مرهوب،

و بشكره و فضله حصل لهم كل مرغوب محبوب

(ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا)

أي: أنزلنا نزول حلول و استقرار، لا نزول معبر و اعتبار.

(دَارَ ٱلْمُقَامَةِ)

أي: الدار التي تدوم فيها الإقامة،و الدار التي يرغب في المقام فيها،

لـــــــكثرة خيراتها، و توالي مسراتها، و زوال كدوراتها،

و ذلك الإحلال ﴿مِن فَضۡلِهِۦ﴾

علينا و كرمه، لا بأعمالنا، فلولا فضله، لما وصلنا إلى ما وصلنا إليه.

***لَمْ تَكُنْ أَعْمَالُنَا تُسَاوِي ذَلِكَ. كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ

***صحيح البخاري

5673 عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:
«لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الجَنَّةَ»
قَالُوا: وَ لاَ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟
قَالَ:-" لاَ، وَ لاَ أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِفَضْلٍ وَ رَحْمَةٍ، فَسَدِّدُوا وَ قَارِبُوا،
وَ لاَ يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ المَوْتَ: -
إِمَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَزْدَادَ خَيْرًا،
وَ إِمَّا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعْتِبَ "

﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾

أي: لا تعب في الأبدان و لا في القلب و القوى،و لا في كثرة التمتع،

﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾

*الميسر:اعياء

○و هذا يدل على أن اللّه تعالى يجعل أبدانهم في نشأة كاملة،

و يهيئ لهم من أسباب الراحة على الدوام، ما يكونون بهذه الصفة

بحيث لا يمسهم نصب و لا لغوب، و لا هم و لا حزن.

و يدل على أنهم لا ينامون في الجنة:-

1-لأن النوم فائدته زوال التعب، و حصول الراحة به،

و أهل الجنة بخلاف ذلك،

2-و لأنه موت أصغر، و أهل الجنة لا يموتون،

جعلنا اللّه منهم، بمنه و كرمه.

***و النصَب وَ اللُّغُوبُ:-

كُلٌّ مِنْهُمَا يُسْتَعْمَلُ فِي التَّعَبِ،
وَ كَأَنَّ الْمُرَادَ يَنْفِي هَذَا
وَ هَذَا عَنْهُمْ أَنَّهُمْ لَا تَعَبَ عَلَى أَبْدَانِهِمْ وَ لَا أَرْوَاحِهِمْ ، وَ اللَّهُ أَعْلَمُ.
فَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا يُدْئِبُون أَنْفُسَهُمْ فِي الْعِبَادَةِ فِي الدُّنْيَا،
فَسَقَطَ عَنْهُمُ التَّكْلِيفُ بِدُخُولِهَا، وَ صَارُوا فِي رَاحَةٍ دَائِمَةٍ مُسْتَمِرَّةٍ،
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:-{كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ}[الْحَاقَّةِ: 24]

وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ
عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ ٣٦ وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ
صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ
وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ٣٧

لما ذكر تعالى حال أهل الجنة و نعيمهم،ذكر حال أهل النار و عذابهم

فقال:-(وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ)

حال الكفار فى جهنم و مناقشتهم فى عقائدهم 31-43

أي: جحدوا ما جاءتهم به رسلهم من الآيات، و أنكروا لقاء ربهم.

(لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ)

يعذبون فيها أشد العذاب، و أبلغ العقاب.

(لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ)

بالموت

(فَيَمُوتُوا)

فيستريحوا،

***كَمَا قَالَ تَعَالَى:-{لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا} [طه: 74]
وَ ثَبَتَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ:-
صحيح مسلم
(185) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:
أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا، فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَ لَا يَحْيَوْنَ،
وَ لَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ
قَالَ:"أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا، فَلَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَ لَا يحيون".

قال الله تعالى:{وَنَادَوْا يَامَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ}
[الزُّخْرُفِ: 77] .
فَهُمْ فِي حَالِهِمْ ذَلِكَ يَرَوْنَ مَوْتَهُمْ رَاحَةً لَهُمْ،
وَ لَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى ذَلِكَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

{لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا}

كَمَا قَالَ تَعَالَى:{إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ} [الزُّخْرُفِ: 74، 75]

وَ قَالَ{كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا} [الْإِسْرَاءِ: 97]

{فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلا عَذَابًا} [النَّبَأِ: 30] .

(وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَاۚ)

فشدة العذاب و عظمه، مستمر عليهم في جميع الآنات و اللحظات.

(كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ)

***هَذَا جَزَاءُ كُلِّ مَنْ كَفَرَ بِرَبِّهِ وَ كَذَّبَ بِالْحَقِّ.

(وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا)

أي: يصرخون و يتصايحون و يستغيثون و يقولون: -

(رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُۚ)

فاعترفوا بذنبهم، و عرفوا أن اللّه عدل فيهم،

و لكن سألوا الرجعة في غير وقتها،

***وَ قَدْ عَلِمَ الرَّبُّ، جَلَّ جَلَالُهُ، أَنَّهُ لَوْ رَدَّهُمْ إِلَى الدَّارِ الدُّنْيَا، لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ، وَ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ.

فَلِهَذَا لَا يُجِيبُهُمْ إِلَى سُؤَالِهِمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْهُمْ فِي قَوْلِهِمْ:

{فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا} [غَافِرٍ: 11، 12]

أَيْ:-لَا يُجِيبُكُمْ إِلَى ذَلِكَ لِأَنَّكُمْ كُنْتُمْ كَذَلِكَ

22-م17-ص438

وَ لَوْ رُدِدْتُمْ لَعُدْتُمْ إِلَى مَا نَهَيْتُمْ عَنْهُ؛

فيقال لهم: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم ﴾

أي: دهرا و عمرا

﴿مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾

أي: يتمكن فيه من أراد التذكر من العمل،

متعناكم في الدنيا،

و أدررنا عليكم الأرزاق،

و قيضنا لكم أسباب الراحة،

و مددنا لكم في العمر،

و تابعنا عليكم الآيات،

و أوصلنا إليكم النذر،

و ابتليناكم بالسراء و الضراء، لتنيبوا إلينا و ترجعوا إلينا

○فلم ينجع فيكم إنذار،

و لم تفد فيكم موعظة،

و أخرنا عنكم العقوبة،

حتى إذا انقضت آجالكم، و تمت أعماركم،

و رحلتم عن دار الإمكان، بأشر الحالات،

و وصلتم إلى هذه الدار دار الجزاء على الأعمال، سألتم الرجعة؟

هيهات هيهات، فات وقت الإمكان،

و غضب عليكم الرحيم الرحمن،

و اشتد عليكم عذاب النار، و نسيكم أهل الجنة

فامكثوا فيها خالدين مخلدين،

و في العذاب مهانين

***صحيح البخاري

6419 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ

قَالَ: «أَعْذَرَ اللَّهُ إِلَى امْرِئٍ أَخَّرَ أَجَلَهُ، حَتَّى بَلَّغَهُ سِتِّينَ سَنَةً»

***سنن الترمذي ت شاكر

3550 -عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«أَعْمَارُ أُمَّتِي مَا بَيْنَ السِّتِّينَ إِلَى السَّبْعِينَ، وَ أَقَلُّهُمْ مَنْ يَجُوزُ ذَلِكَ»

*** صحيح البخاري

4466 - عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

«أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تُوُفِّيَ وَ هُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَ سِتِّينَ»

(وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ)

وَ قَالَ السُّدِّيّ: يَعْنِي بِهِ الرَّسُولَ ﷺ

وَ قَرَأَ ابْنُ زَيْدٍ:{هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الأولَى} [النَّجْمِ: 56] .

وَ هَذَا هُوَ الصَّحِيحُ عَنْ قَتَادَةَ، فِيمَا رَوَاهُ شَيْبَانُ، عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ:-

احْتَجَّ عَلَيْهِمْ بِالْعُمُرِ وَ الرُّسُلِ.

وَ هَذَا اخْتِيَارُ ابْنِ جَرِيرٍ، وَ هُوَ الْأَظْهَرُ؛ لقوله تعالى:

{وَنَادَوْا يَامَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ} [الزُّخْرُفِ: 77، 78]

أَيْ: لَقَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْحَقَّ عَلَى أَلْسِنَةِ الرُّسُلِ،فَأَبَيْتُمْ وَ خَالَفْتُمْ، وَ قَالَ تَعَالَى:

{وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولا} [الْإِسْرَاءِ: 15]

وَ قَالَ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى:{كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نزلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلا فِي ضَلالٍ كَبِيرٍ} [الْمُلْكِ: 8، 9] .

○و لهذا قال: (فَذُوقُوا)

*** عذابَ النَّارِ جَزَاءً عَلَى مُخَالَفَتِكُمْ لِلْأَنْبِيَاءِ فِي مُدَّةِ أَعْمَارِكُمْ،

(فَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ)

ينصرهم فيخرجهم منها، أو يخفف عنهم من عذابها.

إِنَّ ٱللَّهَ عَـٰلِمُ غَيۡبِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٣٨﴾

لما ذكر تعالى جزاء أهل الدارين، و ذكر أعمال الفريقين:-

(إِنَّ ٱللَّهَ عَـٰلِمُ)

أخبر تعالى عن سعة علمه تعالى، و اطلاعه على

(غَيۡبِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ)

التي غابت عن أبصار الخلق و عن علمهم،

(إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ)

و أنه عالم بالسرائر و ما تنطوي عليه الصدور من الخير و الشر و الزكاء و غيره،

فيعطي كلا ما يستحقه، و ينزل كل أحد منزلته.

22-م17-ص438

هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ
عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ
ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا
إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ
وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾
وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ
فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾
ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ
فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ
تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟
أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ
إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾

هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ إِلَّا مَقۡتٗاۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ إِلَّا خَسَارٗا ٣٩

(هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ)

يخبر تعالى عن كمال حكمته و رحمته بعباده،

أنه قدر بقضائه السابق، أن يجعل بعضهم يخلف بعضا في الأرض،

و يرسل لكل أمة من الأمم النذر، فينظر كيف يعملون،

*** كَمَا قَالَ: {وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ} [النَّمْلِ:62]

(فَمَن كَفَرَ)

باللّه و بما جاءت به رسله،

(فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ)

فإن كفره عليه، و عليه إثمه و عقوبته،

و لا يحمل عنه أحد،

(وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ إِلَّا مَقۡتٗاۖ)

و لا يزداد الكافر بكفره إلا مقت ربه له و بغضه إياه،

و أي: عقوبة أعظم من مقت الرب الكريم؟!

***كُلَّمَا اسْتَمَرُّوا عَلَى كُفْرِهِمْ أَبْغَضُهُمُ اللَّهُ،

وَ كُلَّمَا اسْتَمَرُّوا فِيهِ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَ أَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،

بِخِلَافِ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّهُمْ كُلَّمَا طَالَ عُمُرُ أَحَدِهِمْ و حَسُنَ عَمَلُهُ:-

ارْتَفَعَتْ دَرَجَتُهُ وَ مَنْزِلَتُهُ فِي الْجَنَّةِ،
وَ زَادَ أَجْرُهُ وَأَحَبَّهُ خَالِقُهُ وَبَارِئُهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ،
فَسُبْحَانَ الْمُقَدِّرِ الْمُدَبِّرِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

(وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا)

***الجزائري:-هلاكاً في الآخرة**

أي: يخســــــــرون:-

1-أنفسهـــــــــم

2-و أهليهـــــــــم

3-و أعمالهـــــــم

4-و منازلهـــــــم في الجنة،

فالكافر لا يزال في زيادة من الشقاء و الخسران، و الخزي عند اللّه و عند خلقه و الحرمان.

قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ
أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ
بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾

يقول تعالى مُعجِّزًا لآلهة المشركين، و مبينا نقصها، و بطلان شركهم من جميع الوجوه.

(قُلْ)

يا أيها الرسول لهم:

(أَرَءَيۡتُمۡ)

أي: أخبروني عن

(شُرَكَآءَكُمُ)

***من الْأَصْنَامِ وَ الْأَنْدَادِ،

(ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ)

هل هم مستحقون للدعاء و العبادة،

فـــــــــ(مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ)

هل خلقوا بحرا أم خلقوا جبالا أو خلقوا حيوانا، أو خلقوا جمادا؟

سيقرون أن الخالق لجميع الأشياء، هو اللّه تعالى

(أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ)

أَمْ لشركائكم شِرْكَةٌ

(فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ)

في خلقها و تدبيرها؟

***لَيْسَ لَهُمْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ.

❍سيقولون: ليس لهم شركة.

فإذا لم يخلقوا شيئا، و لم يشاركوا الخالق في خلقه،

فلم عبدتموهم و دعوتموهم مع إقراركم بعجزهم؟

فانتفى الدليل العقلي على صحة عبادتهم، و دل على بطلانها.

ثم ذكر الدليل السمعي، و أنه أيضا منتف،

فلهذا قال: (أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا)

يتكلم بما كانوا به يشركون، يأمرهم بالشرك و عبادة الأوثان.

(فَهُمْ)

في شركهم

(عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُۚ)

من ذلك الكتاب الذي نزل عليهم في صحة الشرك؟

ليس الأمر كذلك؟

فإنهم ما نزل عليهم كتاب قبل القرآن،

و لا جاءهم نذير قبل رسول اللّه محمد ﷺ،

و لو قدر نزول كتاب إليهم، و إرسال رسول إليهم،

و زعموا أنه أمرهم بشركهم، فإنا نجزم بكذبهم، لأن اللّه قال:

(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِ)

فالرسل و الكتب، كلها متفقة على الأمر بإخلاص الدين للّه تعالى،

(وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ)

فإن قيل: إذا كان الدليل العقلي، و النقلي قد دلا على بطلان الشرك،

22-م18-ص439

فما الذي حمل المشركين على الشرك،و فيهم ذوو العقول و الذكاء و الفطنة؟

أجاب تعالى بقوله:-(بَلۡ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعۡضُهُم بَعۡضًا إِلَّا غُرُورًا)

***باطل و زور

أي: ذلك الذي مشوا عليه، ليس لهم فيه حجة،

فإنما ذلك توصية بعضهم لبعض به، و تزيين بعضهم لبعض،

و اقتداء المتأخر بالمتقدم الضال،

و أمانيّ مَنَّاها الشيطان،

و زين لهم سوء أعمالهم، فنشأت في قلوبهم،

و صارت صفة من صفاتها، فعسر زوالها،

و تعسر انفصالها،

فحصل ما حصل من الإقامة على الكفر و الشرك الباطل المضمحل.

إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ

وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤١﴾

(إِنَّ ٱللَّهَ)

يخبر تعالى عن كمال قدرته، و تمام رحمته، و سعة حلمه و مغفرته،

و أنه تعالى (يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ)

عن الزوال،

﴿أَن تَزُولَاۚ ﴾

***أَنْ تَضْطَرِبَا عَنْ أَمَاكِنِهِمَا

كَمَا قَالَ:{وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلا بِإِذْنِهِ} [الْحَجِّ: 65]

وَ قَالَ تَعَالَى:{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ} [الرُّومِ: 25]

﴿وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓۚ﴾

***لَا يَقْدِرُ عَلَى دَوَامِهِمَا وَ إِبْقَائِهِمَا إِلَّا هُوَ[لعجزه عن ذلك]

○فإنهما لو زالتا ما أمسكهما أحد من الخلق،

و لعجزت قدرهم و قواهم عنهما.

و لكنه تعالى، قضى أن يكونا كما وجدا،

ليحصل للخلق القرار، و النفع، و الاعتبار،

و ليعلموا من عظيم سلطانه و قوة قدرته،

ما به تمتلئ قلوبهم له إجلالا و تعظيما، و محبة و تكريما،

و ليعلموا كمال حلمه و مغفرته، بإمهال المذنبين،

و عدم معالجته للعاصين، مع أنه لو أمر السماء لحصبتهم،

و لو أذن للأرض لابتلعتهم،

و لكن وسعتهم مغفرته، و حلمه، و كرمه

﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾

***يَرَى عِبَادَهُ وَ هُمْ يَكْفُرُونَ بِهِ وَ يَعْصُونَهُ، وَ هُوَ يَحْلُمُ

فَيُؤَخِّرُ وَ يَنْظُرُ وَ يُؤَجِّلُ وَ لَا يَعْجَل، وَ يَسْتُرُ آخَرِينَ وَ يَغْفِرُ؛

***وَ قَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ بِأَنَّهُ:

{الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ}
[الْبَقَرَةِ:255]

وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ
فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ
وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ
فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾

(وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ)

أي و أقسم هؤلاء، الذين كذبوك يا رسول اللّه،

قسما اجتهدوا فيه بالأيمان الغليظة.

(لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ)

أي: أهدى من اليهود و النصارى أهل الكتب ،

فلم يفوا بتلك الإقسامات و العهود.

(فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ)

***وَ هُوَ: مُحَمَّدٌ ﷺ-بِمَا أُنْزِلَ مَعَهُ مِنَ الْكِتَابِ الْعَظِيمِ، وَ هُوَ الْقُرْآنُ الْمُبِينُ

○لم يهتدوا، و لم يصيروا أهدى من إحدى الأمم،

بل لم يدوموا على ضلالهم الذي كان،

بل ﴿مَّا زَادَهُمۡ ﴾

ذلك

﴿إِلَّا نُفُورًا ﴾

و زيادة ضلال و بغي و عناد.

○و ليس إقسامهم المذكور، لقصد حسن، و طلب للحق، و إلا لوفقوا له،

و لكنه صادر عن ﴿ٱسۡتِكۡبَارًا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾

على الخلق، و على الحق،و بهرجة (Î)في كلامهم هذا،

﴿وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّيِٕۚ ﴾

*الجزائري:-أي الشرك و المعاصي.

○يريدون به المكر و الخداع،

و أنهم أهل الحق، الحريصون على طلبه،

فيغتر به المغترون، و يمشي خلفهم المقتدون.

﴿وَلَا يَحِيقُ ﴾

*الجزائرى:- يحيط

﴿ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ﴾

باطل

22-م18-ص439

لذي مقصوده مقصود سيئ، و مآله و ما يرمي إليه سيئ باطل

(إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ)

فمكرهم إنما يعود عليهم،

و قد أبان اللّه لعباده في هذه المقالات و تلك الإقسامات،

أنهم كذبة في ذلك مزورون،

فاستبان خزيهم، و ظهرت فضيحتهم،

و تبين قصدهم السيئ،

فعاد مكرهم في نحورهم، و رد اللّه كيدهم في صدورهم.

(فَهَلۡ يَنظُرُونَ)

فلم يبق لهم

(إِلَّا)

انتظار ما يحل بهم من العذاب،

الذي هو (سُنَّتَ)

اللّه في

(ٱلۡأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ)

*الجزائري:أي فلا يبدل العذاب بغيره.

❍التي لا تبدل و لا تغير، أن كل من سار في الظلم و العناد و الاستكبار

على العباد، أن يحل به نقمته، و تسلب عنه نعمته

22-م18-ص439

فَلْيَتَرَّقب هؤلاء، ما فعل بأولئك.

***بل هي جارية كذلك في كل مُكَذِّبٍ

(وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا)

***الجزائري:-أي تحويل العذاب عن مستحقه إلى غير مستحقه.**

***{وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلا مَرَدَّ لَهُ} [الرَّعْدِ: 11]

وَ لَا يَكْشِفُ ذَلِكَ عَنْهُمْ، وَ يُحَوِّلُهُ عَنْهُمْ أَحَدٌ.

أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا ﴿٤٤﴾

(أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ)

يحض تعالى على السير في الأرض، في القلوب و الأبدان، للاعتبار،

لا لمجرد النظر و الغفلة،

اهلاك الكفار بعد امهالهم 44-45

و أن ينظروا إلى عاقبة الذين من قبلهم ممن كذبوا الرسل،

(وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۚ)

و كانوا أكثر منهم أموالا و أولادا و أشد قوة،

و عمروا الأرض أكثر مما عمرها هؤلاء،

فلما جاءهم العذاب، لم تنفعهم قوتهم،

و لم تغن عنهم أموالهم و لا أولادهم من اللّه شيئا،
و نفذت فيهم قدرة اللّه و مشيئته.

(وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ)
لكمال علمه و قدرته

(إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا)
***عَلِيمٌ بِجَمِيعِ الْكَائِنَاتِ، قَدِيرٌ عَلَى مَجْمُوعِهَا.

وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ
وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ
فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرَۢا ﴿٤٥﴾

سورة يس- بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يسٓ ﴿١﴾ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٤﴾
تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ فَهُمۡ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾
لَقَدۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَىٰٓ أَكۡثَرِهِمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا
فَهِيَ إِلَى ٱلۡأَذۡقَانِ فَهُم مُّقۡمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا
وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ
أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ
بِٱلۡغَيۡبِۖ فَبَشِّرۡهُ بِمَغۡفِرَةٖ وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ
وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ﴿١٢﴾

وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ
وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ
فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرَۢا ﴿٤٥﴾

ثم ذكر تعالى كمال حلمه، وشدة إمهاله وإنظاره أرباب الجرائم والذنوب،

فقال:–(وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ)

من الذنوب

(مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ)

أي: لاستوعبت العقوبة، حتى الحيوانات غير المكلفة.

***قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ:-عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود قَالَ:-

كَادَ الجَعْلُ أَنْ يُعَذَّبَ فِي جُحْره بِذَنْبِ ابْنِ آدَمَ،

ثُمَّ قَرَأَ:-{وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ} .

(وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ)

يمهلهم تعالى ولا يهملهم

***يُنْظرهُم

(إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۖ)

يَوْمِ الْقِيَامَةِ

(فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرَۢا)

فيجازيهم بحسب ما علمه منهم، من خير وشر.

تم تفسير سورة فاطر، والحمد للّه رب العالمين

تفسير سورة يـــــــــس –وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يسٓ ﴿١﴾ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٤﴾
تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ فَهُمۡ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾
لَقَدۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَىٰٓ أَكۡثَرِهِمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا
فَهِيَ إِلَى ٱلۡأَذۡقَانِ فَهُم مُّقۡمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا
وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ
أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ
بِٱلۡغَيۡبِۖ فَبَشِّرۡهُ بِمَغۡفِرَةٖ وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ
وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ﴿١٢﴾

القرآن منذر للمشركين و مبشر للمؤمنين 1-12

(يسٓ)

***قَدْ تَقدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى الْحُرُوفِ الْمُقَطَّعَةِ فِي أَوَّلِ "سُورَةِ الْبَقَرَةِ"،

ورُوي عَنِ عدد من أهل العلم:- أَنَّ (يسٓ) بِمَعْنَى: يَا إِنْسَانُ.

(وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ)

هذا قسم من اللّه تعالى بالقرآن الحكيم، الذي وصفه الحكمة:-

1-وهي وضع كل شيء موضعه،

2-وضع الأمر والنهي في الموضع اللائق بهما

3–ووضع الجزاء بالخير والشر في محلهما اللائق بهما،

فأحكامه الشرعية والجزائية كلها مشتملة على غاية الحكمة.

4–ومن حكمة هذا القرآن، أنه يجمع بين ذكر الحكم وحكمته،

فينبه العقول على المناسبات والأوصاف المقتضية لترتيب الحكم عليها.

(إِنَّكَ)

***يا محمد

(لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ)

هذا المقسم عليه، وهو رسالة محمد ﷺ، وإنك من جملة المرسلين،

فلست ببدع من الرسل،

وأيضا فجئت بما جاء به الرسل من الأصول الدينية،

وأيضا فمن تأمل أحوال المرسلين وأوصافهم،

وعرف الفرق بينهم وبين غيرهم، عرف أنك من خيار المرسلين،

بما فيك من الصفات الكاملة، والأخلاق الفاضلة.

ولا يخفى ما بين المقسم به، وهو القرآن الحكيم، وبين المقسم عليه،

و هو رسالة الرسول محمد ﷺمن الاتصال

وأنه لو لم يكن لرسالته دليل ولا شاهد إلا هذا القرآن الحكيم،

لكفى به دليلا وشاهدا على رسالة محمد ﷺ،

بل القرآن العظيم أقوى الأدلة المتصلة المستمرة على رسالة الرسول،

فأدلة القرآن كلها أدلة لرسالة محمد ﷺ.

ثم أخبر بأعظم أوصاف الرسول ﷺ، الدالة على رسالته،

وهو أنه ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسۡتَقِيمٍ﴾

معتدل، موصل إلى اللّه وإلى دار كرامته،

وذلك الصراط المستقيم، مشتمــــــــل على:-

1-وهي الأعمال الصالحة:-

المصلحة للقلب والبدن، والدنيا والآخرة،

2-والأخلاق الفاضلة، المزكية للنفس، المطهرة للقلب، المنمية للأجر،

○فهذا الصراط المستقيم، الذي هو وصف الرسول ﷺووصف دينه الذي جاء به،

فتأمل جلالة هذا القرآن الكريم،

كيف جمع بين القسم بأشرف الأقسام، على أجل مقسم عليه،

وخبر اللّه وحده كاف،

ولكنه تعالى أقام من الأدلة الواضحة والبراهين الساطعة في هذا الموضع على صحة ما أقسم عليه، من رسالة رسوله ما نبهنا عليه،

وأشرنا إشارة لطيفة لسلوك طريقه، وهذا الصراط المستقيم

﴿تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾

فهو الذي أنزل به كتابه، وأنزله طريقا لعباده، موصلا لهم إليه،

(ٱلۡعَزِيزِ)

فحماه بعزته عن التغيير والتبديل،

(ٱلرَّحِيمِ)

ورحم به عباده رحمة اتصلت بهم، حتى أوصلتهم إلى دار رحمته،

ولهذا ختم الآية بهذين الاسمين الكريمين:(ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ)

***كَمَا قَالَ تَعَالَى:-{وَإِنَّكَ لَتَهْدِى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِى لَهُ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ} [الشُّورَى:52، 53]

○فلما أقسم تعالى على رسالته وأقام الأدلة عليها،

ذكر شدة الحاجة إليها واقتضاء الضرورة لها

فقال:-(لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ فَهُمۡ غَٰفِلُونَ)

وهم العرب الأميون، الذيـــــــــــن:-

1-لم يزالوا خالين من الكتب، عادمين الرسل،

2-قد عمتهم الجهالة، وغمرتهم الضلالة،

3-وأضحكوا عليهم وعلى سفههم عقول العالمين،

فأرسل اللّه إليهم رسولا من أنفسهم، يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة،

وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين، فينذر العرب الأميين،

ومن لحق بهم من كل أمي،

ويذكر أهل الكتب بما عندهم من الكتب،

فنعمة اللّه به على العرب خصوصا، وعلى غيرهم عموما.

ولكن هؤلاء الذين بعثت فيهم لإنذارهم بعدما أنذرتهم، انقسموا قسمين:-

القســــــــم الأول:-

قسم رد لما جئت به، ولم يقبل النذارة،

وهم الذين قال اللّه فيهم (لَقَدۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ)

***لَقَدْ وَجَبَ الْعَذَابُ

(عَلَىٰٓ أَكۡثَرِهِمۡ)

بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ حَتَّمَ عَلَيْهِمْ فِي أُمِّ الْكِتَابِ

(فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ)

***أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ

- أي: نفذ فيهم القضاء والمشيئة، أنهم لا يزالون في كفرهم وشركهم،
- وإنما حق عليهم القول بعد أن عرض عليهم الحق فرفضوه،

فحينئذ عوقبوا بالطبع على قلوبهم.

وذكر الموانع من وصول الإيمان لقلوبهم،

فقال: (إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا فَهِيَ إِلَى ٱلۡأَذۡقَانِ)

وهي جمع « غل » و « الغل » ما يغل به العنق،

فهو للعنق بمنزلة القيد للرِجلِ

وهذه الأغلال التي في الأعناق عظيمة قد وصلت إلى أذقانهم

ورفعت رءوسهم إلى فوق،

(فَهُم مُّقۡمَحُونَ)

أي: رافعو رءوسهم من شدة الغل الذي في أعناقهم،

فلا يستطيعون أن يخفضوها.

***وَالْمُقْمَحُ:-

هُوَ الرَّافِعُ رَأْسَهُ، كَمَا قَالَتْ أُمُّ زَرْع فِي كَلَامِهَا:-

"وَأَشْرَبُ فأتقمَّح"( )أَشْرَبُ فَأُرْوَى، وَأَرْفَعُ رَأْسِي تَهْنِيئًا وتَرَوّيا

(إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا فَهِيَ إِلَى ٱلۡأَذۡقَانِ)

*إنا جعلنا هؤلاء الكفار الذين عُرض عليهم الحق فردُّوه،

وأصرُّوا على الكفر وعدم الإيمان، كمــــــن:-

جُعِل في أعناقهم أغلال،

فجمعت أيديهم مع أعناقهم تحت أذقانهم،

فاضطروا إلى رفع رؤوسهم إلى السماء

فهم مغلولون عن كل خير، لا يبصرون الحق ولا يهتدون إليه( )

(وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا)

أي: حاجزا يحجزهم عن الإيمان[و عــــن الحــــق]

(فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ)

البخاري5189

الميسر

22-م19-ص440

قد غمرهم الجهل والشقاء من جميع جوانبهم، فلم تفد فيهم النذارة.

(وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ)

وكيف يؤمن من طبع على قلبه، ورأى الحق باطلا والباطل حقا؟!

والقسم الثـــــــاني:-

الذين قبلوا النذارة،وقد ذكرهم بقوله: (إِنَّمَا تُنذِرُ)

أي: إنما تنفع نذارتك، ويتعظ بنصحك

(مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ)

***وَهُوَ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ

أي: من قصده اتباع الحق وما ذكر به،

(وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ)

أي: من اتصـــــف بهـــــذين الأمـــــرين:-

1-القصــــــد الحسن في طلب الحق،

2-وخشيــــــة اللّه تعالى،

فهم الذين ينتفعون برسالتكويزكون بتعليمك،

وهذا الذي وفق لهذين الأمرين

(فَبَشِّرۡهُ بِمَغۡفِرَةٖ)

لذنوبه،

(وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ)

لأعماله الصالحة، ونيته الحسنة.

*** كما قال:{إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ} [الْمُلْكِ: 12] .

(إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ)

أي: نبعثهم بعد موتهم لنجازيهم على الأعمال

***يَوْمَ الْقِيَامَةِ،
وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحْيِي قَلْبَ مَنْ يَشَاءُ مِنَ الْكُفَّارِ
الَّذِينَ قَدْ مَاتَتْ قُلُوبُهُمْ بِالضَّلَالَةِ،
فَيَهْدِيهِمْ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى الْحَقِّ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى بَعْدَ ذِكْرِ قَسْوَةِ الْقُلُوبِ:-{اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [الْحَدِيدِ: 17] .

(وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ)

من الخير والشر،

وهو أعمالهم التي عملوها وباشروها في حال حياتهم،

(وَءَاثَٰرَهُمۡۚ)

***أَحَدُهُمَا:-

نَكْتُبُ آثَارَهُمُ الَّتِي أَثَرُوهَا مِنْ بَعْدِهِمْ،

فَنَجْزِيهِمْ عَلَى ذَلِكَ أَيْضًا، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنَّ شَرًّا فَشَرٌّ،

○وهي آثار الخير وآثار الشر،
التي كانوا هم السبب في إيجادها في حال حياتهم وبعد وفاتهم،
وتلك الأعمال التي نشأت من أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم،
فكل خير عمل به أحد من الناس،
بسبب علم العبد وتعليمه ونصحه،
أو أمره بالمعروف،
أو نهيه عن المنكر،
أو علم أودعه عند المتعلمين
أو في كتب ينتفع بها في حياته وبعد موته،
أو عمل خيرا، من صلاة أو زكاة أو صدقة أو إحسان، فاقتدى به غيره،
أو عمل مسجدا،
أو محلا من المحال التي يرتفق بها الناس
وما أشبه ذلك، فإنها من آثاره التي تكتب له، وكذلك عمل الشر.
***صحيح مسلم
1017-قال النبى ﷺ:-
«مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ،
وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ»
○وهذا الموضع، يبين لك علو مرتبة الدعوة إلى اللّه والهداية إلى سبيله

22-م19-ص440

بكل وسيلة وطريق موصل إلى ذلك،

ونزول درجة الداعي إلى الشر الإمام فيه،

وأنه أسفل الخليقة، وأشدهم جرما، وأعظمهم إثما.

***وَالْقَوْلُ الثَّانِي: -

أَنَّ الْمُرَادَ بِذَلِكَ آثَارُ خُطَاهُمْ إِلَى الطَّاعَةِ أَوِ الْمَعْصِيَةِ.

***صحيح مسلم

(665) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه

قَالَ: خَلَتِ الْبِقَاعُ حَوْلَ الْمَسْجِدِ،

فَأَرَادَ بَنُو سَلِمَةَ أَنْ يَنْتَقِلُوا إِلَى قُرْبِ الْمَسْجِدِ،

فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ لَهُمْ:

«إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَنْتَقِلُوا قُرْبَ الْمَسْجِدِ»

قَالُوا: نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللهِ قَدْ أَرَدْنَا ذَلِكَ

فَقَالَ: «يَا بَنِي سَلِمَةَ دِيَارَكُمْ تُكْتَبْ آثَارُكُمْ، دِيَارَكُمْ تُكْتَبْ آثَارُكُمْ»( )

***جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:**

ابن كثير

قال الحافظ أبو بكر البزار عن أبي سعيد رضي الله عنه

قال إن بني سلمة شكوا إلى رسول الله ﷺبُعد منازلهم من المسجد

فنزلت: {وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ}

(وَكُلَّ شَيْءٍ)

(دياركم تكتب آثاركم) معناه الزموا دياركم فإنكم إذا لزمتموها كتبت آثاركم وخطاكم الكثيرة إلى المسجد

22-م19-ص440

من الأعمال و النيات و غيرها

وَ كَذَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:

{يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ} [الْإِسْرَاءِ: 71]

أَيْ: بِكِتَابِ أَعْمَالِهِمِ الشَّاهِدِ عَلَيْهِمْ بِمَا عَمِلُوهُ مِنْ خَيْرٍ و شر

كَمَا قَالَ تَعَالَى:-{وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ} [الزُّمَرِ: 69]

وَ قَالَ تَعَالَى:-{وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا} [الكهف: 49] .

(أَحْصَيْنَٰهُ)

مَسْطُورٍ مَضْبُوطٍ

(فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ)

أي: كتاب هو((أم الكتب))و إليه مرجع الكتب،

التي تكون بأيدي الملائكة، و هو اللوح المحفوظ.

وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ
فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ
مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ
إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا
بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٨﴾ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم
مَّعَكُمۡۚ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ
يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا
وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٢﴾
ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ
شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾
إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ
قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٧﴾

(وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ) (13 – 30) إلى آخر القصة.

قصة أصحاب القرية 13-32

أي:(وَٱضۡرِبۡ)

(لَهُم)

لهؤلاء المكذبين برسالتك، الرادين لدعوتك،

(مَّثَلًا)

يعتبرون به، ويكون لهم موعظة إن وفقوا للخير، وذلك المثل:–

(أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ)(Î)

وما جرى منهم من التكذيب لرسل اللّهوما جرى عليهم من عقوبته ونكاله.

وتعيين تلك القرية، لو كان فيه فائدة، لعينها اللّه،

فالتعرض لذلك وما أشبهه من باب التكلف والتكلم بلا علم،

ولهذا إذا تكلم أحد في مثل هذا تجد عنده من الخبط والخلط والاختلاف

الذي لا يستقر له قرار، ما تعـــــــرف به:–

أن طريق العلم الصحيح، الوقوف مع الحقائق،

وترك التعرض لما لا فائدة فيه،

وبذلك تزكو النفس،

الجزائري:أي أنطاكية عاصمة بلاد يقال لها العواصم بأرض الروم.

ويزيد العلم، من حيث يظن الجاهل أن زيادته بذكر الأقوال التي لا دليل عليها، ولا حجة عليها

ولا يحصل منها من الفـــــــائدة إلا:-

1-تشـــــــويش الذهن

2-واعتيـــــــاد الأمور المشكوك فيها.

والشاهد أن هذه القرية جعلها اللّه مثلا للمخاطبين.

(إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ)

من اللّه تعالى يأمـــــرونهم بــــــــ:-

1-عبـــــادة اللّه وحده،

2-وإخـــلاص الدين له،

3-وينهونهم عن الشرك والمعاصي.

(إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا)

***بَادَرُوهُمَا بِالتَّكْذِيبِ،

(فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ)

أي: قويناهما بثالث، فصاروا ثلاثة رسل، اعتناء من اللّه بهم، وإقامة للحجة بتوالي الرسل إليهم،

(فَقَالُوٓاْ)

لهم:

(إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ)

***مِنْ رَبِّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ، نَأْمُرُكُمْ بِعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ

○فأجابوهم بالجواب الذي ما زال مشهورا عند من رد دعوة الرسل: –

فـ(قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا)

***فَكَيْفَ أوحيَ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ بَشَرٌ وَنَحْنُ بَشَرٌ،

فَلِمَ لَا أوحيَ إِلَيْنَا مِثْلَكُمْ؟

وَلَوْ كُنْتُمْ رُسُلًا لَكُنْتُمْ مَلَائِكَةً.

○أي: فما الذي فضلكم علينا وخصكم من دوننا؟

قالت الرسل لأممهم:–

(إِنْ نَحْنُ إلا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ)

(وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ)

أي: أنكروا عموم الرسالة، ثم أنكروا أيضا المخاطبين لهم،

فقالوا: (إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ)

فقالت هؤلاء الرسل الثلاثة: –

(قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ)

فلو كنا كاذبين، لأظهر اللّه خزينا، ولبادرنا بالعقوبة.

***أَجَابَتْهُمْ رُسُلُهُمُ الثَّلَاثَةُ قَائِلِينَ:-

اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّا رُسُلُهُ إِلَيْكُم، وَلَوْ كُنَّا كَذَبة عَلَيْهِ لَانْتَقَمَ مِنَّا أَشَدَّ الِانْتِقَامِ،

وَلَكِنَّهُ سَيُعِزُّنَا وَيَنْصُرُنَا عَلَيْكُمْ، وَسَتَعْلَمُونَ لِمَنْ تَكُونُ عَاقِبَةُ الدَّارِ
كَقَوْلِهِ تَعَالَى:-{قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} [الْعَنْكَبُوتِ: 52] .

(وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ)

أي:الذي يحصل به توضيح الأمور المطلوب بيانها،

وما عدا هذا من آيات الاقتراح، ومن سرعة العذاب، فليس إلينا،

○وإنما وظيفتنا – التي هي البلاغ المبين– قمنا بها، وبيناها لكم،

فإن اهتديتم، فهو حظكم وتوفيقكم،

وإن ضللتم، فليس لنا من الأمر شيء.

فـــ(قَالُوٓاْ)

أصحاب القرية لرسلهم:

(إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ)

أي: لم نر على قدومكم علينا واتصالكم بنا إلا الشر،

وهذا من أعجب العجائب، أن يجعل من قدم عليهم بأجل نعمة ينعم اللّه بها على العباد، وأجل كرامة يكرمهم بها،

وضرورتهم إليها فوق كل ضرورة،

قد قدم بحالة شر، زادت على الشر الذي هم عليه، واستشأموا بها،

ولكن الخذلان وعدم التوفيق، يصنع بصاحبه أعظم مما يصنع به عدوه.

ثم توعدوهم فقالوا:–

(لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ)

أي: نقتلنكم رجما بالحجارة أشنع القتلات

(وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ)

فقالت لهم رسلهم:

(طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ)

***مَرْدُودٌ عَلَيْكُمْ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى فِي قَوْمِ فِرْعَوْنَ:

{فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ} [الْأَعْرَافِ: 131]

وَقَالَ قَوْمُ صَالِحٍ:{اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ}[النَّمْلِ: 47]

***وَقَالَ قَتَادَةُ و وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ:-أَيْ أَعْمَالُكُمْ مَعَكُمْ

❍وهو ما معهم من الشرك والشر، المقتضي لوقوع المكروه والنقمة، وارتفاع المحبوب والنعمة.

(قَالُوٓاْ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ)

أي: بسبب أنا ذكرناكم ما فيه صلاحكم وحظكم، قلتم لنا ما قلتم.

***الميسر:-أإن وُعظتم بما فيه خيركم تشاءمتم وتوعدتمونا بالرجم والتعذيب؟**

(بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ)

متجاوزون للحد، متجرهمون في قولكم،

فلم يزدهم دعاؤهم إلا نفورا واستكبارا.

(وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ)

حرصا على نصح قومه حين سمع ما دعت إليه الرسل وآمن به،

وعلم ما رد به قومه عليهم

فــــــ(قَالَ)

لهم :-

(يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ)

فأمرهم باتباعهم ونصحهم على ذلك،

وشهد لهم بالرسالة، ثم ذكر تأييدا لما شهد به ودعا إليه،

فقال:(ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا)

أي: اتبعوا من نصحكم نصحا يعود إليكم بالخير،

وليس يريد منكم أموالكم ولا أجرا على نصحه لكم وإرشاده إياكم،

فهذا موجب لاتباع من هذا وصفه.

بقي أن يقال: فلعله يدعو ولا يأخذ أجرة،

ولكنه ليس على الحق،

فدفع هذا الاحتراز بقوله:-(وَهُم مُّهۡتَدُونَ)

لأنهم لا يدعون إلا لما يشهد العقل الصحيح بحسنه،

ولا ينهون إلا بما يشهد العقل الصحيح بقبحه.

فكأن قومه لم يقبلوا نصحه،

بل عادوا لائمين له على اتباع الرسل، وإخلاص الدين للّه وحده،

فقال:-(وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي)

أي: وما المانع لي من عبادة من هو المستحق للعبادة،

لأنه الذي فطرني، وخلقني، ورزقني،

(وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ)

وإليه مآل جميع الخلق، فيجازيهم بأعمالهم،

فالذي بيده الخلق والرزق،

والحكم بين العباد، في الدنيا والآخرة

هو الذي يستحق أن يعبد، ويثنى عليه ويمجد،دون من لا يملك نفعا

ولا ضرا، ولا عطاء ولا منعا، ولا حياة ولا موتا ولا نشورا،

ولهذا قال:(ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً)

***اسْتِفْهَامُ إِنْكَارٍ وَتَوْبِيخٍ وَتَقْرِيعٍ،

(إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ)

*الجلالين:الّتِي زَعَمْتُمُوهَا

(شَيْـًٔا)

○لأنه لا أحد يشفع عند الله إلا بإذنه، فلا تغني شفاعتهم عني شيئا

***هَذِهِ الْآلِهَةُ الَّتِي تَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِهِ لَا يَمْلِكُونَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْئًا.

فَإِنَّ اللَّهَ لَوْ أَرَادَنِي بِسُوءٍ، {فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلا هُوَ} [يُونُسَ: 107]

وَهَذِهِ الْأَصْنَامُ لَا تَمْلِكُ دَفْعَ ذَلِكَ وَلَا مَنْعَهُ،

(وَلَا يُنقِذُونِ)

من الضر الذي أراده اللّه بي.

(إِنِّيٓ)

أي: إن عبدت آلهة هذا وصفهـــــــــا

(إِذًا لَّفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ)

○فجمع في هذا الكلام، بين نصحهم، والشهادة للرسل بالرسالة،

والاهتداء والإخبار بِتعيُّن عبادة اللّه وحده،

وذكر الأدلة عليها، وأن عبادة غيره باطلة،

وذكر البراهين عليها، والإخبار بضلال من عبدها،

والإعلان بإيمانه جهرا، مع خوفه الشديد من قتلهم،

فقال:-(إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ)

***الَّذِي كَفَرْتُمْ بِهِ،

***أَيِ: الَّذِي أَرْسَلَكُمْ [أى الرسل]

(فَٱسۡمَعُونِ)

***فَاسْمَعُوا قَوْلِي.(اى أهل المدينة)
وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ خِطَابُهُ لِلرُّسُلِ بِقَوْلِهِ:
***أَيْ: فَاشْهَدُوا لِي بِذَلِكَ عِنْدَهُ.
وَقَدْ حَكَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ فَقَالَ:-
وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ خَاطَبَ بِذَلِكَ الرُّسُلَ،
وَقَالَ لَهُمْ: اسْمَعُوا قَوْلِي، لِتَشْهَدُوا لِي بِمَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدَ رَبِّي،
إِنِّي قَدْآمَنْتُ بِرَبِّكُمْ وَاتَّبَعْتُكُمْ.
وَهَذَا الْقَوْلُالَّذِي حَكَاهُ هَؤُلَاءِ أَظْهَرُ فِي الْمَعْنَى، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

❍فقتله قومه، لما سمعوا منه وراجعهم بما راجعهم به.

***وَقَالَ قَتَادَةُ: جَعَلُوا يَرْجُمُونَهُ بِالْحِجَارَةِ،
وَهُوَ يَقُولُ: "اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي، فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ".
فَلَمْ يَزَالُوا بِهِ حَتَّى أَقْعَصُوهُ وَهُوَ يَقُولُ كَذَلِكَ، فَقَتَلُوهُ، رَحِمَهُ اللَّهُ.

فـــــــ(قِيلَ)

له في الحال:–

(ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖقَالَ)

مخبرا بما وصل إليه من الكرامة على توحيده وإخلاصه،

وناصحا لقومه بعد وفاته، كما نصح لهم في حياته:

(يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي)

أي: بأيشيء غفر لي، فأزال عني أنواع العقوبات،

(وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ)

بأنواع المثوبات والمسرات،

أي: لو وصل علم ذلك إلى قلوبهم، لم يقيموا على شركهم.

***قَالَ قَتَادَةُ:-لَا تَلْقَى الْمُؤْمِنَ إِلَّا نَاصِحًا، لَا تَلْقَاهُ غَاشًّا؛ لَمَّا عَايَنَ مَا عَايَنَ مِنْ كرامة الله

***تَمَنَّى عَلَى اللَّهِ أَنْ يَعْلَمَ قَوْمُهُ مَا عَايَنَ مِنْ كَرَامَةِ اللَّهِ لَهُ وَمَا هَجَمَ عَلَيْهِ.